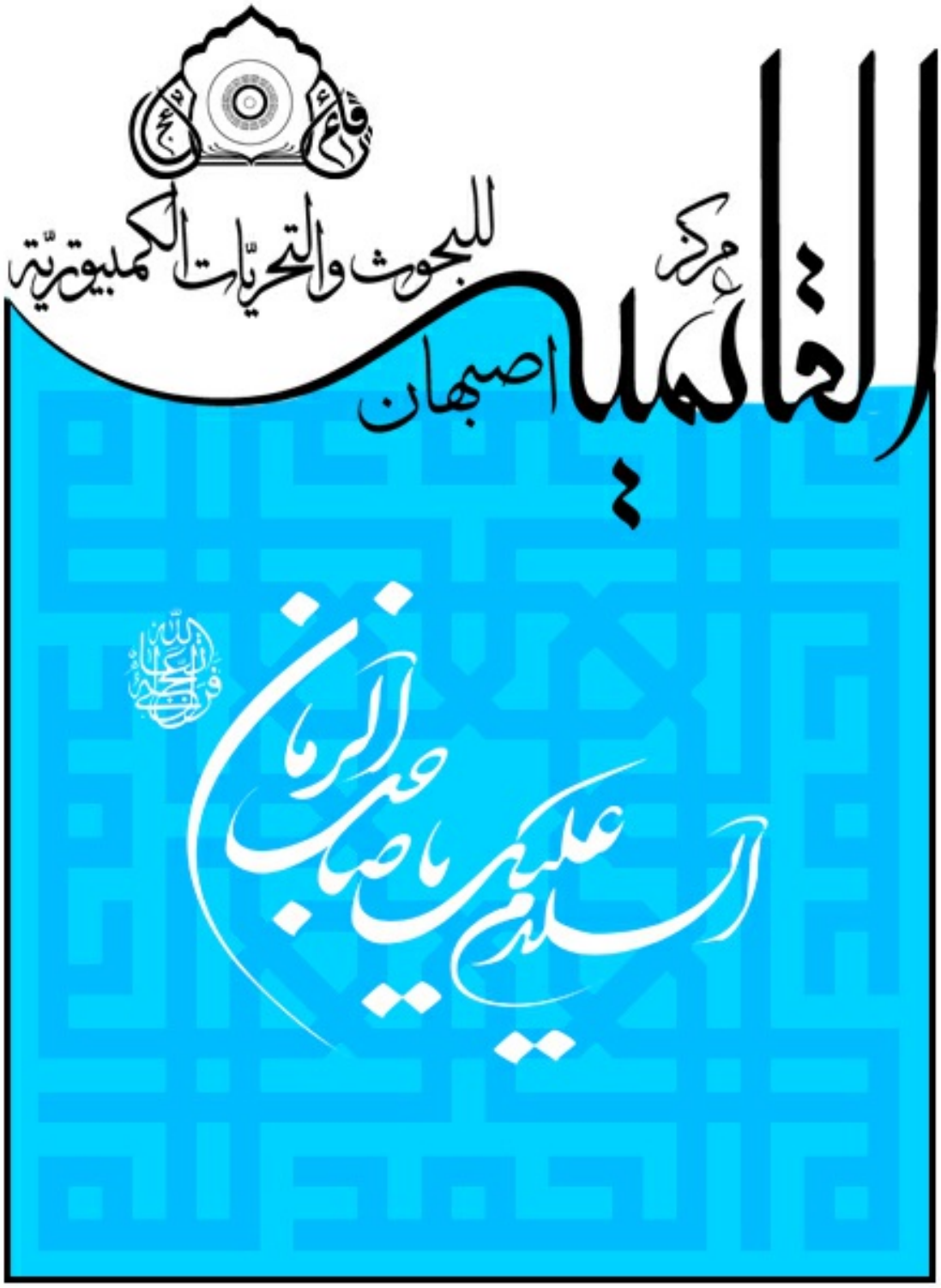

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أمهات الأئمة المعصومين

دراسة تاريخية تحليلية علمية

تأليف

الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحیم

امهات الائمه المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه، تحليليه، علميه

كاتب:

الدكتور السيد حسين الموسوى الصافى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

امهات الائمه المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه،تحليليه،علميه المجلد 1 16

اشارة 16

هوية الكتاب 16

الإهداء 20

مقدمة اللجنة العلمية 22

المقدمة 24

التمهيد 28

آثار الأمّ على الجنين 28

دور الأمّ 29

الصفات الوراثية 31

الصفات الوراثية السلبية 36

الآثار الوراثية لشرب الخمر 37

الأرحام الطاهرة 40

آثار الأرحام الملوثة 42

اختيار الزوجة 45

طهارة امَّهات الأئمة 47

من آثار الحمل بالمعصوم 51

أسماء المعصومين وأُمَّهاتهم فى صحيفة الزهراء عليهاالسلام 52

إهمال التاريخ لأُمَّهات الأئمة عليهم السلام 53

الفصل الأول: آمنة بنت وهب امُّ النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم 58

اشارة 58

النسب الطاهر 60

نبذة عن أبناء كلاب 62
تقرش قريش 64
الكمالات العالية للسيدة آمنة 65
طهارتها وإيمانها بالله 69
مكر اليهود فى إطفاء النور المحمدى 72
موقف من بسالة عبدالله 74
يمكرون ويمكر الله 75
زواج السيدة آمنة من عبد الله 76
وهب يرغب فى تزويج عبد الله 77
فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة 78
عقد القران بين عبدالله وآمنة 79
وفاة زوجها عبد الله ورثاؤها عليه 80
آمنة وعاء نور النبى الخاتم 82
شغف النساء بنور النبى صلى الله عليه و آله 84
اشارة 84
الرواية الأولى 85
الرواية الثانية 85
الرواية الثالثة 86
الجمع بين الروايات 87
اشارة 87
الصحيح 87
مشهد من إيمان عبدالله 88
عملية اغتيال فاشلة 89
إرهاصات فى حملها وولادتها للنبى صلى الله عليه و آله 92
تاريخ ولادتها للنبى صلى الله عليه و آله 94

وفاتها ومحل قبرها ـ 96
زيارة النبى لقبرها وإحياؤها له ـ 99
تحريف الحقائق ـ 101
اشارة ـ 101
والصحيح ـ 103
مرضعات النبى صلى الله عليه و آله ـ 106
1 - حليمة السعدية ـ 106
اشارة ـ 106
زوج حليمة السعدية ـ 108
2 - ثويبة ـ 109
طهارة آباء النبى صلى الله عليه و آله ـ 109
علماء السنة على ثلاثة آراء ـ 109
الشيعة الإمامية ـ 114
اشارة ـ 114
محاولة فاشلة ـ 116
والجواب ـ 117
خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبى صلى الله عليه و آله ـ 117
اشارة ـ 117
استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه ـ 120
اشارة ـ 120
والجواب ـ 120
إشكال وجواب ـ 121
الجواب ـ 122
الفصل الثانى: فاطمة بنت أسد أُمُّ الإمام علىٍّ عليهما السلام ـ 126
اشارة ـ 126

النسب الطاهر 128
إيمانها بالله والرسول 129
مكانتها عند الله ورسوله 131
فاطمة بنت أسد أُم النبى الثانية 133
مشهد من كرم بنى هاشم 135
زواجها من أبى طالب 136
مشهد من إيمان أبى طالب 137
أبو طالب رمز الإيمان 140
اشارة 140
الأول: الروايات الواردة بحقه 140
الثانى: أشعاره فى نصرة النبى وتأييده 143
الثالث: مواقفه من الرسول ودفاعه عنه 144
الرابع: وصية أبى طالب عند وفاته بالنبى صلى الله عليه و آله 148
الخامس: قول النبى بحقه 148
أولادها 149
اشارة 149
إسلام طالب ابن أبى طالب 150
الأدلة على إيمان طالب بن أبى طالب 150
أشعاره ومواقفه تجاه النبى صلى الله عليه و آله 151
الروايات الدالة على إسلام طالب 153
استشهاد طالب بن أبى طالب 154
نبذة عن عقيل بن أبى طالب 155
عقيل ينتصر على معاوية 156
نبذة عن جعفر بن أبى طالب 158
أبو طالب يبشر زوجته بالوصى 159

فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصی 160
الکعبة تستقبل فاطمة بنت أسد 163
فاطمة وبعلها یسألان الله فی تسمیة علی علیه السلام 166
وفاتها ومحل دفنها 168
النبی یصلی علی فاطمة بنت أسد 169
النبی یدفن فاطمة بنت أسد 169
زیارة خاصة لفاطمة بنت أسد 172
الفصل الثالث: خدیجة بنت خویلد أم السیدة فاطمة علیهما السلام 174
اشارة 174
النسب الطاهر 176
الأسرة الکریمة 178
دور آباء خدیجة 180
ممیزات خویلد والد السیدة خدیجة علیهاالسلام 182
خویلد علی خط الأنبیاء 185
دین السیدة خدیجة قبل الإسلام 186
الصفات الکمالیة للسیدة خدیجة 186
من صفاتها السخاء 188
من صفاتها العلم 189
رؤیا نورانیة صادقة 190
من صفاتها الروایة 191
من صفاتها الشعر 192
إیمانها برسول الله قبل زواجها منه 192
زواجها من رسول الله 194
أبو طالب خاطب خدیجة للنبی صلی الله علیه و آله 196
هل تزوجت خدیجة قبل النبی صلی الله علیه و آله 197

سبب زواجها من النبی صلی الله علیه و آله 199
عمر خدیجة حین زواجها 201
مقدار مهر السیدة خدیجة 202
من هو الذی عَیَّنَ مهر خدیجة 204
أولادها 205
اشارة 205
فاطمة البنت الوحیدة للنبی صلی الله علیه و آله 206
سبب تصدی السیدة خدیجة للتجارة 211
اشارة 211
مصادر أموال السیدة خدیجة 213
هل کان النبی أجیراً عند خدیجة 216
اشارة 216
زیف القول 218
والجواب 218
تصید بالماء العکر 219
منزلة خدیجة عند الله 220
مکانتها عند النبی صلی الله علیه و آله 222
سبق إسلامها 224
النبی یعلّم خدیجة الوضوء والصلاة 225
خدیجة وعاء لأم الأئمة 226
نساء الجنة یحضرن خدیجة فی مخاضها 227
خدیجة مربیة لأمیر المؤمنین علیه السلام 228
خدیجة عند احتضارها 230
من وصایا خدیجة للنبی صلی الله علیه و آله 232
اهتمامها بفاطمة علیهاالسلام 232

النبی یجهزها 233
وفاتها ومحل دفنها 234
التبرک بقبر خدیجة ومنزلها 236
استحباب زیارة قبر خدیجة الکبری 236
أزواج النبی صلی الله علیه و آله 238
الفصل الرابع: فاطمة بنت محمد أم الحسنین علیهم السلام 240
اشارة 240
مولدها المبارک 242
کیفیة ولادة فاطمة علیهاالسلام 244
انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة 246
من الأدلة علی عصمة فاطمة علیهاالسلام 248
أمّا الکتاب 249
تقریب الاستدلال بالآیة 249
أما السنة 250
مکانة الزهراء علیهاالسلام 253
أکابر قریش تخطب فاطمة علیهاالسلام 255
الله یأمر بتزویج فاطمة من علی علیهما السلام 257
فلسفة زواج فاطمة من علی علیهماالسلام 259
مقدار مهر فاطمة 260
تاریخ زواج فاطمة علیهاالسلام 262
الملائکة تحضر زفاف فاطمة علیهاالسلام 262
فاطمة المصداق الأکمل للزوجة وللأم الصالحة 263
کذبة بیضاء 266
حرمة الزواج علی علی فی حیاة الزهراء علیهاالسلام 268
اشارة 268

إشكال وجواب 270
والجواب 271
مصحف فاطمة عليهاالسلام 272
أسماء فاطمة عليهاالسلام 275
اشارة 275
سبب تسميتها بفاطمة 275
سبب تسميتها بالزهراء 276
سبب تسميتها بالصديقة 278
سبب تسميتها بالمباركة 280
سبب تسميتها بالطاهرة 282
تسميتها بالراضية 284
تسميتها بالمرضية 285
تسميتها بالمحدثة 286
سؤال وجواب 287
سبب تسميتها بالبتول 288
اشارة 288
دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟ 289
كيفية شهادتها 291
فاطمة فى حالة الاحتضار 293
فاطمة تفارق الحياة 294
تشييعها وإعفاء قبرها 296
الوداع الأخير 298
تاريخ وفاتها 299
محل دفنها 300
استحباب زيارة فاطمة عليهاالسلام 301

اشارة 301
وذكرت زيارة أخرى 302
من أزواج أمير المؤمنين 303
1 - خولة الحنفية 303
اشارة 303
من مآسى التاريخ 304
زواجها من أمير المؤمنين 305
2 - أم البنين الكلابية 307
اشارة 307
أم البنين ترثى أولادها 308
موقف من إيمانها 308
تاريخ وفاة أم البنين عليهاالسلام 310
3 - ليلى النهشلية 311
4 - أسماء بنت عميس الخثعمية 311
5 - أمامه بنت أبى العاص 313
الفصل الخامس: شهربانو أم الإمام السجاد عليهما السلام 316
اشارة 316
اسمها ونسبها 318
اشارة 318
اكاذيب واهية فى نسب أم السجاد عليه السلام 319
والصحيح 320
اشكال وجواب 324
مقتل والدها يزدجرد 325
اشارة 325
ما قاله البلاذرى فى مقتل يزدجرد 329

تكامل صفاتها ---- 331
على يغير اسمها ---- 332
رسول الله يخطبها للحسين عليه السلام ---- 334
الرؤيا فی القرآن والسنة ---- 334
الرؤيا الصادقة ---- 337
تطبيق الرؤيا فی المقام ---- 339
موقف من عفافها وإيمانها ---- 340
زمان سبيها ---- 342
على ينظر إلى المستقبل ---- 344
شهربانويه تختار الحسين عليه السلام زوجاً ---- 346
شهربانو وعاء للمعصوم ---- 347
اشارة ---- 347
سؤال وجواب ---- 348
والجواب ---- 349
فلسفة أكثر امَّهات الأئمة جوارٍ ---- 350
اشارة ---- 350
الأول: التربية الإلهية لأم المعصوم ---- 351
الثانی: محاربة الطبقية والعرقية ---- 353
الثالث: الإسلام لكل الناس ---- 359
اشارة ---- 359
احتمال يفرض نفسه ---- 361
أنا ابن الخيرتين ---- 362
اشارة ---- 362
من كلام المغرضين ---- 363
والجواب عليه ---- 364

مأساتها فی کربلاء ـ 365
زمان وفاتها ـ 367
محل قبرها ـ 369
السجاد یزوج حاضنته ـ 370
من أزواج الحسین علیه السلام ـ 371
1 - لیلی (أم علی الأکبر) ـ 371
اشارة ـ 371
حضور لیلی فی کربلاء ـ 373
من الأدلة علی حضور لیلی فی کربلاء ـ 374
2 - الرباب (أم عبد الله الرضیع) ـ 377
محتویات الکتاب ـ 379
تعریف مرکز ـ 396

امهات الائمه المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه،تحليليه،علميه المجلد 1

اشارة

سرشـناسه:أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السيد حسين الموسوى الصافى؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد على الحلو. الطبعة الأولى. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة، 1436

عنوان و نام پديدآور:امهات الائمه المعصومين / تاليف سيد حسين موسوى صافى

مشخصات نشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

محل نشر: كربلاى معلى - عراق

سال نشر : 1436

مشخصات ظاهرى: 2ج.

يادداشت:عربى.

موضوع:چهارده معصوم -- مادران

موضوع:زنان مقدس مسلمان -- سرگذشتنامه

ص :1

هوية الكتاب

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية لسنة 2013؛ 773

الموسوى الصافى، حسين.

امَّهات الأئمـة المعصومين عليهم السـلام: دراسـة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السـيد حسـين الموسوى الصافى؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد على الحلو. الطبعة الأولى. – كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة، 1436 ق. = 2015 م.

2 ج. (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 153)

المصادر.

1. النساء المقدسات فى الإسلام سيرة. 2. الأربعة عشر معصوم امَّهات. 3. فاطمة الزهراء (س)، 8؟ ق. ه –– 11 ه –. العصمة. 4. النساء المقدسات فى الإسلام دفع مطاعن. ألف. الحلو، محمد على، 1957 – م، مقدم. ب. العنوان. ج. السلسلة.

BP 52 . M85 2015

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص:2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص:4

الإهداء

إلى أمّ أبيها وبضعة نبيها والحجة على من يليها

سيدة نساء العالمين أمّ الحسن والحسين عليهماالسلام...

إلى جميع امَّهات الأنبياء والأوصياء المعصومين...

إلى مَن غذتنى الولاء وأسعدتنى بعد الفناء

وأبعدتنى عن الشقاء إلى والدتى الحنونة...

إلى مَن شاطرتنى الحياة وشاركتنى المأساة

وَصَبرت على تخطى العقبات إلى أمّ أبنائى..

ص:5

مقدمة اللجنة العلمية

تندرجُ كثيرٌ من البحوث فى غياهب التحقيق الكلى، الذى لم يثبت أهمية هذه لبحوث إلا ما وقع منها فى مطاوى السير التحقيقى، ولعل الكثير منها يحمل أهميته وخطورته بشكلٍ ينسجمُ فى تثبيت الحصيلة النهائية التى يخرجُ بها الباحث، إلاّ أن هذه البحوث لم تكن من أولوياته واهتماماته مع أهميتها بشكلٍ يحتم على الباحث أن لا يغفل عنها، فيعيد النظر فى قراءته لبحوثٍ كهذه مع أنها غير معنونةٍ بعنوان، ولا مندرجةٍ تحت قضيةٍ بحثية مستقلة، ولم تزل هذه البحوث تفرض أهميتها على الباحث ومن ثم القارئ فهى إذن لم تكن ثانوية حقاً بل بحوث لها أهميتها وقيمتها العلمية، ومن تلك البحوث التى غفل عنها المحققون، البحث عن امَّهات المعصومين حيث لم يفرد لها المحققون عنواناً خاصاً بل اكتفوا بالبحوث الفرعية التى تأتى استطراداً فى سيرة المعصومين عليهم السلام، فالباحث لا يمكن له أن يتعدى امَّهات المعصومين إذ البحث عنهن يعد جزءاً مكملاً للوقوف على سيرتهم إلا أنه لا يتعدى الأمر عن ذكر نتفٍ عن حياتهن دون الغور إلى عوالم التحقيق لحياتهن الشريفة، وهذا ما يجعل البحث مخلاً غير جادٍ فى

أحيـان أخرى.. إذن لاـ تُعـد بحوث حيـاة امَّهـات المعصومين من الترف الفكرى الـذى يتعرض إليه بعضـهم، بل فرضت هـذه التحقيقات أهميتها على الباحث ليجد مسـلكاً علمياً خطيراً يدخلُ فى ترجمة بعض فترات الحقب التى عاشها أهل البيت عليهم السلام ولعل ما يعزز هـذا الأمر هو أهميـة معالجـة الكثير من الشـبهات التى تـدخل فى إطار التنقيب البحثى الـذى يقدّم نتائجه للباحث على أساس المسـلك العلمى الدقيق.

من هنا وجـد الباحث الـدكتور السـيد حسـين الموسوى الصافى الـذى أعد بحثاً مهماً فى شأن "أُمَّهات الأئمة المعصومين عليهم السـلام" والـذى حاول من خلاله معالجـة الكثير من القضايا المهمة التى تدخل فى معرفة مقطعٍ مهمٍ من سـيرتهم عليهم السـلام، وبذلک يخلص البحث إلى التعريف بأهميـة امَّهاتهم عليهم السـلام كونهن الوعاء المقـدس للمعصوم، فالبحث يعالـج النظرة التاريخيـة بأسـلوبٍ تحليلى فضلاً عن السمة العلمية التى تُعطى بُعداً آخر لمحطات تاريخية مهمة لا غنى للباحث عنها ومراعاتها.

عن اللجنة العلمية

السيد محمدعلى الحلو

ص:8

المقدمة

الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق والصلاة والسلام على رسوله وآل بيته الطيبين الطاهرين.

إنّ الشـرع الحنيف أولى اهتمامـاً فى بيـان بعض المزايا والصـفات الكماليـة العاليـة التى تتمتع بها أُمّ المعصوم سواء فى المجال العلمى أم العملى, المادى أم المعنوى, فعندما يذكر القرآن الكريم السـيدة مريم عليهاالسلام (امَّ نبى الله عيسى عليه السلام) فقد يكشف أنّها محدثة الملائكة ومطهرة من كل شائبة, وقد احتلت مرتبة الاصطفاء من قِبَل الله وأصبحت سيدة نساء عالمها, كما يتضح من قوله تعالى:(وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ)1 , وأيضاً قوله تعالى: (إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْـمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ)2 , فإنّ الكمال الروحى والمعنوى الذى تجسّد فى كيان السيدة

ص:9

مريم عليهاالسلام قد أهّلها لكل هذه المزايا ولأن تكون وعاءً وحجراً لنبيً من أنبياء أولى العزم عليهم السلام, كما بشرها الله بهذه المنقبة العظيمة.

وهكذا الحال فى أمّ نبى الله موسى وأخيه هارون عليهماالسلام (السيدة يوخابيد عليهاالسلام), فقد خصها الله بالإيحاء واليقين والإيمان, كما فى قوله تعالى (وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لا تَخافِى وَ لا تَحْزَنِى إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)1 , فقد أوحى الله لها وصدقته وامتثلت أوامره بكل ثقة ويقين فى أحلك الظروف, حتى أنّ البعض قال هذا يقتضى ظهور المعجز لها من وجهين: أحدهما الوحى وهو معجز، والثانى أنها عليهاالسلام لا يجوز أن تقدم على جعل ولدها فى التابوت وطرحه فى اليم إلا بعد اليقين بأن الآمر لها بذلک هو القديم سبحانه ولا سبيل إلى ذلک إلا بظهور معجز تعلم به أن الخطاب المتضمن لذلک وحى منه سبحانه(1).

وقد بشّر الله امَّ نبى الله إسحاق ويعقوب عليهماالسلام (السيدة سارة عليهاالسلام) بقوله تعالى: (وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ * قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِى شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَىْ ءٌ عَجِيبٌ * قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)3 , فهنا خصّها الله بالبشارة وقد حدثتها الملائكة وحدثتهم, وأنّها من أهل

1- (2) الكافى للحلبى, أبو الصلاح الحلبى, ص 101.

البيت الذين خصّهم الله بالرحمة. وهكذا سبيل باقى امَّهات المعصومين عليهم السلام من الأنبياء وغيرهم.

وقد جعل الله السعى بين الصفا والمروة من مناسک الحج؛ إحياءً لذكرى سعى السيدة هاجر عليهاالسلام (أمّ نبى الله إسماعيل عليه السلام) واحتفالاً بعملها, واستحباب الهرولة فى محل الوادى الذى سعت فيه هاجر سعى الإنسان المجهود إحياءً لذكرى هرولتها هناک.

فنستفيد من خلال هذه الرؤية السماوية فى حق امَّهات الأولياء المعصومين عليهم السلام أمرين, أولاً: أنّ هناک رابطة وعليّة ليس فقط فى طهارة وعفاف والدة المعصوم عليه السلام, بل لابد أنّ تكون بالمستوى اللائق والمطلوب من صفات وأبعاد كمالية عالية تنسجم مع ما تحمل من أمانة عظيمة وهى حجة الله فى خلقه, فالأمّ لها الأثر الكبير فى تغيير حال الابن على المستوى المادى والمعنوى, وهذا بخلاف مجرد الزوجة فلم تكن هناک ثمة رابطة وعليّة فى البين, فلذلک نجد القرآن الكريم قد كشف عن ذمّ وسوء عاقبة بعض أزواج الأنبياء عليهم السلام كما فى قوله تعالى:(ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلاَ النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ)1 .

وثانياً: إنّ فى إعطائه سبحانه وتعالى هذه الأهمية فى بيان وذكر المزايا الإيجابية لأُمَّهات المعصومين عليهم السلام يمكن أن تكون فيه إشارة فى توجيه الأنظار

إلى الاهتمام بدراسة وبيان سـيرة امّ المعصوم عليه السلام وبيان صفاتها ومدى إيمانها, لاسيما امَّهات أهل البيت عليهم السلام فإنّهن لسن أقل شأنا من امَّهات الأنبياء عليهم السـلام, لكن مع الأسف لم نجد اهتماماً بدراسة وبحث سيرة امَّهات المعصومين عليهم السلام لاسيما سيرة امَّهات ما بعـد الزهراء عليهاالسـلام, فقـد همشت إذا لم نقل أهملت, فلم نعثر على دراسـة لا من القـدماء ولا من المتأخرين ولا من المحدثين ولا من المؤرخين إلا الشـتات من الروايات وغيرها, مع أنّها من المواضـيع الساخنة والتى لها صـلة بالاعتقادات وما إليها. ونحن بعون الله قد وضـعنا هذه الدراسة بعد ما لاحظنا أنّ هناک فراغاً فى عالم السـيرة والتاريخ فى هذا الجانب, ولم نقتصر فى هذه الدراسة على سرد التاريخ وما إليه, بل انتحلنا النهج العلمى الاسـتقرائى التحليلى, ومناقشة الآراء بالأدلة المنطقية لاسـيما فى المواضـيع العقدية والقريبة منها, والرجوع إلى المصادر المعتبرة عند الفريقين, بالإضافة إلى ذكر المواضيع التى لها صلة فى الموضوع أو القريبة منه, من قبيل ذكر أزواج المعصوم وما شاكله, ونأمل أن تكون هـذه الدراسـة خطوة للشـروع فى دراسات معمقـة وتحقيقات منتظمـة من قبل المختصـين وغيرهم. سائلين المولى القبول والتسديد.

المؤلف

15 / شعبان/ 1432

التمهيد

آثار الأمّ على الجنين

تحظى الأمّ بمكانة رفيعة لا تقل أهمية عن مكانة الأب إذا لم تزد عليها, وهذا ما أكده الشّرع الحنيف وفسّره العلم الحديث, فهى بمثابة المنعطف الكبير لتأهيل البشر وإعداد الأجيال, حيث أنّ المجتمعات عبارة عن شعوب وقبائل وأسر, ونواة هذه الأسر الزوج والزوجة (الأبوان) فهما أصل التكاثر البشرى بما جعلته الحكمة الإلهية لاستمرار الحياة الإنسانية فى عالم الدنيا, ولو لاحظنا ذلك لوجدنا الأمّ أكثر تأثيراً وانفعالاً وأنها لها الحظ الكبير فى إعداد الأجيال على الصعيد المادى والمعنوى.

ومن هنا نرى أقلام العلماء وقرائح الأدباء تصفها بمدح لا يضاهى حيث قالوا: المرأة نصف المجتمع, وانّها تهزُّ المهد فى يد والعالم فى يدها الأخرى, وقول الشاعر:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق(1)

1- (1) التعديل والتجريح, سليمان بن خلف الباجى, ص 57.

دور الأمّ

صحيح أن رحم المرأة يكون بالنسبة إلى نطفة الرجل كالأصيص بالنسبة إلى البذرة إلا أن الأمر يختلف تماماً فى موضوع تكوين الخلية التناسلية، إذ ليست نطفة الرجل هى الخلية التناسلية الكاملة – كما كانت البذرة وإنما المرأة تكون الشريك الأهم للرجل فى الوهلة الأولى, كما أشار لذلك القرآن الكريم فى قوله:(إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ)1 .

أى أنّ الله خلق الإنسان من نطفة مركبة وممزوجة من حويمن الرجل وبويضة المرأة كليهما.

وكذلك رحم الأمّ يتحمل فى المرحلة الأولى نصف مسؤولية عملية التلقيح، ثم ينفرد فى أنه يتحمل مسؤولية الاحتفاظ بالنطفة لمدة تسعة أشهر كاملة فى داخله حتى يصنع إنساناً كاملاً.

وجدير بنا أن نذكر دور الأم فى هذه المرحلة بحسب ما أفادنا به العلم الحديث: ويكون ردّاً على هذا السؤال: من أن البويضة التى تحتويها المرأة هى أكبر خلية فى جسم الإنسان، حيث تبلغ فى قطرها (200) ميكرون, بينما الحيوان المنوى الذى يضعه الرجل لا يزيد عن خمسة ميكرونات (لكن مع هذا المستوى من صغر الحيوان المنوى فأنه يساهم بنصف مكونات الجنين تماماً كما تساهم البويضة)، فما هو السبب فى كبر حجم البويضة, وصغر حجم الحيوان المنوى؟

وقد أجابوا: إنّ البويضة هى المسؤولة عن تغذية النطفة الأمشاج، المكونة من كروموسومات الحيوان المنوى (الأب) وكروموسومات البويضة (الأم), وعليها أن تقوم بالتغذية حتى تعلق النطفة، وتنشب فى جدار الرحم لتصبح العلقة, فتعطيه من دمائها وتوفر له الغذاء والهواء والحماية من السموم التى يفرزها جسمه أثناء نموه, حتى يأذن الله بخروجه متكامل البناء سوى الأعضاء(1).

فمن هنا نفهم أن دور الأُم فى التغذية والرعاية يبدأ من أول لحظة دخول النطفة فى الحياة, فلا غرور أن جعل لها الإسلام مكانة عظيمة، وأعطاها المقام الأول فى البر والصلة والطاعة وقدمها على الأب ثلاثاً, وجعل الجنة تحت أقدامها, كما روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«الجنة تحت أقدام الأُمَّهات»(2).

وعن أبى القاسم الكوفى قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه و آله: إن والدتى بلغها الكبر، وهى عندى الآن، أحملها على ظهرى، وأطعمها من كسبى، وأميط عنها الأذى بيدى، وأصرف عنها (مع ذلک) وجهى استحياءً منها وإعظاماً لها، فهل كافأتها؟ قال صلى الله عليه و آله:

«لا؛ لأن بطنها كان لک وعاء، وثديها كان لک سقاء، وقدمها لک حذاء، ويدها لک وقاء، وحجرها لک حواء، وكانت تصنع ذلک لک وهى تمنى حياتک، وأنت تصنع هذا بها وتحب مماتها»(3).

وأيضا قال صلى الله عليه و آله:

«إذا كنت فى صلاة التطوع، فان دعاک والدک فلا

1- (1) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص 164.

2- (2) مستدرک الوسائل, الميرزا النورى, ج 15 ص 180.

3- (3) المصدر نفسه.

تقطعها، وان دعتک والدتک فاقطعها»(1).

وعن الباقر علیه السلام، أنّه قال:

«قال موسی بن عمران علیه السلام: یا رب، أوصنی، قال: أوصیک بی، قال فقال: رب أوصنی، قال: أوصیک بی، ثلاثاً، قال: یا رب أوصنی، قال: أوصیک بأمک، قال: رب أوصنی، قال: أوصیک بأمک، قال: رب أوصنی، قال: أوصیک بأبیک، قال: (فکان یقال) لأجل ذلک أن للأم ثلثی البر وللأب الثلث»(2).

وعن مهر بن حکیم، عن أبیه، عن جده قال:

«قلت للنبی صلی الله علیه و آله: یا رسول الله، من أبرر؟ قال: أمک قلت: ثم من؟ قال: ثم أمک قلت: ثم من؟ قال: ثم أمک قلت: ثم من؟ قال: ثم أباک، ثم الأقرب فالأقرب»(3). وأیضا ورد عن الإمام الباقر علیه السلام:

إنّ للأم ثلثی البر وللأب الثلث(4). وغیرها من الروایات المستفیضة التی تؤکد علی برّ الوالدین لاسیما الأم بالذات, وهذا یعبّر عن مدی أهمیة الأم فی المجتمع.

الصفات الوراثیة

حُدِّدَتْ الوراثة بأنها مشابهة الفرع لأصله، ولا تقتصر علی المشابهة فی المظاهر الشکلیة وإنما تشمل الخواص الذاتیة، والمقومات الطبیعیة، کما نص علی

1- (1) المصدر نفسه, ج 15 ص 181.

2- (2) الأمالی, الشیخ الصدوق, ص 602.

3- (3) مستدرک الوسائل, المیرزا النوری, ج 15 ص 181.

4- (4) راجع: مستدرک الوسائل, المیرزا النوری, ج 15 ص 180.

ذلک علماء الوراثـة وقالوا: أن ذلک أمر بيّن فی جميع الكائنات الحية فبذور القطن تخرج القطن، وبذور الزهرة تخرج الزهرة، وهكذا غيرها، فالفرع يحاكی أصـله ويساويه فی خواصه وأدق صفاته، كما يقول بعض العلماء: «إنّ كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغير من أحد الأصـلين أو منهما إلى الفرع...». وأكد هذه الظاهرة (هكسـلی) بقوله: «إنه ما أثر أو خاصة لكائن عضوی إلا ويرجع إلى الوراثة أو إلى البيئـة فالتكوين الوراثی يضع الحـدود لما هو محتمل، والبيئة تقرر أن هذا الاحتمال سـيتحقق، فالتكوين الوراثی إذن ليس إلا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص...»(1).

ومعنى ذلک أن جميع الآثار والخواص التی تبـدو فی الأجهزة الحساسة من جسم الإنسان ترجع إلى العوامل الوراثية وقوانينها، والبيئة تقرر وقـوع تلـک المميزات وظهورهـا فی الخـارج، فـإذن ليسـت البيئـة إلاـ عاملاًـ مساعـداً للوراثـة، حسب البحـوث التجريبيـة الـتی قـام بها الاختصاصيون فی بحوث الوراثة.

وكيف كان قد أكد علماء الوراثة بدون تردد أن الأبناء والأحفاد يرثون معظم صـفات آبائهم وأجدادهم النفسـية والجسمية، وهی تنتقل إليهم بغير إرادة ولا اختيار، وقد جاء هذا المعنى صـريحاً فيما كتبه الدكتور (الكسـيس كارل) عن الوراثة بقوله: «يمتد الزمن مثلما يمتد فی الفرع إلى ما وراء حدوده الجسـمية, وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولا ثباتاً من حدوده الاتساعية، فهو مرتبط بالماضـی والمستقبل، على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر...

1- (1) انظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام, الشيخ باقر شريف القرشی, ج 1 ص 43.

وتأتى فرديتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يـدخل الحويمن فى البويضـة, ولكن عناصـر الـذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة فى أنسـجة أبوينا وأجـدادنا وأسـلافنا البعيـدين جداً لأننا مصـنوعون من مواد آبائنا وأُمَّهاتنا الخلوية, وتتوقف فى الماضـى على حالة عضوية لا تتحلل... ونحمل فى أنفسنا قطعاً ضئيلة لأعدادٍ من أجسام أسلافنا، وما صفاتنا ونقائصنا إلا امتداد لنقائصهم وصفاتهم»(1).

وقد اكتشف الإسـلام – قبل غيره – هذه الظاهرة، ودلل على فعاليتها فى التكوين النفسى والتربوى للفرد، وقد حث بإصرار بالغ على أن تقوم الرابطـة الزوجيـة على أساس وثيق من الاختيار والفحص عن سـلوك الزوجين، وسـلامتهما النفسـية والخلقيـة من العيوب والنقص, وأشار القرآن الكريم إلى ما تنقله الوراثـة من أدق الصـفات. قال تعالى حكايـة عن نبيه نوح عليه السـلام:(وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً * إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَکَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً)2 . فالآية دلت بوضوح على انتقال الكفر والإلحاد بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وقـد حفلت موسوعات الحـديث بكوكبـة كبيرة من الأخبار التى اثِرَتْ عن أئمة أهل البيت عليهم السـلام, وهى تدلل على واقع الوراثة وقوانينها وما لها من الأهمية البالغة فى سلوك الإنسان، وتقويم كيانه.

فإنّ ما اكتشفه علماء الوراثة اليوم، وتوصلوا إليه بأبحاثهم الدقيقة من

1- (1) الإنسان ذلک المجهول, الدكتور. الكسيس كارل, ص 202.

وجود موجودات صـغيرة داخل الكروموسومات تنقل الصـفات الوراثية والتى أسموها (الجينات) ليس أمراً جديداً ومبتكراً, فالقرآن والرسول الأعظم والأئمة الطاهرون عليهم السلام – الذين كانوا يكشفون الحقائق بنور الوحى والإلهام – لم يغفلوا أمر هذا القانون الدقيق. بل أشاروا إليه وأطلق على عامل الوراثة فيها اسم (العرق).

وبعبارة أوضـح: إنّ المعنى الـذى يسـتفيده علماء الوراثـة اليوم من كلمة (الجينة) هو نفس المعنى الذى عبرت عنه الأخبار بكلمة (العرق) وعلى سبيل المثال نذكر بعض الروايات الواردة فى هذا المجال.

منها, عن النبى صلى الله عليه و آله قال:

«وانظر فى أى نصاب تضع ولدک فإن العرق دساس»(1). ومنها: عن النبى صلى الله عليه و آله:

(تزوجوا فى الحجز الصالح), أى الأصل والمنبت الصالح وهو كناية عن العفة.

(فإن العرق دساس)(2) أى إدخـال بالتشديـد؛ لأنه ينزع فى خفاء ولطف, يقال دسـست الشـىء إذا أخفيته وأخملته, ومنه قوله تعالى:(وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى) أى أخمل نفسه وأبخس حظها. وقيل: معنى دساس خفى قليل وكل من أخفيته وقللته فقد دسسته(3). والمعنى: أنّ الرجل إذا تزوج فى منبت صالح يجىء الولد يشبه أهل الزوجة فى العمل والأخلاق ونحوهما وعكسه بعكسه.

1- (1) مسند الشهاب, ابن سلامة, ج 1 ص 370.

2- (2) أنظر: النهاية فى غريب الحديث, ابن الأثير, ج 1 ص 345. وميزان الحكمة, محمد الريشهرى, ج 2 ص 1183.

3- (3) راجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير, المناوى, ج 3 ص 317

وذلک حینما نراجع المعاجم اللغویـة فی معنی کلمة (دساس) نجد أن بعضـها - کالمنجد یعلق علی ذلک بالعبارة التالیة: «العرق دساس أی: أن أخلاق الآباء تنتقل إلی الأبناء»(1).

فهذان الحدیثان یتحدثان عن قانون الوراثة بصـراحة, ویعبران عن العامل فیها ب - (العرق). فالنبی صلی الله علیه و آله: یوصی أصحابه بأن لا یغفلوا عن قانون الوراثة, بل یفحصوا عن التربة الصالحة التی یریدون أن یبذروا فیها، لکی لا یرث الأولاد الصفات الذمیمة.

ومنها: عن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام قال:

«حسن الأخلاق برهان کرم الأعراق»(2).

وهذا الحدیث یثبت إمکان اکتشاف الطهارة العائلیة للفرد من السجایا الفاضلة عنده.

ومنها: حـدیث محمد ابن الحنفیة ابن الإمام علی علیه السـلام کان حامل اللواء فی حرب الجمل، فأمره علیٌّ علیه السـلام بالهجوم، فأجهز علی العدو، لکن ضربات الأسنة ورشقات السهام منعته من التقدم فتوقف قلیلاً... وسرعان ما وصل إلیه الإمام وقال له: (احمل بین الأسنة) فتقدم قلیلاً ثم توقف ثانیة، فتأثر الإمام من ضعف ابنه بشدة فاقترب منه ووکزه بقائم سیفه وقال: أدرکک عرق من امّک(3).

1- (1) المنجد، مادة دس.

2- (2) غرر الحکم ودرر الکلم, للآمدی, ص 167.

3- (3) تتمة المنتهی, ص 17.

فهنا الحديث يعطينا صورة عملية عن الواقع الوراثى من لحاظ الجانب السلبى, وقد أثبت الإمام عليه السلام أن التراجع الذى ظهر واضحاً فى ابنه محمد ليس موروثاً منه عليه السلام؛ لأنه وآباءَهُ لم يعرفوا للتوقف معنى قط، فلا بد وأن يكون ذلک من أمه؛ لأنها لم تكن من الفضيلة بدرجة تكون معها بمنزلة الصديقة الزهراء عليها السلام.

الصفات الوراثية السلبية

حذر علماء الاختصاص من انتقال الصفات الوراثية السلبية إلى الأبناء كالحمق والبلادة والبله فإنها تنتقل من الآباء والأُمَّهات إلى الأبناء، الأمر الذى يسبب أقسى أنواع شقاء المجتمع، فالفرد الأحمق يظل طوال سنى عمره أسيراً للحرمان العقلى وعدم النضج الفكرى مما يسبب للأمة مشاكل عديدة.

وقد توصل العلم الحديث، بعد التجارب العديدة والإحصائيات الدقيقة إلى خطر هذا النوع من الزواج، ولذلک أخذ العلماء يحذرون الناس منه بقولهم: «يجب أن يعلم كل فرد أن التزوج من الأسر المصابة بالجنون أو الحمق أو البلادة، أو الإدمان على الخمرة يؤدى إلى تحطيم كيان المجتمع وهدم قانون التكاثر والتناسل، مما يجر معه سلسلة من المعايب والجرائم التى لا تحمد عقباها»(1).

1- (1) نقلاً عن كتاب الطفل بين الوراثة والتربية, الشيخ محمد تقى فلسفى, ج 1 ص 75.

وأيضاً لاحظ (كـدار) فى إحصائياته الدقيقة التى أجراها على الأسـر التى كان آباؤها أو امَّهاتها مصابين بضـعف العقل وجود (470) طفلاً ضعيفى العقل منهم و (6) فقط سالمين وبديهى أن إيجاد جيل منحط ومجرم وأبله يعد خيانة كبيرة(1).

وهذه الظاهرة لم يغفل عنها الشّرع الحنيف, فقد أدرک أخطارها فحذر المسلمين منها.

ولذا نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«إياكم وتزوج الحمقاء، فأن صحبتها بلاء وولدها ضياع»(2).

وأحسن تعبير عن الأولاد الناتجين من آباء أو امَّهات مصابين بالحمق هو الضياع.

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخبيثة يتزوجها الرجل،

قال: لا، ثم قال: إنّ كان له أمة وطئها ولا يتخذها أم ولده(3).

الآثار الوراثية لشرب الخمر

لقد انتشـر شـرب الخمر فى كثير من دول العالم، وتكبلوا بهذا الداء الوبيل وأسـراره, وهذا السم الفاتک لا يكتفى بتوجيه ضربات قاسية إلى المدمنين عليه فقط، بل يتعداهم إلى أطفالهم البريئين ويجعلهم يرزحون تحت كابوس

1- (1) راه ورسم زندكى, الكسيس كارل, ص 74.

2- (2) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 5 ص 354.

3- (3) االمصدر نفسه, ج 5 ص 353.

الأمراض والعوارض المختلفة, فقد تترک الخمرة آثاراً سيئة على أجسام المدمنين عليها، ومن تأثيراتها فيهم إيجاد اختلالات فی خلايا المخ والأعصاب مما تجعلهم أناساً غير اعتياديين، ومما يبعث على الأسف أن هذا الاختلال ينتقل إلى أولادهم، والنطف الحادثة من أناس مأسورين للخمرة تنتج أطفالاً منحرفين وغير اعتياديين فی سلوکهم وتفکيرهم, إنّ قسماً کبيراً من المجانين الذين يقضون حياتهم فی مستشفيات المجانين يئنون من ويلات انحراف آبائهم. کما ورد ذلک عن المختصين والمهتمين بهذا الشأن حيث قالوا: «إن قلة الذکاء واختلال القوة العاقلة تنشأ من المشروبات الروحية والسلوک المفرط فی جميع جوانب الحياة، إنه لا ريب فی وجود رابطة قوية بين استعمال المشروبات الروحية والضعف العقلی فی مجتمع ما. ومن بين الدول المتقدمة علمياً وصناعياً نجد فرنسا أکثرها استعمالاً للخمرة فی حين أنها أقل تلک الدول حصولاً علی جوائز نوبل»(1).

وعليه لاحظ الإسلام جميع العوارض والويلات الناشئة من الخمرة، ونظر إلى آثارها السيئة فی المدمنين عليها وفی أولادهم، فلم يکتف بتحريم عصرها والتعامل بها وتعاطيها علی المسلمين من الجهة القانونية فقط، بل حذر من الاتصال الجنسی والتناکح مع شاربی الخمر بکل صراحة, وهناک جملة من الشواهد الروائية علی ذلک.

منها: عن أبی عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلی الله عليه و آله: شارب الخمر لا

1- (1) راجع: الطفل بين الوراثة والتربية, الشيخ محمد تقی فلسفی, ج 1 ص 76.

يزوج إذا خطب(1).

ومنها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

من زوج كريمته من شارب خمر، فقد قطع رحمها(2).

وبديهى أن يعتبر إنجاب أطفال مختلين (بدنياً وعصبياً وروحياً) قطعا لرحم المرأة التى بإمكانها أن تنجب أولاداً سالمين من غيره.

وغيرها من الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فى هذا المجال، ولكن أشدها تحذيراً وأعظمها توبيخاً ما إذا حصل الاتصال الجنسى فى حالة السكر، كما يتضح ذلك من حديث الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أيما امرأة أطاعت زوجها وهو شارب الخمر، كان لها من الخطايا بعدد نجوم السماء، وكل مولود تلد منه فهو نجس، ولا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً حتى يموت زوجها، أو تخلع عنه نفسها»(3).

وقد نقل نص لأحد علماء الغرب بهذا الصدد عن الدكتور كاريل يقول: «إن سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسى بينهما يعتبر جريمة عظيمة، لأن الأطفال الذين ينشأون فى ظروف كهذه يشكون فى الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج»(4).

1- (1) تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسى, ج 7 ص 398.

2- (2) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 5 ص 347.

3- (3) عوالى اللئالى, أبى جمهور الأحسائى, ص 267.

4- (4) راه زندكى, الكسيس كارل, ترجمة, دبيرى, ص 91.

الأرحام الطاهرة

بـالرغم من أن الأب والأم كليهما يشتركان فى صـنع الخليـة الأولى للطفل ويتساوى دورهما فيه (ولهـذا نجـد أن الأطفال يكتسـبون بعض صفاتهم من آبائهم وبعضـها من امَّهاتهم) لكن الرحم هو الذى يصـنع الطفل ويخرج تلك الذرة الصـغيرة بصورة إنسان كامل. وإن جميع الاسـتعدادات التى كانت كامنة فى تلك الخلية الأولية تظهر إلى عالم الفعلية فى رحم الأم كما تقدم. إذن فالمقدرات التفصيلية للطفل من الصـلاح والفسـاد، والجمال والقبـح، والنواقص والكمالات الظاهريـة والباطنيـة كلها تخطط فى الرحم, فهناك مئات التفاعلات والتأثيرات الاختياريـة والاتفاقيـة تمرُّ فى طريق أصـلاب الآباء وأرحام الأُمَّهات، وتؤثر فى الأطفال بصورة خفية حيث تظهر نتائجها جميعا فى الرحم, والرحم هو آخر مراحل التأثيرات المختلفة الطارئة على تكوين الطفل، وعند عبوره هذه المرحلة يبدأ الحياة على الأرض.

إذن فالسـعادة والشـقاء التكوينيّـان للإنسـان يجب البحث عنهمـا فى آخر المراحـل وهو رحم الأـم, ولهـذا نجـد الرسول الأـعظم والأئمة الطـاهرين عليهم السـلام (بـالرغم من عنـايتهم الشديـدة بالتـأثير المشترک لأصـلاب الآباء وأرحام الأُمَّهات حول سـعادة الطفل وشـقائه) يوجهون جل اهتمامهم إلى رحم الأم فيقولون:

«السعيد سعيد فى بطن أمه، والشقى شقى فى بطن أمه»(1).

ولهذا السبب اعتبرت الروايات رحم الأم هو الملاک فى السعادة والشقاء،

1- (1) شرح أصول الكافى, صالح المازندرانى, ج 1 ص 232.

وأغفلت ذكر صـلب الأب من حيث إنّه لا مندوحـة لنا من القول بأن دور الأم فى بناء الطفل يفوق دور الأب بكثير. نعم لو اكتفينا بملاحظة دور الأب والأم فى تلقيـح البويضـة بواسـطة الحيمن لإيجاد الخليـة الأولى للطفل لكانا متساويين فى ذلك الدور، إلا أن الواقع من أن الأم تتحمل فى دور الحمل مسؤولية كبيرة وبالخصوص فيما يتعلق بأسلوب تغذى الأم ونوعه.

فإنّ دور الآباء فى البناء الطبيعى للطفل ينتهى بعد انعقاد النطفة وحصول التلقيح، لكن دور الأم يستمر طيلة أيام الحمل، فالطفل يتغذى من الأم، ويأخذ منها جميع ما يحتاجه فى بنائه. ولهذا فإن لسـلامة الأم ومرضـها، طهارتها ورذالتها، سـكرها وجنونها... أثراً مباشراً فى الجنين. وأشار إلى ذلک كاريل: «إنّ الأب والأم يساهمان بقـدرٍ متساوٍ فى تكوين نواة البويضـة التى تولـد كل خلية من خلايا الجسم الجديد ولكن الأم تهب علاوة على نصف المادة النووية كل البروتوبلازم المحيط بالنواة، وهكذا تلعب دوراً أهم من دور الأب فى تكوين الجنين».

وقـال أيضـا: «إنّ دور الرجل فى التناسل قصـير الأمـد. أما دور المرأة فيطول إلى تسـعة أشـهر, وفى خلال هـذه الفترة يغـذى الجنين بمواد كيمياوية ترشح من دم الأم من خلال أغشية الخلاص»(1).

إنّ الطفـل أشـبه مـا يكون بعضو من أعضـاء الأـم تماماً، عنـدما يكون فى بطنها, وجميع العوامل التى تؤثر فى جسـد الأم وروحها تؤثر فى الطفل أيضا. وهذا بخلاف ما إذا ابتلى أب بعد انعقاد النطفة - بشرب الخمرة أو العوارض الأخرى

1- (1) أنظر: الإنسان ذلک المجهول, الكسيس كارل, ص 79.

فإنها لا تؤثر فى الطفل، لأن صـلة الطفل بأبيه إنما تكون ثابتة إلى حين انعقاد النطفة فقط، لكن صلة الأم تستمر لمدة تسعة أشهر، وعليه فإذا أقدمت الأم – فى أيام الحمل – على شرب الخمر فإن الجنين يسكر ويتسمم أيضا.

فإن أحـد أسـباب سـلامة هيكل الطفل ورشاقـة قوامه أو عدمها فى أيام الحمل يتعلق بالغذاء الذى تتناوله الأم وهى حامل. وكذلك الغذاء الذى كان يتناوله الأب قبل انعقاد النطفة.

آثار الأرحام الملوثة

توجد بين النساء الملوثات بالانحرافات الجنسـية طائفة معلنة بالفجور لا تملك الإيمان كى يراقبن الخوف من الله ولا تملك سـمعة حسـنة فى المجتمع كى يخفن من انفضاح الأمر، ولذلك يرتكبن الزنا من دون اكتراث, ولا يرين فرقاً بين الاتصال القانونى وغير القانونى.

وقد حذر الإسلام الحنيف من هذه الشريحة الملوثة, كما ورد عن الحلبى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام

«لا تتزوج المرأة المعلنة بالزنا ولا تزوج الرجل المعلن بالزنا إلا أن يعرف منهما التوبة»(1).

وهنـاك بعض النساء يتزوجن ولكن نفوسـهن القـذرة الدنيئـة تميل إلى الرجال الأجانب، ومن الممكن أن ترتكب الزنا بالرغم من أنها ذات زوج وتستفيد من ذلك لأنها تجعل الزوج حصناً منيعاً أمام التهم الاجتماعية. إن ما لا شك فيه أن

1- (1) الاستبصار, الشيخ الطوسى, ج 3 ص 168

هـذه المرأة مصابـة بالانـحراف النفسـى وحتى إذا حملت من زوجها القانونى، فإن الطفل بالرغم من كونه قانونياً حسب المقررات الشـرعية ولكنه من جهـة الانحراف الروحى والفساد النفسـى لا يقل عن ولـد الزنا، إذ أن الطفل يرث الصـفات الرذيلـة من أمه فهو ينزع إلى الإجرام والخروج على القـانون. ونأخـذ لـذلک مثالاً: كان الحجاج بن يوسف الثقفى فرداً غير طبيعى، وخطراً فى نفس الوقت، والتاريـخ أحصـى له جرائم وجنايات عظيمـة سودت وجه البشـرية, فقد بلغ عدد من قتله الحجّاج صبراً فى غير حروبه مئة وعشـرين ألفاً. وعندما توفى خلَّف فى محبسه خمسين ألف رجل, وثلاثين ألف امرأة, وكان حبسه لا يكنّهم من برد ولا حرّ, ويسقون الماء مشوباً بالرماد(1). ومن طرائفه المُبكية قالوا عندما أخذه السل وهجره النوم أحضـر منجماً فسأله: هل ترى ملكاً يموت؟ قال: نعم أرى ملكاً يموت ولكن أسـمه كُليب, فقال: بذلک سمّتنى أُمى, قال المنجم كـذلک تدل عليه النجوم, قال الحجّاج: فلأُقدمنّک أمامى, ثم أمر به فضـربت عنقه, ثم مات الحجاج(2). فإنّ مما لا شک فيه أنّ عوامل عديدة تدخلت فى انحراف سـلوک هذا الإنسان مما جعلته خطراً وشريراً إلى هذه الدرجة، ومن الممكن أن قسطاً وافراً من ذلک يرجع إلى روح أمّه المنحرفـة. حيث أنّ امَّ الحجاج التى أسـمها (فارغـة) كانت زوجـة (للمغيرة بن شـعبة) قبل أن تتزوج يوسـف الثقفى, وكان عمر بن الخطاب يسير فى أزقة المدينة فى بعض الليالى... فسمع امرأة تغنى فى أحد البيوت وتنشد البيت الآتى:

1- (1) راجع: موسوعة التأريخ الإسلامى, اليوسفى الغروى, ج 6 ص 518.

2- (2) تاريخ مختصر الدول, ابن العربى, ص 113.

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج؟

فتأثر عمر من هذا البيت، وساءه أن تكون فى عاصمة حكومته امرأة تترنم بغرام شاب أجنبى بالرغم من أنها متزوجة، فأحضر النصر بن الحجاج (وكان شاباً جميلاً) فحلق رأسه وسفّره إلى البصرة(1).

إنّ المرأة المحصنة التى تفكر فى رجل أجنبى وتتمنى معاقرة الخمر والوصول بالنصر بن حجاج إذا حملت من زوجها القانونى نطفة فإنّ انحرافها سيؤثر فى نفس طفلها قطعاً. وأيضا المرأة التى لا تفهم لاحترام القوانين الإلهية والتعاليم الدينية معنى لا يستغرب منها أن تلد طفلاً مثل الحجاج فى فساده وانتهاكه حريم الناس وأرواحهم وأموالهم.

فقد أثبت الواقع الاجتماعى والواقع العلمى بدراساته المستفيضة الأثر الحاسم للوراثة والمحيط الاجتماعى فى تكوين الطفل ونشوئه، وانعكاسات الوراثة والمحيط عليه فى جميع جوانبه الجسدية والنفسية، فأغلب الصفات تنتقل من الآباء والأُمَّهات والأجداد إلى الأبناء، كالذكاء والاضطراب السلوكى وانفصام الشخصية والأمراض العقلية والانضباط الذاتى، وصفات التسامح والمرونة، فيكونون وسطاً مساعداً للانتقال أو يكون فى الأبناء الاستعداد للاتصاف بها، إضافة إلى انعكاس العادات والتقاليد على الأبناء نتيجة لتكرر الأعمال، ومن هنا أكد الإسلام على الزواج الانتقائى، أى بانتقاء الزوجين من أسرة صالحة وبيئة صالحة.

1- (1) تاريخ مدينة دمشق, ابن عساكر, ج 40 ص 275.

اختيار الزوجة

راعى الإسلام فى تعليماته لاختيار الزوجة الجانبين: الجانب الوراثى الذى انحدرت منه المرأة، والجانب الاجتماعى الذى عاشته. ولهذين الجانبين دور كبير فى انعكاسه على سلوكها وسيرتها، كما كشف ذلک رسول الله صلى الله عليه و آله حيث قال:

اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين(1).

فالرسول الأكرم يؤكد على اختيار الزوجة من الأسر التى تحمل الصفات النبيلة، لتأثير الوراثة على تكوين المرأة وعلى تكوين الطفل الذى تلده، وكانت سيرته قائمة على هذا الأساس، فاختار خديجة فأنجبت له أفضل النساء فاطمة عليهاالسلام، وتبعه فى السيرة هذه أهل البيت عليهم السلام فاختاروا زوجاتهم من الأسر الكريمة, أو التى حظيت برعاية وتربية إلهية كما سيأتى. وإلى جانب الانتقاء على أسس الوراثة، أكد الإسلام على انتقاء الزوجة من المحيط الاجتماعى الصالح الذى أكسبها الصلاح وحسن السلوک، وفى نفس الوقت حذر من المحيط غير الصالح الذى تعيشه، فحذر من الزواج من الحسناء المترعرعة فى منبت السوء فقال صلى الله عليه و آله:

إياكم وخضراء الدمن(2) قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال:

المرأة الحسناء فى منبت السوء(3).

وغيرها من الروايات الكثيرة فى هذا المجال وأكدت هذه الروايات على

1- (1) تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسى, ج 7 ص 402.

2- (2) الدمن: البعر. تقول: والماء متدمن، إذا سقطت فيه أبعار الغنم والإبل. الصحاح, الجوهرى, ج 5 ص 2114.

3- (3) الكافى, الكلينى, ج 5 ص 332.

أن يكون التدين مقياساً لاختيار الزوجة، وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يشجع على ذلک، فقد أتاه رجل يستأمره فى الزواج فقال:

عليک بذات الدين تربت يداک(1).

وقدّم الإمام الصادق عليه السلام اختيار التدين على المال والجمال, فقال:

إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وكل إلى ذلک وإذا تزوجها لدينها رزقه الله الجمال والمال(2).

فالمرأة المنحدرة من سلالة طاهرة ومن أسرة صالحة وكان التدين صفة ملازمة لها، فانّ سير الحركة التربوية يتقدم أشواطاً إلى الأمام، وتكون تربيتها للأطفال منسجمة مع القواعد التى وضعها الإسلام فى شؤون التربية، فيكون المنهج التربوى المتبع متفقاً عليه من قبل الزوجين، لا تناقض فيه ولا تضاد، وتكون الزوجة حريصة على إنجاح العملية التربوية وتعتبرها تكليفاً شرعياً قبل كل شىء، وهذا التكليف يجنبها عن أى ممارسة سلبية مؤثرة على النمو العاطفى والنفسى للأطفال.

ولو نظرنا إلى صفة الكرم والجود التى احتوتها نفس حاتم الطائى لرأينا أنّه ورثها من أمه عنترة بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس, فقد ذكر المؤرخون أنّها لا تمسک شيئاً, سخاءً وجوداً، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى، وكانت امرأة موسرة، فحبسوها فى بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع، ثم

1- (1) المصدر نفسه.

2- (2) المصدر نفسه, ج 5 ص 333.

أخرجوها بعد سـنة، وقد ظنوا أنها قد تركت ذلک الخلق، فدفعوا إليها صرمة(1) من مالها وقالوا استمتعی بها. فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها، فقالت: دونک هذه الصرمة، فقد والله مسنی من الجوع ما آليت أن لا أمنع سائلا، ثم أنشأت تقول:

لعمری لقدما عضنی الجوع عضة فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائمی اليوم أعفنی وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوی عذلكم أو عذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركی يا بن أمی الطبائعا(2)

طهارة امَّهات الأئمة

نسـتخلص مما تقدم أنّ اهتمام الهدی السـماوی فی شؤون الأم, وكشـفه عن مدی أهميتها وخطورتها وما تعكسه بالنسبة إلی الأبناء, والذی يلزم أن يكون هذا الوعاء طاهراً خالياً من الشوائب والأدناس كی يخرج منه الجيل الصالح الذی يسعد البشرية وتتحقق منه أهداف الإنسانية, فلا نسـتغرب عنـدما نری اختصاص امَّهات الأئمة الأطهار عليهم السـلام قد حظين بالأدب والتربية الإلهية, وما أوعزته السـماء من اهتمام كبير فی رعايـة هـذه الأوعيـة التی كانت مضاجع لخير الخلق وحملـة الرسالة الإلهية, وهذا معتقد مسـلّم عندنا (أشـهد أنک كنت نوراً فی الأصلاب

1- (1) الصـرمة: القطيع من الإبل, والفرقة من الغنم. وقيل الصـرمة: مابين العشرة الی الأربعن من الإبل. راجع: لسان العرب, ابن منظور, ج 8 ص 196.

2- (2) السيرة النبوية, ابن كثير, ج 1 ص 114.

الشامخة والأرحام المطهرة)(1), وهـذه الطهارة والصـفات الايجابية التى حوتها أمّ المعصوم عليهاالسـلام لـم تكن وليدة الفترة المتأخرة أو المزامنـة باقترانها بالإمام عليه السـلام, حيث ربما يقال أنّه لا يشترط أن تكون أُم الإمام المعصوم عليهاالسـلام طاهرة وكاملة فى بداية أمرها, وإنما يكون ذلک بعد دخولها الإسلام وقد تابت وأحسنت توبتها وحصلت على الطهارة والصفات العالية.

قلنا: صـحيح أنّ التائب من الـذنب كمن لا ذنب له, لكن هـذا لا يرفع الآثار التكوينيـة والمخلفات النفسـية والجسديـة, نعم يصح أن نقول يرتفع عنه العقـاب الأـخروى بحسب تطبيق موازينه وإجراء أحكـامه, وإنمـا تبقى الآثـار التكوينيـة فى الجسـد والنفس جراء تلک الـذنوب وممارسة المنكرات, ويمكن أن نقرب ذلک بمثال: من قبيل لو شـرب الإنسان الخمرة وبعد الشرب مباشرة أدركته الرحمة الإلهية وتاب توبة نصوحة فلا تجديه هذه التوبة عن ترتب الآثار التكوينية (السـكر) حيث يصاب بالسـكر والغثيان وتترتب عليه كل الآثار الجسدية والنفسية, نعم كل ما هنالک يرتفع عنه العقاب الأُخروى فى حال قبول التوبة, وهنا لو فرضنا أنّ أمّ المعصوم عليه السلام كانت تزاول وتمارس المنكر قبـل اقترانها بالإمام عليه السـلام, بلا شک يبقى أثره فى جسـمها ونفسـها ولا تصـلح أن تكون وعاءً وحجراً للمعصوم؛ لأنه سـينعكس عليه جملـة من الآثـار السـلبية جراء تلوث جسـد ونفس الأـم, كما تقـدمت الإشارة إليه من الناحيـة العلميـة والشـرعية, فعليه لابـد أن تكون أمّ المعصوم عليهاالسلام خالية من الشوائب والآثار السلبية لاسيما من اللحاظ الجسدى

1- (1) مصباح المتهجد, الطوسى, ص 721.

والنفسی فی کل أطوار حیاتها, فلابد أن تکون لأم المعصوم درجة رفیعة فی مجال التکامل النفسی والطهارة الروحیة بحیث تجعلها أهلاً لحمل السر الإلهی الذی لولاه لساخت الأرض بأهلها، والنور الربانی الذی أودع فی الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، فلها إذن درجة ترتفع بصاحبها عن مردیات الهوی، ومهلکات النفس، وتسمو به عالیاً نحو المقصود الکلی والوجود الأزلی، من هنا کان اختیار أم المعصوم محفوفاً بألطاف جلیة، ورعایة إلهیة، ومعاجز ربانیة لذلک جاءت جملة من الروایات تکشف لنا اهتمام السماء فی بأُمَّهات المعصومین علیهم السلام, حیث نجد أنّ من ألقاب فاطمة الزهراء علیهاالسلام (البتول): وذلک لأنها لم ترَ الحیض, کما فسّره النبی الأکرم صلی الله علیه و آله عندما سئل عن معناه فقال صلی الله علیه و آله:

هی المرأة التی لم تحض ولم تر حمرة قط وإنّ الحیض مکروه فی بنات الأنبیاء علیهم السلام(1).

وقد رُویَ عنهم علیهم السلام أن سبیل امَّهات الأئمة علیهم السلام سبیل فاطمة علیهاالسلام فی ارتفاع الحیض عنهن. وهذا مما تمیزت به امَّهات أئمتنا علیهم السلام من سائر النساء لأنه لم یصح فی واحدة من جمیع النساء حصول الولادة مع ارتفاع الحیض عنها سواهن تخصیصاً لهن لمکان أولادهن المعصومین صلوات الله علیهم أجمعین(2).

فالمتتبع لقصة أسر شهر بانویه، کما ستأتی فی محلها, واختیارها للإمام الحسین علیه السلام من دون الرجال، وتقریظ أمیر المؤمنین علیه السلام لها بقوله للحسین علیه السلام. (لیلدن لک منها خیر أهل الأرض)، لا یخفی علیه عمق التسدید الإلهی، والإعداد

1- (1) معانی الأخبار, الصدوق, ص 64.

2- (2) تاج المواليد, الشیخ الطبرسی, ص 20

الربانی للحادثة.

ویحدثنا الصادق علیه السلام عن حمیدة أم الإمام الکاظم علیه السلام فیقول:

حمیدة مصفاة من الأدناس، کسبیکة الذهب، ما زالت الأملاک تحرسها حتی أدیت إلی، کرامة من الله لی والحجة من بعدی(1). وفی هذا الحدیث دلالة واضحة علی أنّ أمّ المعصوم علیهاالسلام تعیش تحت الحراسة والرعایة الإلهیة منذ البدء, حیث وَکَّلَ الله تعالی أملاکاً تحرسها وتدرأ عنها شوائب الأقذار؛ وذلک لکی تکون الوعاء المناسب للحجة علیه السلام.

وأیضا ذکر أبو عبد الله الصادق علیه السلام جدته أم أبیه فقال علیه السلام:

کانت صدیقة لم تدرک فی آل الحسن امرأة مثلها(2). وهذا یعنی أنها کانت منذ البدء کاملة طاهرة.

وقد ذکر ابن مهزیار عن الإمام الهادی علیه السلام یصف أمه قائلا:

أمی عارفة بحقی وهی من أهل الجنة، لا یقربها شیطان مارد، ولا ینالها کید جبار عنید، وهی مکلوءة بعین الله التی لا تنام، ولا تختلف عن امَّهات الصدیقین والصالحین(3).

وهکذا کل امَّهات الأئمة طاهرات مطهرات مصطفیات، لجلیل ما یحملن، وعظیم ما اختیر لهن.

1- (1) الکافی, الکلینی, ج 1 ص 477.

2- (2) المصدر نفسه, ج 1 ص 469.

3- (3) الأنوار البهیة, الشیخ عباس القمی, ص 273.

من آثار الحمل بالمعصوم

من أشد المصاعب والآلام التى تمر بها الأم وتعكر عليها صفوة حياتها, هى فى حال حملها بجنينها حيث تعتريها أزمات وأعراض جانبية, نفسية كانت أم جسدية, بالإضافة إلى الثقل وغيره, نعم ربما يختلف ذلک بين امرأة وأخرى اختلافاً بسيطاً, ولكنْ هناک فرقٌ شاسعٌ فى حمل امَّهات الأئمة بالمعصوم عليه السلام يختلف عن حمل باقى النساء من لحاظ الخفة والغشيان وما إليها من الكرامات, كما نقل بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام قال:

ذا حملت بهم امَّهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت فى ذلک يومها ذلک إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثم ترى فى منامها رجلاً يبشرها بغلام، عليم حليم، فتفرح لذلک، ثم تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن فى جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير وتصيرين إلى خير وجئت بخير، أبشرى بغلام، حليم عليم، وتجد خفة فى بدنها ثم لم تجد بعد ذلک امتناعاً من جنبيها وبطنها, فإذا كان لتسع من شهرها سمعت فى البيت حساً شديداً، فإذا كانت الليلة التى تلد فيها ظهر لها فى البيت نور تراه لا يراه غيرها إلا أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً وتفتحت له حتى يخرج متربعاً يستدير بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كانت بوجهه، ثم يعطس ثلاثاً يشير بأصبعه بالتحميد ويقع مسروراً مختوناً ورباعيتاه من فوق وأسفل وناباه وضاحكاه ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور ويقيم يومه وليلته(1).

1- (1) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 387.

أسماء المعصومين وأُمَّهاتهم فى صحيفة الزهراء عليهاالسلام

لم تكن أسماء وألقاب أهل البيت عليهم السلام وحتى ذكر أسماء امَّهاتهم وليدة عصرها, بل هى سابقة فى علم الله ومعرفة أوليائه والمقربين لهم, وهذه واحدة من الروايات التى تذكر ذلک مفصلاً, وكان مدوناً فى صحيفة الزهراء عليهاالسلام, كما ورد عن أبى نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن على الباقر عليهماالسلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً فقال له أخوه زيد بن على عليه السلام: لو امتثلت فى تمثال الحسن والحسين عليهماالسلام لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً فقال له: يا أبا الحسن إن الأمانات ليست بالتمثال ولا العهود بالرسوم وإنما هى أمور سابقة عن حجج الله عز وجل ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال: له يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله لأهنئها بمولودها الحسين عليه السلام فإذا بيديها صحيفة بيضاء من دره فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التى أراها معک؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدى قلت لها: ناولينى لأنظر فيها قالت: يا جابر لولا النهى لكنت افعل لكنه قد نهى أن يمسها إلا نبى أو وصى نبى أو أهل بيت نبى, ولكنه مأذون لک أن تنظر باطنها من ظاهرها قال جابر: فإذا أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة, أبو الحسن على بن أبى طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف, أبو محمد الحسن بن على البر, أبو عبد الله الحسين بن التقى, أمهما فاطمة بنت محمد, أبو محمد على بن الحسين العدل أمه شهربانو بنت يزدجرد, أبو جعفر محمد بن على الباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام, أبو

عبـد الله جعفر بن محمـد الصادق وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمـد بن أبى بكر, أبو إبراهيم موسـى بن جعفر أمه جاريـة اسـمها حميـدة المصـفاة, أبو الحسن على بن موسـى الرضا أمه جارية اسـمها نجمة, أبو جعفر محمد بن على الزكى أمه جارية اسـمها خيزران, أبو الحسـن على بن محمد بن الأمين أمه جارية اسـمها سوسن, أبو محمد الحسن بن على الرفيق أمه جارية اسـمها سمانة, وتكنى أم الحسن, أبو القاسم محمد الحسن هو حجة الله القائم أمه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين(1).

إهمال التاريخ لأُمَّهات الأئمة عليهم السلام

هناک عـدة عوامل وقفت عائقاً أمام الحديث عن ذكر خصوصـيات امَّهات الأئمة عليهم السـلام بشـكل مفصل، أو لا أقل بما يليق بشأنهنَّ ومقامهنَّ السامى الذى أوصـلهنَّ، بأن يكنَّ وعاءً وحجراً لخير أهل الأرض فى زمانه, فهن يعشنَّ فى بحر من الكرامات والمعاجز, وربّما من تلک العوامل هى أن التأريخ عاش وترعرع فى أحضان أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن الواضح لا تسنح الظروف الراهنة آنذاک فى نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام سواء كان من جهة الآباء أو الأُمَّهات, نعم هناک مواقف وكرامات فرضت نفسها على التاريخ وأُختزلَتْ فى أذهان الناس وانتشرت فى ربوع المعمورة وغالبا ما يتأتى هذا من جهة الرجال دون النساء لما تحيطها من ظروف اجتماعية وغيرها.

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام, الشيخ الصدوق, ج 2 ص 47. والاحتجاج, الطبرسى, ج 2 ص 137.

وأيضاً من العوامل التى تقف حائلاً دون ذلک, تحجيم دور المرأة فى المجتمع حينذاک ولم تحظَ بمكانة بينهم فى جميع الأصعدة, ولا نبالغ حينما نقول عانت المرأة خلال العصور التاريخية المختلفة ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعسف فى جميع مراحل التاريخ، وذلک أنّ المرأة كانت فى كثير من المجتمعات شخصية غير مستقلة فى جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فكانت المرأة تعامل معاملة الكائن غير المستقل، وكانوا يستثمرونها بشكل فظيع قريب من حالة التوحش, وبلغ وضع المرأة من الانحطاط بحيث إن صاحبها كان يستفيد منها للارتزاق أحياناً، فيعرضها للإيجار, بما كان يعانيه هؤلاء من فقر حضارى وفقر مادى جعل منهم قساة لا يتورعون عن ارتكاب جريمة (الوأد) بحق الأنثى. نعم مع ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السامية، دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة كل البعد عما سبقها, ففى هذه المرحلة أصبحت المرأة مستقلة ومتمتعة بكل حقوقها الفردية والاجتماعية والإنسانية, لكن بقيت هذه الرواسب الجاهلية كامنة فى أذهان الكثير لاسيما المتغطرسين والمتسلطين على رقاب الناس ما يمنع من نشر فضائل النساء اللاتى خصَّهُنَّ الله بالكرامة والتقدير, والتى فيها مواقف مشرّفة تبيض فيها وجه الإنسانية والتاريخ, ولنأخذ مثالاً مختصراً على بعض المواقف الخالدة من بعض النساء الشامخات, قال المدائنى أتى عبيد الله بن زياد بامرأة من الخوارج فقطع رجلها وقال لها كيف ترين فقالت إن فى الفكر فى هول المطلع لشغلاً عن حديدتكم هذه ثم قطع رجلها الأخرى وجذبها فوضعت يدها على فرجها فقال لتسترينه فقالت لكن سمية

أمک لم تکن تستره(1).

وکـذلک من العوامـل المهمـة أیضاً التی حالت دون وصول تاریـخ وفضائل امَّهات الأئمـة المعصومین علیهم السـلام هی إحراق وإتلاف مکتبات وتراث الشـیعة فی مرّ العصور لاسـیّما فی العصور القدیمة والقریبة من عصـر الأئمة علیهم السـلام, کحرق مکتبة الشـیخ الطوسی رحمه الله والتی تعـد من أکبر المکتبات فی زمانها, وما حـدث علی ید التتار عند دخولهم بغداد من إحراق المکتبات وإلقاء الکتب فی نهر دجلـة حتی أسودَّ مـاؤه. وأیضـا ما جری فی إحراق المکتبات الشـیعیة فی مصـر علی أیـدی الأیوبیین. ولنأخـذ مثالاً لما جری علی الکتب والتراث الشیعی آنذاک, ذکروا أنّ طغرل بک أول ملوک السلاجقة لما ورد بغداد فی سنة (447 ه -) وشن حملته المشهورة علی الشیعة أمر بإحراق مکتبتهم التی أسسها أبو نصر سابور بن أردشیر وزیر بهاء الدولة البویهی فی محلة (بین السورین) فی کرخ بغداد سنة (381 ه (. وقد کانت من دور العلم المهمـة فی بغـداد بناها هذا الوزیر الجلیل والأدیب الفاضل علی مثال بیت الحکمة الذی بناه هارون الرشـید کما ذکر فی ترجمته, وقد جمع فیها هذا الوزیر ما تفرق من کتب فارس والعراق، واسـتکتب تألیف أهل الصین والروم ونافت کتبها علی عشرة آلاف، من جلائـل الآثار ومهام الأسـفار، وأکثرها نسـخ الأصل بخطوط المؤلفین، ولـم یکن فی الـدنیا أحسن کُتباً منها، کانت کلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة. وکان من جملتها مئة مصحف بخط ابن مقلة(2).

1- (1) بلاغات النساء, ابن طیفور, ص 140.

2- (2) أنظر: الصراط المستقیم, علی بن یونس العاملی, ج 2 ص 21.

فنفهم من هـذا وغيره أنّ كثيراً من العلوم القيمة لاسـيما المرتبطة بأهل البيت عليهم السـلام (ليس فقط سـيرة وفضائل امَّهات الأئمة عليهم السلام) قد اتلِفَتْ وأحرقت من قبل المجرمين وحرموا منها الإنسانية أن تواصل مسيرها فى العلم والكمال والإرشاد نحو مستقبل زاهر, هذا إضافة ما جرى على الشيعة من سفک دمائهم ومصادرة أموالهم وما إليه والحديث فى ذلک ذو شجون.

فتحصل أنّ هـذا هو الآخر من الأسـباب التى حالت دون وصول فضائل وكرامات وتاريـخ امَّهات الأئمة المعصومين عليهم السـلام, فربما كـانت قـد أحصـيت ودونت من قبـل العلمـاء حينـذاک كثير ممـا يرتبط بأُمَّهاتهم عليهم السـلام من فضائل وسـيرة وغيرهما ولكن أتلفت وأحرقت مع بـاقى الكتب القيمـة. ويؤيـده مـا ذكر فى الاتهام الباطل لأم الإمام الجواد عليه السـلام (كما سـيأتى فى محله)... ثم قال عليه السلام:

يا عم، ألم تسمع أبى وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: بأبى ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطيبة الفم، المنتجبة الرحم... الخ(1).

فنفهم من هذا أنّ طهارة ونزاهة أم المعصوم عليه السـلام كانت واضـحة فى أذهان غير المعصوم أيضاً, لذلک الإمام الرضا عليه السلام أخذ يـذكر عمه بمـا قاله النبى صـلى الله عليه و آله بحق زوجته السـيدة خيزران. فهناک اهتمام من قبل النبى صـلى الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام فى بيان مزايا وصفات امَّهات المعصومين عليهم السلام ولكن حال دون وصوله الجهل والتخلف والطغيان.

1- (1) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 323.

الفصل الأول: آمنة بنت وهب امُّ النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم

اشارة

ص:43

النسب الطاهر

هى السيدة آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(1).

ووهب بن عبد مناف (أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه و آله) من قريش وهو سيد بنى زهرة قبل الإسلام. وكانت كنيته أبا كبشة، فلما ظهر النبى صلى الله عليه و آله وناوأته قريش كانوا ينسبونه إليه، فيقولون: قال ابن أبى كبشة، وفعل ابن أبى كبشة. وفى وهب يقول أحد معاصريه:

يا وهب يابن الماجدين زهره سدت كلابا – كلها – ابن مره

بحسب زاک وأم حره(2)

ولا يُعلَمُ أنه أكان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبى صلى الله عليه و آله أم لا، ولكنَّ بنى زهرة يقولون: نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه و آله، لأن آمنة منهم وأقارب الأم أخوال، وقد كانت أفضل امرأة فى قريش نسباً وموطناً، ويؤخذ من اللهجة التى كانت تتكلم بها السيدة آمنة أن أصلها من المدينة.

1- (1) تاريخ المواليد, الطبرسى, ص 4.

2- (2) أنظر: الأعلام, خير الدين الزركلى, ج 8 ص 125.

وورد فی لسـان العرب: أن بنی زهرة حی من قریش أخـوال النـبی صـلی الله علیه و آله، وهـو اسم امرأة کلاـب بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر، نسب ولده إلیها. وقد سمت زاهراً وأزهر وزهیراً(1).

وهنـاک قول آخر هو أقرب للصـحة, کمـا نقل عن ابن إسـحاق والطبری وغیرهم أنّ زهرة هو جـد بنی زهرة (وهو اسم رجل) اسـمه زهرة بن کلاب ومن ولده الحارث وعبد مناف ومن ولد عبد مناف وهب(2) (والد آمنة بنت وهب, أم النبی صلی الله علیه و آله).

وأما نسـبها من الأم: هی آمنة بنت برة بنت عبد العزی بن عثمان بن عبد الدار بن قصـی بن کلاب، وأم برة أم حبیب بنت أسد بن عبد العزی بن قصی بن کلاب(3).

ونسـبها قریب جداً من سلسلة النبوة، فهی متصلة من الطرفین بنسب النبی صلی الله علیه و آله بوسائط قریبة. فإن نسب النبی صلی الله علیه و آله یتحد بأبیه وأمه فی کلاب, الذی هو الجد الخامس للنبی صلی الله علیه و آله.

ومحل ولادتها مکـة المکرمة, ما یقارب سـنة (76) قبـل الهجرة, لهـا من العمر (30 سـنة), حیث ذکروا أنّ تاریـخ وفاتها سـنة (46) قبل الهجرة, وقیل سنة (576) بعد المیلاد(4).

1- (1) لسان العرب, ابن منظور, ج 4 ص 333.

2- (2) انظر: حاشیة البدایة والنهایة, ابن کثیر, ج 2 ص 268.

3- (3) الطبقات الکبری, ابن سعد, ج 1 ص 59.

4- (4) راجع: کتاب کاروانی با سیزده کجاوه, ص 21. ومادران معصومان, أحمد أمیری بور, ص 42.

وآمنة تلى خديجة الكبرى فى جلالة القدر وفى كمالها وجمالها الصورى والمعنوى ونبل المقام فى مكة المكرمة, وشهد الكثير بطهارتها وتكامل صفاتها, حيث قالوا: إن رحم آمنة أشرف الأرحام وأسماها وأعلاها إذ استقرت فيه نطفة كريمة عظيمة ما زالت تتقلب فى الأصلاب بتدبير وتقدير من البارى عز وجل حتى استفرغها عبدالله فتى قريش لكى يبقى الاصطفاء حقيقة فاعلة, وذلك لأنه حمل خاتم النبيين وإمام المرسلين مع إيماننا وإقرارنا باصطفاء مريم بنت عمران, وسيأتى الكلام عن ذلك.

نبذة عن أبناء كلاب

لا بأس أن نلقى نظرة مقتضبة فى حال أبناء كلاب كل من زهرة جد آمنة (والدة النبى صلى الله عليه و آله) وأخيه قصى جد عبدالله (والد النبى صلى الله عليه و آله) وكلهم أبناء كلاب, فقد ذكر المؤرخون أن قصياً اسمه زيد وإنما قيل له قصى؛ لان أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصى فاطمة بنت سعد بن سيل, فولدت لكلاب زهرة وزيداً (قصى) فهلك كلاب وزيد صغير وقد شب زهرة وكبر, فقدم ربيعة ابن حرام وتزوج فاطمة أم زهرة وقصى, وزهرة رجل قد بلغ وقصى فطيم أو قريب من ذلك فاحتملها إلى بلاده من أرض بنى عذرة من أشراف الشأن فاحتملت معها قصياً لصغره وتخلف زهرة فى قومه فولدت فاطمة بنت سعد بن سيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة فكان أخاه لأمه وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وشب زيد فى حجر ربيعة فسمى زيد قصياً لبعد داره عن دار قومه ولم يبرح

زهرة مكـة فبينا قصـى بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمى فيما يزعمون إلا إلى ربيعة بن حزام إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شـىء وقد بلغ قصـى وكان رجلاً شاباً فأنبه القضاعى بالغربة وقال له ألا تلحق بقومک ونسـبک فإنک لست منا فرجع قصـى إلى أمه وقد وجد فى نفسه مما قـال له القضاعى فسألها عما قال له ذلک الرجل فقالت له أنت والله يا بنى أكرم منه نفساً ووالـداً أنت ابن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالک بن النضـر بن كنانة القرشى وقومک بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله فأجمع قصى الخروج إلى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قضاعة فقالت له أمه يا بنى لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليک الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فإنى أخشى عليک أن يصـيبک بعض البأس فأقام قصـى حتى إذا دخل الشـهر الحرام خرج حاج قضاعـة فخرج فيهم حتى قـدم مكة فلما فرغ من الحج أقام بها وكـان رجلاً جليـداً نسـيباً فخطب إلى حليل بن حبشـية الخزاعى ابنته حبى بنت حليل فعرف حليل النسب ورغب فيه فزوجه وحليل يومئذ فيما يزعمون يلى الكعبـة وأمر مكة فأقام قصـى معه يعنى مع حليل وولدت له ولده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد ابنى قصـى فلما انتشـر ولده وكثر ماله وعظم شرفه هلک حليل بن حبشية فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبنى بكر وأن قريشاً فرعة إسماعيل بن إبراهيم, وصـريح ولده فكلم رجالاً من قريش وبنى كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه يدعوه إلى

نصرته والقيام معه فقام رزاح بن ربيعة فى قضاعة فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك(1).

وبقيت هذه الأخوة المتأصلة والمودة بين بنى زهرة وابناء قصى مستمرة وكانت بنو زهرة تحمل الود والإخلاص لبنى عبد مناف وكانت معها فى حلف فى الضراء والسراء, وكانوا متجاورين لا تنفصل بيوتهم, وحينما جزأت قريش الكعبة كان شق الباب لبنى عبد مناف وبنى زهرة.

تقرش قريش

قريش فى اللغة: هو تصغير القرش, وهى دابة فى البحر لا تدع دابة إلا أكلتها, فجميع الدواب تخافها(2).

وفى الاصطلاح: قبيلة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر، فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه، كما هو المشهور فى أنّ قريش تقرشت (أى تجمعت) من النضر ابن كنانة، وكان لكنانة ولد غير النضر ولا يسمون قريشاً. وقيل: من فهر بن مالک ابن النضر، وسبب ذلک أن أولاد النضر كانوا قد تفرقوا فى البلاد لاستيلاء خزاعة عليهم فلما انتقل أمر مكة من خزاعة إلى قصى بن كلاب جمع أولاد النضر فى مكة فسموا قريشاً، وفى قريش بطون كثيرة(3).

1- (1) راجع: تاريخ الطبرى, الطبرى, ج 2 ص 14.

2- (2) لسان العرب, ابن منظور, ج 6 ص 335.

3- (3) أنظر: شرح أصول الكافى, مولى محمد صالح المازندرانى, ج 5 ص 229.

والحاصل: سـميت بذلک لتقرشها أی تجمعها إلی مکة من حوالیها بعد تفرقها فی البلاد حین غلب علیها قصی بن کلاب، وبه سمی قصی مجمعاً.

وقیل: سـموا بقریش هو مشتق من الدابة التی ذکرت وهی التی تخافها جمیع الدواب, کما فی حدیث ابن عباس فی ذکر قریش قال: هی دابة تسکن البحر تأکل دوابه(1) ، وبها سـمیت قریش قریشاً. وقیل: سمیت باسم قریش بن مخلد بن غالب بن فهر, حیث کان صاحب عیرهم, فکـانوا یقولون: قـدمت عیر قریش وخرجت عیر قریش. وقیل: سـمیت بـذلک لأنهم کانوا أهل تجارة ولم یکونوا أصـحاب ضـرع وزرع, من قولهم: فلان یتقرش المال أی یجمعه(2).

الکمالات العالیة للسیدة آمنة

بلاـ شـک أنّ المرأة التی تحظی بهـذا الفخر العظیم وتکون وعاءً لخاتم النبیین وخیر الخلق أجمعین من الأولین والآخرین لابـد وأن تکون متصفة بکمالات عالیة تؤهلها لذلک سواء علی الصعید المادی أو المعنوی کی تکون مستعدة لتقبل النور النبوی.

وعلیه قـد روی فی أوصـاف آمنـة أم النبی صـلی الله علیه و آله أنهـا کانت کالمرآة المضـیئة، ووجهها کفلقـة قمر، وکانت من أحسن النساء جمالاً وکمالاً، وأفضـلهن حسـباً ونسـباً. قال عبد المطلب لولده عبد الله: «فوالله ما فی بنات أهل مکة مثلها، لأنها محتشمة ونفسها طاهرة مطهرة، وهی دیّنة أدیبة عاقلة فصیحة بلیغة، وقد

1- (1) أنظر: معجم البلدان, الحموی, ج 4 ص 337.

2- (2) أنظر: لسان العرب, ابن منظور, ج 6 ص 335.

كساها الله جمالاً لا يوصف»(1). ويمكن استكشاف أدبها وفضلها وعقلها وإيمانها وبيانها المليح من أبياتها المنظومة وكلماتها المنثورة، ومنها ما خاطبت به النبى الخاتم صلى الله عليه و آله قبل وفاتها:

إن صح ما أبصرت فى المنام فأنت مبعوث على الأنام

من عند ذى الجلال والإكرام تبعث فى الحل وفى الحرام

تبعث بالتحقيق والإسلام دين أبيک البر إبراهيم

فالله أنهاک عن الأصنام أن لا تواليها مع الأقوام(2)

وهذه الأبيات هل يفهم منها سوى إيمانها وتحقق إسلامها، وإتباعها لملة إبراهيم الحنيف؟ ومن ذرابة لسانها وحلاوة بيانها وحسن منطقها وعقيدتها الصحيحة, أنها قالت فى بعض نثرها عند وفاتها: كل حى ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باق، وقد تركت خيراً, وولدت طهراً والسلام(3).

فلا تستغرب من هذا المنطق الدقيق والنظر البعيد الذى يحمل فى طياته روح الإيمان والإخلاص بالله وبالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله, فالله أعلم حيث يضع نور نبيه الخاتم, وعليه فإن آمنة بنت وهب من كبار النساء، ومن أشراف النسوة المكرمات، وإنها من أعلى العرب نسباً وحسباً، سطع نور فخرها إلى السماوات

1- (1) بحار الأنوار, المجلسى, ج 15 ص 99.

2- (2) سبل الهدى والرشاد, الصالحى الشامى, ج 2 ص 121.

3- (3) سبل الهدى والرشاد, الصالحى الشامى, ج 2 ص 121.

العلى، وهبت ريـاح عطرهـا فى كل ذرات الهواء، فلها الفضل الجميل، ولـم يسـمع لها بمثيل، أذاقنا الله من أسـرار نفحاتها، وأعاد على من آمن بها وبإيمانها من بركاتها ورحماتها.

وأن الواقدى ومن شاكله رووا أخباراً فى ولادة النبى صـلى الله عليه و آله تشـعر فى الغالب بجلالة قدر آمنة وصلابة إيمانها ومن فضل تلك الدرة اليتيمة والسـيدة الكريمة والجوهرة الثمينة والحسـناء الحصـينة آمنة عليهاالسـلام أنها صارت وعاءً للوجود النبوى المقدس، ونالت به شرف الأمومة، ولنعم ما قاله الحلبى: فهنيئا لآمنة الفضل الذى حصل لها بسـبب ولادتها له صلى الله عليه و آله أى لا يشوب ذلک الفضل كدر ولا مشـقة الذى شـرفت بذلک الفضل حواء التى هى أم البشر ومن يشفع لحواء فى أنها حملت به وأنه أصابها نفاس به يوم أعطيت آمنة بنت وهب بسـبب وضـعه من الفخار وهو ما يمتدح به من الخصال العلية والشـيم المرضـية ما لم يعطها غيرها من النساء أى وقد أقسم الله بليلـة مولده صـلى الله عليه وسـلم فى قوله تعالى:(وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ) وقيل أراد بالليل ليلة الإسـراء ولا مانع أن يكون الأقسام وقع بهما أى اسـتعمل الليل فيهما ويـدل لكون ولادته صـلى الله عليه و آله كانت ليلاً, قول بعض اليهود ممن عنـده علم الكتاب لقريش هل ولـد فيكم الليلة مولود؟ قالوا لا نعلم, قال ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة إلى آخر(1).

والأفضل منه ما قيل فى ولادته صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام معاً: كما عن السيد الحميرى المتوفى (173) قال:

1- (1) السيرة الحلبية, الحلبى, ج 1 ص 95.

ولدته فی حرم الإله وأمنه والبیت حیث فناؤه والمسجد

بیضاء طاهرة الثیاب کریمة طابت وطاب ولیدها والمولد

فی لیلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنیر الأسعد

ما لُفَّ فی خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبی محمد(1)

وروی أن کعب الأحبار الیهودی قال لمعاویة: إنی قد قرأت اثنین وسبعین کتاباً کلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانیال کلها، ووجدت فی کلها ذکر مولده ومولد عترته، وأن اسمه لمعروف، وأنه لم یولد نبی قط فنزلت علیه الملائکة ما خلا عیسی وأحمد (صلوات الله علیهما)، وما ضرب علی آدمیة حجب الجنة غیر مریم وآمنة أم أحمد صلی الله علیه و آله، وما وکلت الملائکة بأنثی حملت غیر مریم أم المسیح وآمنة أم أحمد... الخ(2).

ولا شک أنّ الله یأبی أن یساوی بین امرأة کافرة وأخری مؤمنة مثل مریم ویکرمهما بنفس التکریم، فما الفرق بین الإیمان والکفر حینئذ؟ وأی میزان سیمیز بینهما فی العبودیة؟ وذکر هذا الشرف فی حق فاطمة أیضا التی صارت وعاءً للأئمة المعصومین علیهم السلام، ونالت فضیلة الأمومة للأولیاء الکاملین. وهکذا کان الوعاء الشریف الذی ضم الوجود المحمدی السعید، عظیماً فی ذاته، تمیز بالمزایا الذاتیة والأصالة الفطریة، فحسدتها لذلک نساء مکة وتمنین منزلتها وأثنین علیها بکل تلک الکرامات والسعادات والمواهب الجمیلة والمناقب الجلیلة، وبارکن

1- (1) الغدیر, الشیخ الأمینی, ج 6 ص 28.

2- (2) الأمالی, الشیخ الصدوق, ص 698. وبحار الأنوار, المجلسی, ج 15 ص 261.

لأبيها بهـذه النعمة المحمودة والمكرمة المسـعودة، وكان الناس رجالاً ونساءً يدعون النبى بها، وينسـبونه إليها كما فعل الجارود ابن المنذر النصرانى فى عام الحديبية حينما أسلم، وكان عالماً بالطب والفلسفة والكتب السماوية; قال فى قصيدة:

أتيتک يا بن آمنة الرسولا لکى بک أهتدى النهج السبيلا

إلى آخر ما قال(1).

ولم تكن هذه النسبة إهانة، بل كانت على سبيل التفخيم والجلالة.

طهارتها وإيمانها بالله

ما تجـد فى سـيرة آمنـة بنت وهب عند أدنى متابعة إلا الكرامات والمعاجز, وذوبانها فى الله وشدة توحيدها, وهذا ديدن الأسـرة الهاشـمية حسب سلسـلة طهارة وتوحيـد آباء النبى الخاتم صـلى الله عليه و آله (هذا مع غض النظر من أنها وعاء وحاضـنة النبوة والذى هو بحد ذاته دليل قاطع على طهارتها ومدى إيمانها), وقد كشف عن مدى إيمانها وطهارتها النبى صـلى الله عليه و آله والمعصومون عليهم السلام, فقد فاضت الأدلـة على ألسـنة العلماء والمحـدثين لـدى الفريقين, فمن ذلک: ما رواه الثعلبى والواحـدى وابن بطة، عن عطاء وعكرمة، عن ابن عباس فى قوله تعالى:(وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ) يعنى ندبرک من أصـلاب الموحدين من موحد إلى موحد حتى أخرجک فى هذه الأمة، وما زال رسول الله صلى الله عليه و آله، يتقلب فى أصلاب الأنبياء والصالحين حتى ولدته أمه(2).

1- (1) راجع: كنز الفوائد, ابو الفتح الكراكجى, ص 258.

2- (2) الدر المنثور, جلال الدين السيوطى, ج 5 ص 98.

وعن على عليه السلام: أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال:

«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى، ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء»(1). لقد منّ الله عليه بالآباء الطاهرين الساجدين. ولو عنى سجدة الأصنام لما منّ عليه؛ لأن المنّة على الكفر قبيح.

وقد انتهى النبى صلى الله عليه و آله إلى رسم قبر، فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب, ثم بكى, فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال هذا قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربى فى زيارة قبرها فأذن لى، فزوروا القبور يذكركم الموت.(2) ولو لم تكن مؤمنة لما جاز له زيارتها، ولا أذن له، لقوله تعالى:(وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ)3 .

وعن أبى عبد الله عليه السلام قال: نزل جبرئيل على النبى صلى الله عليه و آله فقال:

«يا محمد إن الله جل جلاله يقرؤك السلام ويقول: إنى قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»(3) يعنى عبد الله وآمنة وأبا طالب وفاطمة بنت أسد.

وقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«لم يزل ينقلنى من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجنى فى عالمكم هذا»(4).

1- (1) البداية والنهاية, ابن كثير, ج 2 ص 255.

2- (2) راجع: صحيح مسلم, ج 2 ص 672 باب 36 من كتاب الجنائز ح 106.

3- (4) روضة الواعظين, ص 139. الكافى, ج 1 ص 446 باب مولد النبى ح 21.

4- (5) أوائل المقالات, الشيخ المفيد, ص 46.

وعن الصادق جعفر بن محمـد، عن أبيه، عن جـده، عن أبيه عليهم السـلام، قال: سـئل النبى صـلى الله عليه و آله أين كنت وآدم فى الجنة؟ قال:

كنت فى صـلبه، وهبط بى إلى الأرض فى صـلبه، وركبت السـفينة فى صلب أبى نوح، وقذف بى فى النار فى صلب أبى إبراهيم، لـم يلتق لى أبوان على سـفاح قط، ولـم يزل الله عز وجل ينقلنى من الأصـلاب الطيبـة إلى الأرحام الطاهرة هادياً مهـدياً حتى أخـذ الله بالنبوة عهـدى، وبالإسـلام ميثاقى، وبين كل شـىء من صـفتى، وأثبت فى التوراة والإنجيل ذكرى، ورقى بى إلى سمائه، وشق لى اسماً من أسمائه الحسنى، أمتى الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد(1).

وعن الكلبى أنه قال كتبت للنبى صلى الله عليه و آله خمسمائة أم, أى من قبل أمه وأبيه فما وجدت فيهن سفاحاً والمراد بالسفاح الزنا أى فإن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها إن أراد(2).

وقال ابن هشام: فرسول الله صلى الله عليه و آله أشرف ولد آدم حسباً وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأمه(3).

وقـال الشـيخ المفيـد, أجمعوا على أن آمنـة بنت وهب كـانت على التوحيـد، وأنهـا تحشـر فى جملـة المؤمنين وأن آمنـة بنت وهب كانت مسلمة(4). بل من خيرة المؤمنات العالمات.

1- (1) الأمالى, الشيخ الصدوق, ص 723.

2- (2) السيرة الحلبية, الحلبى, ج 1 ص 65.

3- (3) السيرة النبوية, ابن هشام, ج 1 ص 127.

4- (4) أوائل المقالات, الشيخ المفيد, ص 46.

مكر اليهود فى إطفاء النور المحمدى

اجتمع الأحبار بأرض الشام، وتكلموا فى مولد رسول الله صلى الله عليه و آله, فلما أيقنوا أنه قد قرب خروج صاحب السيف، وظهرت أنواره تشاوروا فيما بينهم وساروا إلى حبر لهم وكان فى قرية من قرى الأردن، وكانوا يقتبسون من علمه، وكان ممن عمر فى زمانه، فقصده القوم، فلما وصلوا إليه قال لهم: ما الذى أزعجكم؟ قالوا له: إنا نظرنا فى كتبنا فوجدنا صفة هذا الرجل السفاك الذى تقاتل معه الأملاك، وما نلقى عند ظهوره من الأهوال والهلاك، وقد جئناك نشاورك فى أمره قبل ظهوره وعلو ذكره، قال: يا قوم إن من أراد إبطال ما أراد الله فهو جاهل مغرور، وإنه لكائن بكم، وهذا الذى ذكرتم قد سبق أمره عند الله، فكيف تقدرون على إبطاله؟ وهو مبطل كهانة الكهان، ومزيل دولة الصلبان، وسيكون له وزير وقريب، فلما سمعوا كلامه خافوا وحاروا، فقام حبر من أحبارهم يقال له: هيوبا بن داحورا، وكان كافراً شديد البأس، فقال لهم: هذا رجل قد كبر وخرف وقل عقله فلا تسمعوا من قوله، ثم قال لهم: أرأيتم الشجرة إذا قطعت من أصلها فهل تعود خضرا؟ قالوا: لا، قال: فإن قتلتم صاحبكم هذا الذى يخرج من صلبه هذا المولود فما الذى تخافون منه؟ فقوموا هذه الساعة وخذوا معكم تجارة وسيروا إلى البلد الذى هو فيها، يعنى مكة، فإذا وصلتم دبرتم الحيلة فى هلاكه فتبعوا قوله وقالوا له: أنت سيدنا، قال لهم: افعلوا ما آمركم به، وأنا معكم بسيفى ورمحى، ولكن ما أسير معكم حتى تعاهدونى، فيعمد كل واحد منكم إلى سيفه ليسقيه سما فأجابوه إلى ذلك وافترقوا، ثم اجتمعوا بايلة، وخرجوا بجمالهم محملة بالتجارة، وساروا

حتى وصلوا مكة، فكان كل من لقاهم يحدثهم بحسن عبد الله وجماله، فوقع فى قلوبهم الكمد والحسد، فجعلوا يسومون متاعهم ولا يبيعون منه شيئا، وإنما يريدون بذلک المقام بمكة والحيلة فى قتل عبد الله, فأقبل يوما عبد المطلب وهو قابض على يد ولده عبد الله، ومرّ باليهود، وكان عبد الله قد رأى رؤيا أفزعته، فخرج مرعوبا إلى أبيه فقال: ما أصابک يا بنى؟ قال: رؤيا هالتنى، قال: رأيت سيوفا مجردة فى أيدى قردة وهم قعود على أدبارهم، وأنا أنظر إليهم وهم يهزون السيوف ويشيرون بها إلى فعلوت عنها فى الهواء، فبينما أنا كذلک وإذا بنار قد نزلت من السماء فزادتنى خوفا، وقلت: كيف خلاصى منها؟ فبينما أنا كذلک وإذا بالنار قد وقعت على القردة فأحرقتهم عن آخرهم، فزادنى ذلک رعبا، فقال له أبوه: وقاک الله يا بنى شر ما تحاذر من الحساد والأضداد، فإن الناس يحسدونک على هذا النور الذى فى وجهک، ولكن لو اجتمعت أهل الأرض انسها وجنها لم يقدروا على شىء، لأنه وديعة من الله عز وجل لخاتم الأنبياء، وهاهنا أحبار اليهود من الشام وفيهم الحكمة والمعرفة فقم معى حتى أقص عليهم رؤياک، فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله ودخلا عليهم، فلما نظر إليه الأحبار وهو كأنه البدر المنير نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الذى نطلبه، فقال لهم عبد المطلب: يا معاشر اليهود جئنا إليكم نخبركم برؤيا رآها ولدى هذا، فقالوا له: وماذا؟ فقص عليهم الرؤيا، فزادهم حنقاً عليه، وقال له هيوبا: أيها السيد إنها أضغاث أحلام وأنتم سادات كرام، ليس لكم معاند ولا مضاد، ثم انصرف عبد المطلب بولده(1).

1- (1) راجع: بحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 15 ص 92.

موقف من بسالة عبدالله

أقام اليهود أياماً يريدون الحيلة فى اغتيال والد النبى صلى الله عليه و آله (عبدالله) فلم يجدوا إلى ذلک سبيلاً، وكان عبد الله مغرماً بالصيد، وكـان إذا خرج إلى الصـيد لاـ يرجع إلا ليلاً، وكان يخرج مع أبيه فلم يجـدوا إلى ذلک سبيلاً حتى خرج ذات يوم وحـده فخرجوا وراءه من حيث لا يشعر بهم أحد، فقال لهم هيوبا: ما انتظاركم وقد خرج الذى تطلبونه؟ فقالوا له: إنا نخاف من فتيان مكة وفرسان بنى هاشم وهم لا يطاقون وقد ذلت لهم العمالقة وغيرهم، ونخشـى أن يشعروا بنا، فلما سمع هيوبا مقالتهم قال: خاب سعيكم، فإذا كنتم هكذا فما الذى أتى بكم إلى هاهنا؟ فلابـد من قتل هـذا الغلام، ولو طال عليكم المقام، ولم تجـدوا يوماً مثل هـذا اليوم، فإذا قتلناه وخفتم التهمة به فعلى ديته، وكانوا قد بعثوا عبداً من عبيدهم ينظر إلى أين يتوجه عبد الله، فرجع العبد وأخبرهم أنه قد غاب بين الجبال والشعاب، وقد خرج من العمران، وليس عنده إنسان، فعزم القوم على ما أملوه، وجعلوا نصـفاً عند الأمتعة، والنصف الآخر أخذوا السـيوف تحت ثيابهم وخرجوا قاصدين عبد الله والعبـد أمامهم حتى أوقفهم عليه، وكان عبـد الله قد صاد حمار وحش وهو يسـلخه فنظر إلى القوم وقد أقبلوا عليه، فقال لهم هيوبا: هذا صـاحبكم الـذى خرجتم من أوطانكم فى طلبه، فما أحس عبـد الله إلا وقـد أحاطوا به، وكانوا قـد افترقوا فرقتين، وقالوا للـذين خلفوهم عند متاعهم: إذا دعوناكم أجيبونا مسـرعين، فلما أشـرفوا على عبـد الله وقد سدوا الطرقات، وزعموا أنهم قد حكموا عليه، فرفع عبد الله رأسه إلى السماء، ودعا الله تعالى وأقبل إليهم وقال: يا قوم ما شأنكم؟

فوالله مـا بسـطت يـدى إلى واحـد منكم بمكروه أبـداً فتطالبونى به، ولا غصـبت مالاً قط، ولا قتلت أحـداً فاقتل به، فما حاجتكم؟ فإن يكن سبقت منى فعلـة سوء إليكم فـأخبرونى حتى أعرفها، واليهود يومئـذ تلثموا ولـم يبين منهم إلا حماليق الحـدق، فلم يردوا عليه جواباً، وأشار بعضـهم إلى بعض وهموا بـالهجوم عليه، فجعـل نبلـة فى كبـد قوسه ورمى بها نحوهم فأصابت رجلا منهم فوقع ميتا، ثم رماهم بأربع نبال أصابت أربعة رجال فاشتغلوا عنه بأنفسهم(1).

يمكرون ويمكر الله

بعـدما عجزوا عن مواجهة عبدالله أخذوا يدبرون الخديعة فى قتله حيث قال له هيوبا: يا فتى احبس عنا نبالک فقد أسـرفت فى فعالک، ولقد قتلت منا رجالاً من غير ذنب ولا سابقة سبقت منا إليک، ونحن قوم تجار، ونحن الذين وقفت علينا بالأمس مع أبيک، وكان لنا عبد قد هرب منا، فلما رأيناک أنكرناک، فعنـدما عرفناک أنک عبـد الله فنحن ما لنا معک طلابـة، وأنک لأعزُّ الخلق علينا، وأكرمهم لدينا، فامض لسبيلک فقـد سـمحنا لـک بما فعلت فينا، فقال لهم: يا ويلكم ما الـذى تبين لكم منى أنى عبـدكم؟ فهل عبـدكم مثلى، أو صـفته صـفتى، أو لهُ نور كنورى؟ فقـالوا له: إنما دخلنا الشک وأنت متباعـد عنا، فلما قربت منا وعرفناک، فاسـمح لنا بما كان منا إليک فإنا سـمحنا لک بما كان وإن كان وأعظم من ذلک أنک قتلت منا رجالاً لا ذنب لهم، ونحن حيث أكلنا طعام أبيک وشـربنا شرابه فنحن لک شاكرون، وأنت أولى بكتمان ما كان اليوم منا، فلما سمع عبد الله كلامهم زعم أنه

1- (1) راجع: المصدر نفسه, ج 15 ص 95.

حق وهو خديعة، ثم إنه ركب جواده وأخذ قوسه وعطف إلى ناحية المضيق، فلما رآه القوم قد أقبل عليهم يريد الخروج بادروا إليه بأجمعهم وجعلوا يرمونه بالحجارة وقاموا إليه بالسيوف، فجعل يكر فيهم كرة بعد كرة، فعند ذلک صاح فيهم هيوبا فتبادروا إليه بأجمعهم وهو يكر فيهم يميناً وشمالاً، وكلما رمى رجل خر صريعاً ونزل عبد الله عن فرسه واستند إلى المضيق، وقد أقبلوا إليه من كل جانب يرمونه بالحجارة، فبينما هم فى المعركة وإذا هم برجال قد أقبلوا بأيديهم السيوف مشهورة وهم عراة مسرعون نحوهم، فإذا هم بنو هاشم، وأبو طالب وفتيان مكة وكان فى أولهم أبو طالب وحمزة والعباس، فعند ذلک ناداه أبوه فقال: يا بنى هذا تأويل رؤياک من قبل، فما استتم كلامه حتى أحاط بعبد الله إخوته وأقاربه(1).

زواج السيدة آمنة من عبد الله

ذكر المؤرخون أن عبد الله بن عبد المطلب تزوجها (آمنة بنت وهب) وله ثلاثون سنة, وقيل: خمس وعشرون سنة(2). وذكر اليعقوبى: وبعد حفر زمزم بعشر سنين وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة كان تزويجه بآمنة بنت وهب وكان سنّه يوم تزويجها أربعا وعشرين سنة(3).

وذلک خرج به أبوه عبد المطلب إلى وهب فزوجه ابنته. وقيل: كانت آمنة

1- (1) راجع: المصدر نفسه, ج 15 ص 96.

2- (2) ذخائر العقبى, أحمد بن عبدالله الطبرى, ص 258

3- (3) تاريخ اليعقوبى, ج 2 ص 9.

فی حجر عمها وهیب بن عبـد مناف، فخطب عبد المطلب ابنته هالة بنت وهیب لنفسه, وخطب لابنه عبد الله آمنة ابنة وهب. فهو قد تزوج هالة وزوّج ابنه آمنة فی مجلس واحد. فولدت آمنة رسول الله وولدت هالة لعبد المطلب حمزة(1).

وهب یرغب فی تزویج عبد الله

ذکر أن وهب أقبل علی زوجته برة بنت عبد العزی وقال لها: یا برة لقد رأیت الیوم عجباً من عبد الله (والد النبی صلی الله علیه و آله) ما رأیته من أحد، وهو یکر علی هؤلاء القوم (یقصد الیهود الذی مرّ ذکرهم)، وکلما رماهم بنبلة قتل منهم إنساناً، وهو أجمل الناس وجهاً مما خصه الله تعالی من الضـیاء الساطع، فامضـی إلی أبیه واخطبیه لابنتنا واعرضیها علیه، فعسی أن یقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظیمة، قالت له یا وهب: إن رؤسـاء مکـة وأبطـال الحرم وأشـراف البطحاء قـد رغبوا فیه فأبی عن ذلک، وقـد کاتبه ملوک الشام والعراق علی ذلک فأبی علیهم، فکیف یتزوج بابنتنا وهی قلیلـة المال؟ قال لها: إن لی علیهم الید إننی أخبرتهم بأمر عبد الله مع الیهود، ثم إن برة قامت ولبست أفخر أثوابها وخرجت حتی أتت دار عبـد المطلب فوجـدته یحـدث أولاده بالخبر، فقالت: أنعم الله مساءکم، ودامت نعماؤکم، فرد علیها عبد المطلب التحیة والإکرام، وقال لها: لقد سلف لبعلک الیوم علینا ید لا نقدر أن نکافیه أبداً، وله أیاد بالغة بذلک، وسنجازیه بما فعل إن شاء الله تعالی، فطمعت برة فی کلامه، ثم قال: بلغی بعلک عنا التحیـة والإکرام وقولی له: إن کان له لـدینا حاجة تقضـی إن شاء الله مهما کانت، فقالت له برة: یا أبا الحارث

1- (1) مستدرکات علم رجال الحدیث, الشیخ علی النمازی الشاهرودی, ج 8 ص 545.

قد طلبنا تعجيل المسرة، وقد علمنا أن ملوک الشام والعراق وغيرهم تطاولت إليكم، وقد رغبوا فی ولدكم يطلبون أولادكم وأنواركم المضيئة، ونحن أيضا طمعنا فيمن طمع فی ولدكم عبد الله، ورجوناه مثل من رجا. وقد رجا وهب أن يكون عبد الله بعلاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين وراغبين فی النور الـذی فی وجه ولدكم عبد الله، ونسألكم أن تقبلونا، فإن كان مالها قليلاً فعلينا ما نجملها به وهی هدية منا لابنک عبد الله، فلما سمع عبد المطلب كلامها نظر إلی ولده وكان قبل ذلک إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوک يظهر فی وجهه الامتناع، وقال أبوه: ما تقول يا بنی فيما سـمعت؟ فوالله ما فی بنات أهل مكة مثلها، لأنها محتشـمة فی نفسـها طاهرة مطهرة، عاقلة دينة، فسـكت عبد الله ولم يرد جواباً، فعلم أبوه أنه قد مال إليها، فقال عبد المطلب: قد قبلنا دعوتكم، وأجبنا ورضينا بابنتكم(1).

فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة

بعد ما سـمعت فاطمة زوجة عبد المطلب ما دار بين زوجة وهب وبنی هاشم فی تزويج ابنها عبد الله قالت أنا أمضی معک إليها حتی أنظر إلی آمنة، فرجعت برة مسـرورة بما سـمعت، ثم سارت إلی زوجها مسـرعة وبشـرته وسـمعت أم آمنة هاتفاً فی الطريق يقول: (بخ بخ لكم يا معشـر أهل الصـفا، قد قرب خروج المصـطفی)، فدخلت علی زوجها فقال: وما وراءک؟ قالت: لقد سـعدت سـعادة علا قدرک فی جملة العالمين، اعلم أن عبـد المطلب قـد رضـی بابنتک، ولكن مع الفرح ترحـة، قال: وما هی؟ قالت: إنّ فاطمـة خارجـة تنظر إلی ابنتک آمنـة, فأدخلوا فاطمة، فقامت لها

1- (1) راجع: بحار الأنوار, العلامة المجلسی, ج 15 ص 98.

آمنـة إجلالاً وتعظيمـاً ورحبت بها أحسن المرحب، فنظرت إليها فاطمـة وإذا بها قـد كساها الله جمالاً لا يوصف، فلما رأت فاطمـة ذلک الحسن والجمال وقـد أضاء من نور وجهها ذلک المجلس، قالت فاطمـة: يا برة ما كنت عهـدت أن آمنـة على هـذه الصورة ولقد رأيتها قبل ذلک مراراً، فقالت برة: يا فاطمة كل ذلک ببركتهم علينا، ثم خاطبت فاطمة آمنة وإذا هى أفصح نساء أهل مكة، فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطلب وعبد الله، وقالت: يا ولدى ما فى بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارتضيتها، وإن الله تعالى لا يودع هذا النور إلا فى مثل هذه(1).

عقد القران بين عبدالله وآمنة

ولما وقع الحـديث بين وهب وبين عبد المطلب فى أمر ابنته آمنة، قال وهب: يا أبا الحارث هذه آمنة هدية منى إليک بغير صداق معجل ولا مؤجل، فقال عبـد المطلب جزيت خيراً ولابـد من صـداق، ويكون بيننا وبينک من يشـهد به من قومنا، ثم وبعـد ذلک خرج عبـد المطلب وولده وزوجته إلى منزلهم، وقالوا: يا وهب إذا كان فى غداة غد جمعنا قومنا وقومک ليشهدوا بما يكون من الصداق، فقال: جزاک الله خيراً، فلمـا طلع الفجر أرسل عبـد المطلب إلى بنى عمه ليحضـروا خطبتهم، ولبس عبـد المطلب افخر أثوابه، وجمع وهب أيضا قرابته وبنى عمه فاجتمعوا فى الأبطـح، فلما أشـرف عليهم الناس قاموا إجلالاً لعبد المطلب وأولاده، فلما اسـتقر بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح، وقام عبد المطلب فيهم خطيباً فقال: (الحمد لله حمد الشاكرين حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا،

1- (1) راجع: المصدر نفسه, ج 15 ص 99.

وجعلنا لبيته جيراناً، ولحرمه سكاناً، وألقى محبتنا فى قلوب عباده، وشرفنا على جميع الأمم، ووقانا شر الآفات والنقم، والحمد لله الذى أحل لنا النكاح، وحرم علينا السفاح، وأمرنا بالاتصال وحرم علينا الحرام، اعلموا أن ولدنا عبد الله هذا الذى تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجل ومؤجل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلک من ولدنا؟ قال وهب: قد رضينا منكم، فقال عبد المطلب: اشهدوا يا من حضر، ثم تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا، وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة، فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها، فأقام الناس فى مكة أربعة أيام. قال أبو الحسن البكرى: ولما تزوج عبد الله بآمنة أقامت معه زماناً، والنور فى وجهه لم يزل حتى نفذت مشية الله تعالى وقدرته وأراد أن يخرج خيرة خلقه محمداً رسول الله(1).

وفاة زوجها عبد الله ورثاؤها عليه

اختلفوا فى تحديد زمان وفاة عبد الله والد النبى صلى الله عليه و آله, منهم من قال توفى والنبى صلى الله عليه و آله حمل كما اختاره ابن سعد فى طبقاته, فقد روى عن ابن أبى صعصعة قال: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة فى عير من عيرات قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة و عبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال أنا أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبد المطلب

1- (1) راجع: المصدر نفسه, ج 15 ص 102.

أكبر ولـده الحارث فوجـده قـد توفى ودفن فى دار النابغـة وهو رجل من بنى عـدى ابن النجار فى الدار التى إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك وأخبره أخواله بمرضه وبقيامهم عليه وما ولوا من امره وإنّهم قبروه فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة(1).

وأيضاً اختاره محمـد بن عمر الواقـدى حيث قال: هذا هو أثبت الأقاويل والرواية فى وفاة عبد الله بن عبد المطلب وسـنة عندنا. قال وأخبرنا محمـد بن عمر حـدثنى معمر عن الزهرى قـال بعث عبـد المطلب عبـد الله إلى المدينـة يمتـار له تمراً فمـات قال محمـد بن عمر والأول أثبت(2).

وهناک أقوال أخرى فى وفاة عبد الله حيث قيل: إن عبد الله توفى والنبى صـلى الله عليه و آله ابن ثمانية وعشرين شهراً, وذلک بعد ما أرسله أبوه يمتر بالمدينة(3). وقيل: وعمر النبى صلى الله عليه و آله سبعة أشهر. وقيل ابن شهرين(4).

وذكر ابن سـعد عن محمـد بن عمر بن واقد الأسـلمى قال ترک عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن وخمسة أجمال أوارک يعنى تأكل الأراک وقطعة غنم فورث ذلک رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فكانت أم أيمن تحضـنه واسمها بركة, وقالت آمنة بنت وهب ترثى زوجها عبد الله بن عبد المطلب:

1- (1) راجع: الطبقات الكبرى, محمد بن سعد, ج 1 ص 99.
2- (2) نقلا عن البداية والنهاية, ابن كثير, ج 2 ص 323.
3- (3) راجع: حياة النبى ج 1 ص 26 محمد قوام الشنوى.
4- (4) راجع: الوافى بالوفيات, الصفدى, ج 1 ص 63.

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم وجاور لحداً خارجاً فی الغماغم

دعته المنایا دعوة فأجابها وما ترکت فی الناس مثل ابن هاشم

عشیة راحوا یحملون سریره تعاوره أصحابه فی التزاحم

فان یک غالته المنایا وریبها فقد کان معطاءً کثیر التراحم(1)

آمنة وعاء نور النبی الخاتم

کان الملوک والسلاطین وأشراف مکة وصنادید قریش وسدنة البیت وخدام الحرم ورؤساء القبائل یتمنون لسنوات طویلة مصاهرة عبد المطلب، فکانوا یعرضون بناتهم الخیرات الحسان بلا مهر ولا عوض، بل کانوا یبذلون المهر وأکثر؛ لعلهم ینقلون النور الساطع اللامع فی جبینه إلی أرحام بناتهم، ویشرفون أسرهم بهذا الفخر. فلما تزوجت السیدة آمنة تکدرت منها النفوس وأعرضت عنها القلوب، ورأوا أن النور النبوی المحمدی صلی الله علیه و آله انتقل من صلب عبد الله إلی صدر آمنة بنت وهب، فحسدوها وأرادوا إطفاء ذلک النور سیما نساء مکة، حیث کانت آمنة علی مرأی ومسمع منهن، وشاهدن انتقال النور الطیب إلیها، فمات منهن أکثر من مائتی باکر نادرة الحسن والجمال فتعرین من کسوة الدنیا وتغطین بإطباق التراب وسلمن أرواحهن إلی الموت بعد أن ماتت آمالهن ویئسن من الوصال مع عبد الله عدیم المثال(2).

وقد ورد عن ابن عباس، قال: سمعت أبی العباس یحدث، قال: ولد لأبی

1- (1) راجع: الطبقات الکبری, محمد بن سعد, ج 1 ص 99.

2- (2) الخصائص الفاطمیة, باقر الکجوری, ج 2 ص 53.

عبـد المطلب عبـد الله، فرأينا فی وجهه نوراً يزهر كنور الشـمس، فقال أبی: إنّ لهـذا الغلام شأناً عظيماً. قال: فرأيت فی منامی أنه خرج من منخره طائر أبيض، فطار فبلغ المشـرق والمغرب، ثم رجع راجعاً حتی سقط علی بيت الكعبة، فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملونه إذ صار نوراً بين السـماء والأرض، وامتـد حتی بلغ المشـرق والمغرب. فلما انتبهت سألت كاهنـة بنی مخزوم فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياک ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له.

قال أبی: فهمنی أمر عبد الله إلی أن تزوج بآمنة، وكانت من أجمل نساء قريش، وأتمها خلقاً، فلما مات عبد الله وولدت آمنة رسول الله صلی الله عليه و آله أتيته، فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرست فی وجهه، فوجدت منه ريح المسک، وصـرت كأنی قطعة مسک من شدة ريحی، فحـدثتنی آمنـة وقالت لی: إنه لما أخـذنی الطلق واشـتد بی الأمر، سـمعت جلبـة وكلاماً لا يشـبه كلام الآدميين، ورأيت علماً من سندس علی قضـيب من ياقوت قد ضـرب بين السـماء والأرض، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتی بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنها شعلـة نار نوراً، ورأيت حولی من القطاة أمراً عظيماً، قـد نشـرت أجنحتها حولی، ورأيت شـعيرة الأسدية قد مرت وهی تقول: آمنة، ما لقيت الكهان والأصـنام من ولـدک؟ ورأيت رجلاً شاباً من أتم الناس طولا، وأشدهم بياضاً، وأحسـنهم ثياباً، ما ظننته إلا عبد المطلب، قد دنا منی فأخذ المولود، فتفل فی فيه، ومعه طست من ذهب مضروب بالزمرد، ومشط من ذهب، فشق بطنه شقاً، ثم أخرج قلبه فشقه، فأخرج منه نكتة سوداء فرمی بها، ثم أخرج صرة من حريرة خضراء ففتحها، فإذا فيها

كالـذريرة البيضاء فحشاه، ثم رده إلى ما كان، ومسح على بطنه، واسـتنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال، إلا أنه قال: فى أمان الله وحفظه وكلاءته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً ويقيناً وعقلاً وشـجاعة، أنت خير البشـر، طوبى لمن اتبعک، وويل لمن تخلف عنک. ثم أخرج صـرة أخرى من حريرة بيضـاء ففتحهـا فإذا فيها خاتم، فضـرب على كتفيه، ثم قال: أمرنى ربى أن أنفـخ فيک من روح القـدس. فنفـخ فيه، وألبسـه قميصاً، وقال: هذا أمانک من آفات الدنيا. فهذا ما رأيت - يا عباس - بعينى. قال العباس: وأنا يومئذ أقرأ، فكشـفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوة بين كتفيه، فلم أزل أكتم شأنه، وأنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامى حتى ذكرنى رسول الله صلى الله عليه و آله(1).

شغف النساء بنور النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

ذكر المؤرخون وأصـحاب السير بعض القصص التى تشير إلى أنّ بعض النساء حاولن أن يحظين بنور النبى صلى الله عليه و آله وتكون هى الوعـاء لخـاتم الرسـل كى تحظى بسـعادة الـدارين, وتناسـين أنّ امَّهـات المعصومين أمر موكول إلى البـارى عز وجل. وهـذه الروايات أو القصـص فى عمومها لا تنسـجم مع شأن عبدالله والد النبى صـلى الله عليه و آله, بل سـيرة الأسـرة الهاشـمية التى عرفت بالنجابة والإيمان لاسـيما آباء النبى الذين خصـهم الله بالطهارة واتسـموا بالعفاف والتدين بحسب ما هو ثابت عقلاً ونقلاً, فهذه المرويات إمّا فيها تصـحيف وزيادة أو انّها موضوعة, الغرض منها النيل من والد النبى الأكرم.

1- (1) أنظر: الأمالى, الشيخ الصدوق, ص 335. وكمال الدين وتمام النعمة, الشيخ الصدوق, ص 176.

الرواية الأولى

ورد فی طبقات بن سعد: إنّ قتیلة ابنة نوفل (أخت ورقة) کانت تنظر وتعتاذ, فمر بها عبد الله بن عبد المطلب فدعته یستمتع منها ولزمت طرف ثوبه فأبی وقال حتی آتیک, وخرج سریعاً حتی دخل علی آمنة بنت وهب فوقع علیها فحملت برسول الله صلی الله علیه و آله, ثم رجع عبد الله بن عبد المطلب إلی المرأة فیجدها تنتظره فقال هل لک فی الذی عرضت علی فقالت لا, مررت وفی وجهک نور ساطع ثم رجعت ولیس فیه ذلک النور, وقیل: فقالت له فارقک النور الذی کان معک بالأمس فلیس لی بک الیوم حاجة, وقد کانت تسمع من أخیها ورقة بن نوفل وکان قد تنصر واتبع الکتب حتی أدرک فکان فیما طلب من ذلک أنه کائن لهذه الأمة نبی من بنی إسماعیل(1).

الرواية الثانية

عن ابن کثیر وغیره عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله لیزوجه مرّ به علی کاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الکتب، یقال لها فاطمة بنت مرّ الخثعمیة، فرأت نور النبوة فی وجه عبد الله فقالت یا فتی هل لک أن تقع علیَّ الآن وأعطیک مائة من الإبل؟ فقال عبد الله:

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبینه

فکیف بالأمر الذی تبغینه یحمی الکریم عرضه ودینه

ثم مضی مع أبیه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها

1- (1) الطبقات الکبری, ابن سعد, ج 1 ص 98. تاریخ مدینة دمشق, ابن عساکر, ج 3 ص 406.

ثلاثاً. ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه الكاهنة فأتاها فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكنى رأيت فى وجهک نوراً فأردت أن يكون فىّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد, فما صنعت بعدى قال زوجنى أبى آمنة بنت وهب. ثم أنشأت تقول:

إنى رأيت مخيلة لمعت فتلألأت بحناتم القطر

فلمأتها نوراً يضىء له ما حوله كإضاءة البدر

ورجوتها فخراً أبوء به ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت ثوبيک ما استلبت وما تدرى(1)

الرواية الثالثة

عن أبى إسحاق بن يسار أنه حدث: أنّ عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل فى طين له، وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلک الطين، ثم خرج عامداً إلى آمنة فمر بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد صلى الله عليه و آله, ثم مرّ بامرأته تلک فقال لها: هل لک؟ قالت: لا، مررت بى وبين عينيک غرة بيضاء فدعوتک فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها. قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تلک كانت تحدث: أنه مرّ بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس، فقالت: فدعوته رجاء أن تكون تلک بى فأبى علىّ، ودخل على آمنة فأصابها، فحملت برسول الله صلى الله عليه و آله. فكان رسول الله صلى الله عليه و آله أوسط قومه نسبا،

1- (1) السيرة النبوية, ابن كثير, ج 1 ص 178, والكامل فى التاريخ, ابن الأثير ج 2 ص 8.

وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه, ولذا قد ورد أن التى عرضت عليه نفسها لم تک بغيا و إنما كانت زوجه.(1)

الجمع بين الروايات

اشارة

ذهب الحلبى فى السيرة إلى إمكان الجمع بين هذه القصص وأن لكل واقعة بمعزل عن الأُخرى حيث يقول: لا يخفى أن تعدد الواقعة ممكن وأن هذا السياق يدل على أن هذه المرأة كان عندها علم بأن عبد الله تزوج آمنة وأنه يريد الدخول بها وأنها علمت أنه كائن نبى يكون له الملک والسلطان وغير خاف أن عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الأمر الذى دعاها إليه بذلک القدر الكثير من الإبل فى مقابلة هذا الشىء على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلک بل يؤكده ما فى الوفاء من قوله, ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل إليها الحديث والله أعلم(2).

الصحيح

إنّ هذه القصص ليس حظ فى الوجود وهى بعيدة عن واقع الأسرة الهاشمية لاسيما آباء النبى صلى الله عليه و آله الذين اصطفاهم الله وأبعدهم عن الأرجاس كما سيأتى, لذلک علماؤنا ومؤرخونا قد أعرضوا عن ذكر هذه القصص ولم يذكروها فى كتبهم, بل حتى فى كتب القوم لاسيما الرواية الأولى فقد ذكرها ابن سعد ونقلها عنه ابن عساكر وليس على نحو ثبوتها وانما ذكروها واحدة من تلک النصوص

1- (1) تاريخ مدينة دمشق, ابن عساكر, ج 3 ص 406

2- (2) السيرة الحلبية, ج 1 ص 65.

التاريخية وفى الأغلب المحدث والمؤرخ يذكر النصوص مجرد لسرد التأريخ من دون التدقيق فى صحتها وعدمه.

ولو فرضنا ثبوت هذه النصوص التاريخية أو هذه القصص فقد يتضح من الأبيات التى أطلقها عبد الله خير دليل على إيمانه وتمسكه وابتعاده عن الفحشاء والمنكر, فهذا إما أن يكون بأمر مشروع كما يستشف من ظاهرها, أى أنه طلب منها الزواج. أو هو إضافة من بعض الرواة المنحرفين بقصد تشويه سيرة آباء النبى صلى الله عليه و آله.

مشهد من إيمان عبدالله

عندما سافر عبدالله مع أبيه نحو اليمن قبل أن يتزوج بآمنة بنت وهب، وكان نور النبى, فى وجهه، وأن الزرقاء نظرت إليه وقد نزل بقصر من قصور اليمامة، وذهب أبوه عبد المطلب فى حاجة وتركه عند متاعه وسيفه عند رأسه، فنزلت الزرقاء مسرعة، وفى يدها كيس من الورق، فوثبت عليه ثم قالت له: يا فتى حياك الله بالسلام، وجللك بالانعام، من أى العرب أنت؟ فما رأيت أحسن منك وجهاً، قال: أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سيد الأشراف، ومطعم الأضياف، سادات الحرم، ومن لهم السابقة فى القدم، فقالت: فهل لک يا سيدى من فرحتين عاجلتين؟ قال: وما هما؟ قالت: تجامعنى الساعة، وتأخذ هذه الدراهم، وأبذل لک مائة من الإبل محملة تمراً وبسراً وسمناً، فلما استتم كلامها قال: إليک عنى، فما أقبح صورتک يا ويلک، أما علمت أنا قوم لا نركب الآثام، اذهبى، وتناول سيفاً كان عنده فانهزمت ورجعت خائبة، فأقبل أبوه فوجده وسيفه مسلول

وهو يقول شعراً:

أنرتكب الحرام بغير حل ونحن ذووا المكارم فى الأنام

إذا ذكر الحرام فنحن قوم جوارحنا تصان عن الحرام

فقال له أبوه: يا ولدى ما جرى عليک بعدى؟ فأخبره بخبره، ووصف له صفاتها فعرفها، وقال له: يا بنى هذه زرقاء اليمامة، قد نظرت إلى النور الذى فى وجهک يلوح، فعرفت أنه الشرف الوكيد، والعز الذى لا يبيد، فأرادت أن تسلبه منک، والحمد لله الذى عصمک عنها، ثم رحل به إلى مكة، وزوجه بآمنة بنت وهب، فلما رأته الزرقاء عرفته، وعلمت أنه تزوج، فقالت: ألست صاحبى باليمامة فى يوم كذا؟ قال لها: نعم، فلا أهلاً بک ولا سهلاً، يا ابنة اللخناء، قالت: أين النور الذى كان فى غرتک؟ قال: فى بطن زوجتى آمنة بنت وهب، قالت: لا شک أنها لذلک أهل(1).

عملية اغتيال فاشلة

بعدما عجزت زرقاء اليمامة من عبد الله والد النبى صلى الله عليه و آله ولم تفلح فى اختطاف النور النبوى وعلمت أنّه انتقل إلى السيدة آمنة فأخذت تخطط وتفكر فى قتل آمنة، وكيف تعمل الحيلة، فأقبلت حتى نزلت على امرأة من الخزرج اسمها تكنا، وكانت ماشطة لآمنة، فلما أصبحت جلست بين يدى الزرقاء فقالت: ما لى أراک مغمومة؟ قالت لها: يا أختاه إن الذى نزل بى من الهموم والغموم لخروجى من الأوطان، وذهابى من البلدان، وتشتتى فى كل مكان، وتفردى عن

1- (1) راجع: بحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 15 ص 313.

الخلان، قالت لها: ولم ذلک؟ قالت لها: یا ویلک من حامل مولود، یدعو إلی أکرم معبود، یکسر الأصنام، ویذل السحرة والکهان، یخرب الدیار، ولا یترک بمکة أحداً من ذوی الأبصار، وأنت تعلمین أن القعود علی النار، أیسر من الذل والصغار، فلو وجدت من یساعدنی علی قتل آمنة بذلت له المنا، وأعطیته الغنا، وعمدت إلی کیس کان معها فأفرغته بین یدی تکنا، وکان مالاً جزیلاً، فلما نظرت تکنا إلی المال لعب بقلبها، وأخذ بعقلها، وقالت لها: یا زرقاء لقد ذکرت أمراً عظیماً، وخطباً جسیماً، والوصول إلیه بعید، وإنی ماشطة لجملة نساء بنی هاشم، ولا یدخل علیهن غیری، ولکن سوف أفکر لک فیما ذکرت، وکیف أجسر علی ما وصف، والوصول إلی ما ذکرت، قالت الزرقاء: إذا دخلت علی آمنة وجلست عندها فاقبضی علی ذوائبها، واضربیها بهذا الخنجر، فإنه مسموم، فإذا اختلط الدم بالسم هلکت، فإذا وقع علیک تهمة، أو وجب علیک دیة فأنا أقوم بخلاصک، وأدفع عنک عشر دیات غیر الذی دفعته إلیک فی وقتی هذا، فما أنت قائلة؟ قالت: إنی أجبتک، لکن أرید منک الحیلة بأن تشغلی بنی هاشم عنی، قالت الزرقاء: إنی هذه الساعة آمر عبیدی أن یذبحوا الذبائح، ویطرحوها فی الجفان، فإذا أکلوا ظفرت بحاجتک، قالت لها تکنا: الآن تمت الحیلة، فافعلی ما ذکرت، فصنعت الزرقاء ما ذکرت، وأمرت عبیدها ینادون فی شوارع مکة أن یجمعوا الناس، فلم یبق أحد إلا وحضر ولیمتها من أهل مکة، فلما أکلوا وشربوا وعلمت أن القوم قد خالط عقولهم الشراب أقبلت إلی تکنا وقالت: قومی إلی حاجتک، فقامت تکنا وجاءت بالخنجر ورشت فی جوانبه السم، ودخلت علی آمنة فرحبت

بهـا آمنـة، وسألتهـا عن حالهـا، وقالت: يا تكنا ما عودتيني بالجفاء فقالت: اشـتغلت بهمي وحزني، ولولا أياديكم الباسـطة علينا لكنا بأقبح حال، ولا أحـد أعز عليَّ منك، هلمي يا بنية إلى حتى أزينك، فجاءت آمنة وجلست بين يدى تكنا، فلما فرغت من تسـريح شـعرها عمدت إلى الخنجر وهمت أن تضـربها به، فحست تكنا كأن أحداً قبض على قلبها فغشـى على بصرها، وكأن ضارباً ضرب على يدها فسقط الخنجر من يـدها إلى الأرض، فصاحت: وا حزناه، فالتفتت آمنة إليها وإذا الخنجر قد سـقط من يد تكنا، فصاحت آمنة فتبادرت النسوان إليها، وقلن لها: ما دهاك؟ قالت: يا ويلكن أما ترين ما جرى عليَّ من تكنا، كادت أن تقتلني بهـذا الخنجر، فقلن: يا تكنا ما أصابك؟ ويلك تريـدين أن تقتلى آمنـة على أى جرم؟ فقالت: يا ويلكن قـد أردت قتل آمنة، والحمد لله الذى صـرف عنها البلاء، فقالت: الحمد لله على السـلامة من كيـدك يا تكنا، فقالت لها النساء: يا تكنا ما حملك على ذلك؟ قالت: لا تلومونى، حملنى طمع الدنيا الغرور، ثم أخبرتهن بالقصة، وقالت لهن: ويحكن دونكن الزرقاء اقتلنها قبل أن تفوتكن، ثم سـقطت ميتـة، فصاحت النسوان صـيحة عاليـة، فأقبل بنو هاشم إلى منزل آمنة، فإذا بتكنا ميتـة، وقد تجلل نور آمنة، ونظروا إلى الخنجر، وحكوا لهم القصة، فخرج أبو طالب ينادى: أدركوا الزرقاء وقد وصـلها الخبر، فخرجت هاربة فتبعها الناس من بنى هاشم وغيرهم فلم يدركوها ولم يلحقوها(1).

1- (1) راجع: بحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 15 ص 316.

إرهاصات فی حملها وولادتها للنبی صلی الله علیه و آله

لقـد کثرت المشاهـدات قبـل ولاـدته المبارکـة وفی أیام حمله وبعـد الولادة بفترة وجیزة، فشاهـد الناس عموماً والنساء خصوصاً فی الیقظة والمنام من الآثار الأرضـیة والسـماویة، ومن هواتف الجن ونداءات الملائکة وأقوال السحرة والکهنة من أهل مکة وغیرها، وهذا أمر اعتادت علیه البشـریة فی ولاـدة ذات المکانـات العالیـة والرفیعـة عنـد الله, ومن الکرامـات وخوارق العـادات والمعجزات البـاهرات لهـذا المولود المبارک، حتی أذعن الأغلب بنبوته ورسالته وخاتمیته، فکیف یعقل أن لا تؤمن تلک المخـدرة؟ وهل یسـتقیم هـذا الظن الفاسـد والخیال الکاسد مع ظهور کل تلک المعجزات وبروز تلک الآیات البینات؟ حاشاها من هذه العقائد الفاسدة والنیات الکاسدة.

فنقول: إذا قامت القیامة وأخرجت امَّهات الأنبیاء والأوصـیاء والصدیقین والأولیاء الکاملین رؤوسهن من التراب، فکم سیکون لهذه المخدرة من حرمـة خاصـة ومنزلة شـریفة عند فاطمة الزهراء علیها السـلام لا تکون لغیرها من النساء، سـیما حینما تسـتظل آمنة تحت لواء الولایة، وتدخل فی حمی النبوة والشفاعة، فأی امرأة تفضل علیها وتتطاول إلی مقامها.

ورد عن أبی عبد الله علیه السلام، قال:

کان حیث طلقت آمنـة بنت وهب وأخـذها المخاض بالنبی صـلی الله علیه و آله حضـرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبی طالب، فلم تزل معها حتی وضعت، فقالت إحداهما للأخری: هل ترین ما أری؟ قالت: وما ترین؟ قالت: هذا النور الذی قد سطع ما بین المشرق والمغرب،

فبينما هما كـذلک إذ دخل عليهما أبو طالب، فقال لهما: ما لكما, من أى شـىء تعجبان؟ فأخبرته فاطمـة بالنور الـذى قـد رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرک؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنک ستلدين غلاماً يكون وصى هذا المولود(1).

وعن ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: يزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه و آله كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله فقيل لها إنّک قد حملت بسـيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سـميه محمداً ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصـرى من أرض الشام, فلما وضـعته أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لک غلام فأته فانظر إليه, فأتاه فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به, وما قيل لها فيه, وما أمرت أن تسميه(2).

وقال يونس بن بكير عن ابن إسـحق: وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صـلى الله عليه و آله تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه و آله, فقيل لها إنک قد حملت بسـيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولى: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد، وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد. وقال: فإن آية ذلک أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه فى التوراة والإنجيل أحمد، يحمده

1- (1) حلية الأبرار, السيد هاشم البحرانى, ج 1 ص 28.
2- (2) تاريخ الطبرى, الطبرى, ج 1 ص 571.

أهل السماء والأرض، واسمه فی الفرقان محمد، فسمته بذلک. فلما وضعته بعثت إلی عبد المطلب جاریتها(1).

وروی الطبرسی فی (الاحتجاج) عن الکاظم علیه السلام انه قال: إنّ آمنة بنت وهب رأت فی المنام أنّه قیل لها: إنّ ما فی بطنک سید، فإذا ولدته فسمیه محمداً. ثم قال علی علیه السلام: فاشتق الله له اسماً من أسمائه، فإن الله المحمود وهذا محمد(2).

وروی عن أمه أنّها قالت: لما وضعته رأیت نوراً ساطعاً بدا منی حتی أفزعنی، ولم أر شیئاً مما یرینه النساء. قال: وروی بعضهم: أنّها قالت: سطع منی النور حتی رأیت قصور الشام. ولما وقع إلی الأرض قبض قبضة من تراب، ثم رفع رأسه إلی السماء(3).

تاریخ ولادتها للنبی صلی الله علیه و آله

اختلف المؤرخون فی تعیین زمان ولادة النبی الأکرم صلی الله علیه و آله, فقیل: ولد النبی صلی الله علیه و آله لاثنتی عشرة لیلة مضت من شهر ربیع الأول فی عام الفیل یوم الجمعة مع الزوال، وروی أیضا عند طلوع الفجر قبل أن یبعث بأربعین سنة. وحملت به أمه فی أیام التشریق عند الجمرة الوسطی وکانت فی منزل عبد الله بن عبد

1- (1) سیرة ابن اسحاق, محمد بن اسحاق بن یسار, ج 1 ص 22.

2- (2) الاحتجاج, ج 1 ص 321.

3- (3) أنظر: موسوعة التاریخ الإسلامی, محمد هادی الیوسفی, ج 1 ص 252.

المطلب, وولـدته فی شـعب أبی طالب فی دار محمـد بن یوسـف(1), فی الزاویـة القصوی عن یسـارک وأنت داخل الـدار، وقـد أخرجت الخیزران ذلک البیت فصیرته مسجداً، یصلی الناس فیه(2).

ونقل المجلسـی عن کتاب (حدائق الریاض) و (التواریخ الشـرعیة) للشیخ المفید أنّه قال: السابع عشر من ربیع الأول مولد سیدنا رسول الله صلی الله علیه و آله عند طلوع الفجر من یوم الجمعة عام الفیل. وقال الطبرسـی علیهم السـلام: ولد یوم الجمعة عند طلوع الشمس، السابع عشر من شهر ربیع الأول عام الفیل، وذلک لأربع وثلاثین سنة مضت من ملک کسری أنوشیروان.

وقال السـید ابن طاووس فی (الإقبال): إن الـذین أدرکناهم من العلماء کان علمهم علی أن ولادته المقدسـة صـلی الله علیه و آله کانت یوم الجمعة السابع عشر من ربیع الأول فی عام الفیل عند طلوع فجره. ولذلک قال الشیخ المجلسی قدس سره: اعلم أنّه اتفقت الإمامیة (إلا من شذ منهم) علی أن ولادته صـلی الله علیه و آله کانت فی السابع عشر من شهر ربیع الأول، وذهب أکثر المخالفین إلی أنها کانت فی الثانی عشر منه، واختاره الکلینی قدس سره(3).

1- (1) قـال فی هـامش البحـار: قـال المؤرخون: کانت هـذه الـدار للنبی صـلی الله علیه و آله فوهبها لعقیل بن أبی طالب، فباعها أولاده لمحمد بن یوسف أخ الحجاج الثقفی, فاشتهرت بدار محمد بن یوسف, فأدخلها فی قصره الذی کانوا یسمونه البیضاء وبعد انقضاء دولة بنی أمیة حجت خیزران أم الهادی والرشید فأفرزتها من القصر وجعلتها مسجدا، وهو الآن یصلی ویزار فیه. البحار ج 15 ص 250.

2- (2) الکافی, الشیخ الکلینی, ج 1 ص 439.

3- (3) راجع: موسوعة التاریخ الإسلامی, محمد هادی الیوسفی, ج 1 ص 254.

وفاتها ومحل قبرها

لما أتى على رسول الله صـلى الله عليه و آله ست سـنين خرجت آمنـة بنت وهب زائرة لقبر زوجها عبـدالله ومعها عبـد المطلب, وأم أيمن حاضـنة رسول الله صـلى الله عليه و آله، فلما صارت بالأبواء منصـرفة إلى مكة ماتت بها. وقيل توفيت وهو ابن أربعة أشهر أو أربع سنين أو ست(1).

وهذا كان السـبب فى دفنها (آمنة بنت وهب) بالأبواء هناک, حيث أنّ عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه و آله كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب، تخرج فى كل عام إلى المدينة تزور قبره.

ويقال إن أبا طالب زار أخواله بنى النجار بالمدينة وحمل معه آمنة أم رسول الله صـلى الله عليه و آله، فلما رجع منصرفا إلى مكة، ماتت آمنة بالأبواء, ولها من العمر ثلاثون سنة(2).

والأبواء: الأخلاط من الناس، قال كثير: إنما سـميت الأبواء للوباء الـذى بها; ولا يصـح هذا إلا على القلب. وبواديها من نبات الطرفاء ما لا يعرف فى واد أكثر منه. وعلى خمسة أميال منها مسجد للنبى صلى الله عليه و آله(3).

وقيل: هى قرية من أعمال الفرع بين المدينة والجحفة بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا؛ وقيل الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى

1- (1) مستدركات علم رجال الحديث, الشيخ على النمازى الشاهرودى, ج 8 ص 545.

2- (2) معجم البلدان, الحموى, ج 1 ص 79.

3- (3) معجم ما استعجم, البكرى الأندلسى, ج 1 ص 102.

مكة من المدينة؛ وهناک بلد ينسب إلى هذا الجبل. وقال السکری: هو جبل مشرف شامخ ليس به شیء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة، وقد اختلف فی تحقيق لفظه فقيل: هو فعلاء من الأبوة، کما يدل له صنيع المصنف حيث ذکره هنا، وقيل: أفعال کأنه جمع بو: وهو الجلد، أو جمع بوی وهو السواد، وقيل: إنه مقلوب من الأوباء سمی بذلک لما فيه من الوباء. وقال ثابت اللغوی: سمی لتبوء السيول به، وهذا أحسن، وسئل عنه کثير فقال: لأنهم تبوؤا به منزلاً(1).

لکن ذکر البعض أن مزارها فی الحجون, حيث يقول: أما مزار آمنة بنت وهب فإن قلنا أنه فی الحجون من مکة, وهی مقبرة السالفين إلى اليوم، وأهل مکة يزورونها قرب قبر خديجة سلام الله عليها، فهو يعارض القول بدفنها فی الأبواء. والحق أن السيدة آمنة نقلت إلى الحجون. وعلى ضريحها قبة سامية يتلألأ النور من أعلاها، وقبرها مشهور بين البقاع، يقصد لدفع المهمات، ويزار لکشف الملمات(2).

والحجون: بفتح الحاء جبل بمعلاة مکة مشرف مما يلی شعب الخرازين، فيه اعوجاج، عنده مقبرة. قال السهيلی: على فرسخ وثلثين من مکة؛ قال الأعشى:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لک حق الشرب فی ماء زمزم

وقال عمرو بن مضاض الجرهمی يتأسف على البيت:

1- (1) تاج العروس, الزبيدی, ج 19 - ص 131.
2- (2) الخصائص الفاطمية, ج 2 ص 70.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر(1)

وروى الطبرانى وابن مردويه عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه و آله لما أقبل من غزوة تبوک فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبة حتى يرجع إليهم، فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً، ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه ثم عاد(2).

وأيضا روى عن عائشة أن النبى مرّ فى سفره إلى الحج بالحجون، فبكى كثيراً وبكيت لبكائه، ثم قال: خذى زمام ناقتى، وذهب إلى قبر أمه وعاد مستبشراً ضاحكاً، فسألته فقال: سألت الله أن يحيى أمى فأحياها، فعرضت عليها الإيمان فأقرت، ثم عادت إلى نومتها(3).

وروى البيهقى فى مثله عن عائشة، وألّفَ السيوطى رسالة فى ذلک، وقال ابن حجر فيه شعراً:

الله أحيا للنبى أباه للإيمان والأم آمنة الأمينة(4)

أقول: مع غض النظر عن مراجعة سند الرواية يظهر من قول النبى صلى الله عليه و آله (فأقرت) أنّها كانت مؤمنة وهذا الإيمان الذى تشرب فيها قد أقرته وأكدته, ولو كان غير ذلک لكان الأصح أن يقول (فآمنت) بعد ما عرض عليها الإيمان. ويؤيد هذا: ما تقدم من خلال سيرتها ومدى إيمانها شعراً ونثراً, فعند نزول الوحى

1- (1) تاج العروس, الزبيدى, ج 18 ص 132.

2- (2) المعجم الكبير, للطبرانى, ج 11 ص 296.

3- (3) الخصائص الفاطمية, الشيخ محمد باقر الكجورى, ج 2 ص 71.

4- (4) بحار الأنوار, المجلسى, ج 10 ص 441.

والرسالة أقرت ذلک بکل یقین.

زیارة النبی لقبرها وإحیاؤها له

ذکر المؤرخون أن النبی صلی الله علیه و آله لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس فقعد عنده طویلاً ثم استعبر, فقیل له یا رسول الله ما هـذا القبر؟ فقال: هذا قبر أمی آمنة بنت وهب, سألت الله فی زیارتها فأذن لی. وقال صـلی الله علیه و آله: قد کنت نهیتکم عن زیارة القبور ألا فزوروها(1). وفی روایة أخری أتی قبرها وأصلحه وبکی عنده وبکی المسلمون لبکائه(2).

وعن الصـدوق بسـنده قال: حـدثنا أبو الحسن محمـد بن عمرو بن علی البصـری، قال: حدثنا أبو عبد الله عبد السـلام ابن محمد بن هارون الهاشـمی، قال: حدثنا محمد بن [محمد بن] عقبة الشـیبانی، قال: حدثنا أبو القاسم الخضر بن أبان، عن أبی هدیة إبراهیم بن هدیة البصری، عن أنس بن مالک قال: أتی أبو ذر یوماً إلی مسجد رسول الله صلی الله علیه و آله فقال: ما رأیت کما رأیت البارحة. قالوا: وما رأیت البارحة؟ قال: رأیت رسول الله صـلی الله علیه و آله ببابه فخرج لیلاً فأخذ بید علی بن أبی طالب علیه السـلام وخرجا إلی البقیع فما زلت أقفوا أثرهما إلی أن أتیا مقابر مکة فعدل إلی قبر أبیه فصلی عنده رکعتین فإذا بالقبر قد انشق وإذا بعبد الله جالس وهو

1- (1) الفصول المختارة, الشـریف المرتضی, ص 131. وغیره من الخاصـة والعامـة, منها الحاکم النیسابوری فی المسـتدرک, ج 1 ص 374, قال فقد أذن الله تعالی لنبیه صلی الله علیه و آله فی زیارة قبر أمه. ثم قال: هذا الحدیث مخرج فی الکتابین الصحیحین للشیخین.
2- (2) مستدرکات علم رجال الحدیث, الشیخ علی النمازی الشاهرودی, ج 8 ص 545. السیرة الحلبیة, ج 1 ص 172.

يقول: (أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله). فقال له: من وليک يا أبة؟ فقال: وما الولى يا بنى؟ فقال: هو هذا على. فقال: وأن علياً وليى. قال: فارجع إلى روضتک. ثم عدل إلى قبر أمه آمنة فصنع كما صنع عند قبر أبيه فإذا بالقبر قد انشق وإذا هى تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنک نبى الله ورسوله). فقال لها: من وليک يا أماه؟ فقالت: وما الولاية يا بنى؟ قال: هو هذا على بن أبى طالب. فقالت: وأن علياً وليى. فقال: ارجعى إلى حفرتک وروضتک. فكذبوه ولببوه وقالوا: يا رسول الله كذب عليک اليوم. فقال: وما كان من ذلک؟ قالوا إن جندب حكى عنک كيت وكيت، فقال النبى صلى الله عليه و آله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر. قال عبد السلام بن محمد: فعرضت هذا الخبر على الجهمى محمد بن عبد الأعلى فقال: أما علمت أن النبى صلى الله عليه و آله قال: أتانى جبرئيل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل حرم النار على ظهر أنزلک، وبطن حملک، وثدى أرضعک، وحجر كفلک؟(1).

وذكر ابن طاووس قدس سره زيارتها ضمن الزيارة الخاصة بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله.

السلام عليک وعلى أهل بيتک الطيبين الطاهرين الهادين المهديين, السلام على جدک عبد المطلب وعلى أبيک عبد الله، السلام على أمک آمنة بنت وهب، السلام على عمک حمزة سيد الشهداء(2).

1- (1) معانى الأخبار, الشيخ الصدوق, ص 178.

2- (2) إقبال الأعمال, السيد ابن طاووس, ج 3 - ص 123.

اشارة

ذكر البعض عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و آله يوماً فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا فجلسنا، ثم تخطينا القبور حتى انتهينا إلى قبر منها، فجلس إليه فناجاه طويلاً، ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه و آله باكياً، فبكينا لبكائه، ثم إن النبى أقبل فلقيه عمر بن الخطاب فقال: ما الذى أبكاك يا رسول الله؟ قال: لقد أبكانا وأفزعنا فأخذ بيد عمر، ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال: أفزعكم بكائى؟ فقلنا: نعم، يا رسول الله قال: فإن القبر الذى رأيتمونى عنده قبر أمى آمنة بنت وهب، وإنى استأذنت ربى فى زيارتها، فأذن لى، ثم استأذنته فى الاستغفار لها، فلم يأذن لى، وأنزل قوله تعالى:(ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) ، وقوله:(وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ) فأخذنى ما يأخذ الولد للوالد من الرأفة فذلك أبكانى، ألا إنى نهيتكم عن ثلاث: عن زيارة القبور، وعن أكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث ليسعكم، وعن نبيذ الأوعية، فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة، وكلوا لحوم الأضاحى وأنفقوا منها ما شئتم، فإنما نهيتكم إذا الخير قليل، وتوسعة على الناس، ألا وإن الوعاء لا يحرم شيئاً، كل مسكر حرام(1).

وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين من الجمهور, فى تفسير قوله تعالى: (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...) ، الخ وذلك أن النبى صلى الله عليه و آله سأل بعدما افتتح مكة: أى أبويه أحدث به عهداً، قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف، قال: حتى أستغفر لها، فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فهمّ

1- (1) موارد الضمآن, الهيثمى, ص 73.

النبی صلی الله علیه و آله بذلک، فأنزل الله عز وجل قوله: (ما کانَ لِلنَّبِیِّ...) ، الخ یعنی: ما ینبغی للنبی (وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ) ,(وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما) کانوا کافرین ف -(تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ) حین ماتوا علی الکفر، نزلت فی محمد صلی الله علیه و آله، وعلی بن أبی طالب علیه السلام. فقد استغفر إبراهیم لأبیه وکان کافراً، فبین الله کیف کانت هذه الآیة، فقال تعالی:(وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِیّاهُ) ، وذلک أنه کان وعد أباه أن یستغفر له، فلذلک استغفر له،(فَلَمّا تَبَیَّنَ) لإبراهیم (أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ) حین مات کافراً، لم یستغفر له، و تبرأ منه (إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوّاهٌ)1 .

نعم ذکر السمعانی فی تفسیره أن هناک اختلافاً فی شأن نزول هذه الآیة, حیث قال: أن القوم اختلفوا فی سبب نزول قوله تعالی:(ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ) علی ثلاثة أقوال:

الأول: ما رواه سعید بن المسیب، عن أبیه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل علیه النبی وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبی أمیة، فقال له النبی: أی عم قل: لا إله إلا الله، کلمة أحاج لک بها عند الله.

فقال له أبو جهل وعبد الله بن [أبی] أمیة: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فما زالا یکلمانه حتی کان آخر کلمة قالها: علی ملة عبد المطلب، فقال النبی صلی الله علیه و آله: لأستغفرن لک ما لم انْهَ عنه؛ فأنزل الله تعالی هذه الآیة: (ما کانَ

لِلنَّبِيِّ...) الخ.

والثانى: روى مسروق، عن عبد الله بن مسعود: أن النبى خرج إلى المقابر فاتبعناه، فأتى قبراً وقعد عنده، وناجاه طويلاً، ثم بكى وبكينا لبكائه، فقلنا له: يا رسول الله من صاحب هذا القبر؟ فقال: هذه أمى آمنة بنت وهب، استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى، ثم استأذنته فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى، قال: فأخذنى عليها الشفقة ما يأخذ الولد للوالدة فبكيت، وأنزل الله تعالى هذه الآية: (ما كانَ لِلنَّبِيِّ...) . الخ

والثالث: روى عن على – رضى الله عنه –: أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقال له على: أتستغفر للمشركين؟ فقال ذلك الرجل: قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك, فأتى النبى وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (ما كانَ لِلنَّبِيِّ...)1 الخ.

والصحيح

أن التحريف والتغيير فى الحقائق الحقّة والجليّة أمر متبع ومعتاد عليه بحسب المصالح والأطماع الدنيوية للذين اشتروا الدنيا بالآخرة, لاسيما وأن التأريخ كان قد عاش وترعرع فى أحضان السياسة الأموية والتى طالما سعت وأجهدت نفسها وشمّرت عن ساعدها فى دفن وإطفاء النور الإلهى ولكن أبى الله إلا أن يتمم نوره.

وعليه فإن سيرة آمنة بنت وهب بما فيها أقوالها وأعمالها عند الفريقين تكذّب هذا الافتراء جملة وتفصيلاً, وهى لم تكن أقل شأناً من امَّهات الأنبياء فى الطهارة والاصطفاء, وقد ذكر القرآن أمثلة على ذلک, منها: أم نبى الله إسماعيل عليه السلام هاجر حيث يتحدث عنها القرآن بقوله تعالى:(رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ) .(1) ومنها: ما ذكره سبحانه وتعالى عن أم نبى الله موسى عليه السلام وكيف أوحى لها وألهمها طريق النجاة لها ولولدها بقوله تعالى:(وَ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّ مُوسی أَنْ أَرْضِعِیهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ وَ لا تَخافِی وَ لا تَحْزَنِی إِنّا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِینَ)2 . ومنها: ما كشف عن مكانة أم نبى الله عيسى عليه السلام بقوله تعالى:(وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَةُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ) .(2) بالإضافة إلى كل ذلک ما ورد عند الفريقين عن النبى الأكرم والأئمة عليهم السلام فى التأكيد على طهارتها وشدة إيمانها. والتى منها: ما ورد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفىً مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما(3). وقد تقدمت بعض

1- (1) القصص: 7.

2- (3) آل عمران 42.

3- (4) الدر المنثور, جلال الدين السيوطى, ج 3 ص 294.

الروايات فی هذا المجال. مع أنه لو کانت مشرکة کیف جوز الله للنبی ولغیره زیارتها, والبکاء علیها, فالآیة بسیاقها ودلالتها بعیدة عن هذا التصور ولکن العدو أعمی البصر والبصیرة وغفل أو أغفل نفسه عن کل التناقضات الواضحة, وذلک لغایة فی قلب یعقوب.

أما شأن نزول هذه الآیة: هو أنّ المسلمین قالوا لرسول الله صلی الله علیه و آله ألا نستغفر لآبائنا الذین ماتوا فی الجاهلیة وکانوا مشرکین؟ فأنزل الله هذه الآیة, قوله تعالی:(ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ) وبیّن أنه لا ینبغی لنبی ولا لمؤمن أن یدعو لکافر ویستغفر له.(1)

ویؤیده ما ذکره السمعانی فی القول الثالث, من أن علیاً علیه السلام سمع رجلاً یستغفر لأبویه وهما مشرکان، فقال له علی: أتستغفر للمشرکین؟ فقال (ذلک الرجل): قد استغفر إبراهیم لأبیه وهو مشرک فأتی النبی وأخبره بذلک، فأنزل الله تعالی هذه الآیة: (ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ...) الخ.

وقد ورد عن الحسن البصری فی قوله تعالی:(ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ) : أی ما کان ذلک یا محمد إلا بأمر منی، فلما أمره أن یقول:(وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما کَما رَبَّیانِی صَغِیراً) علمنا أن الله أمره(2). کما سیأتی التفصیل إن شاء الله فی طهارة آباء النبی صلی الله علیه و آله.

1- (1) تفسیر مجمع البیان, الطبرسی ج 5 ص 132.

2- (2) الدر النظیم, ابن حاتم العاملی, ص 27.

مرضعات النبى صلى الله عليه و آله

1 - حليمة السعدية

اشارة

وهى حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام ابن ناصرة بن فُصَيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان(1). ينتهى نسبهم إلى نزار وهو أحد أجداد النبى صلى الله عليه و آله، له أربعة أولاد ذكور: مضر وربيعة وأنار وأياد، وتجتمع قبائل مضر فى قيس وخندف.

وقبرها بالبقيع, وقد هُدمت قبتها كغيرها من مشاهد الأئمة والصالحين(2).

والسبب فى إعطائه للمرضعة, كما هو المعتاد عن الأشراف فى مكة كانوا يسلمون أولادهم الرضع إلى المراضع اللواتى كن يقصدن مكة فى سنى العجاف, وذلك ليكتسب الشجاعة والنطق بالكلمات, وأيضا الحفاظ عليه من الوباء والأمراض التى كانت تتعرض لها مكة بسبب الوفود التى كانت تلتقى فيها من جميع أنحاء شبه الجزيرة, وفى نفس الوقت إنّ جو الصحراء يساعد على صفاء الفطرة ونمو الأعضاء ويزود الجسم بالقوة والمناعة, فهذا من شيم العرب وأخلاقهم إذا ولد لهم وُلِدَ يلتمسون له مرضعة فى غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له.

1- (1) السيرة النبوية, ابن هشام, ج 1 ص 186.

2- (2) أنظر: العقد الفريد, ج 3 ص 251.

وقيـل لأـنهم كـانوا يرون أنه عـار على المرأة أن ترضع ولـدها. أى تسـتقل برضـاعه ويـدل للأول ما جاء أنه صـلى الله عليه و آله كان يقول لأصحابه أنا أعربكم أى أفصحكم عربية أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد(1).

وجـاء أن أبـا بكر لمـا قال للنبى صـلى الله عليه و آله ما رأيت أفصـح منک يا رسول الله فقال له ما يمنعنى وأنا من قريش وأرضـعت من بنى سعد, فهذا كان يحمله على دفع الرضـعاء إلى المراضع الأعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملک بن مروان أنه كان يقول أضـر بنا حبّ الوليد يعنى ولـده لأنه لمحبته له أبقاه مع أمه فى المصـر ولم يسترضـعه فى البادية مع الأعراب فصار لحاناً لا عربية له وأخوه سـليمان استرضع فى البادية مع الأعراب فصار عربياً غير لحان(2).

وحليمة السـعدية مرضـعة الرسول من المخدرات المعروفات بالعفاف والشرف والحياء، وكانت وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها لذلک اختار الله تعالى إياها لرضاعة نبيه كما اختار له شـرف البطون والأصـلاب والرضاعة كالنسب لأنه يغير الطباع. ورد عن عائشة ترفعه: لا تسترضعوا الحمقى فإن اللبن يورث(3).

وأيضـا هى من البيوتـات ذات الاـسم والسـمة المعروفـة بين قبائل تهامـة والحجاز، والموصوفـة بالنجابـة والطهر، والداخلـة فى زمرة النساء الكريمات العظيمات ذوات العز والشأن, وكانت حليمة مشهورة بين العرب بكمال الجود

1- (1) أنظر: الطبقات الكبرى, محمد بن سعد, ج 1 ص 113.

2- (2) السيرة الحلبية, الحلبى, ج 1 ص 146.

3- (3) السيرة النبوية, ابن هشام, ج 1 ص 188.

وتمام الشرف.

يروى عنـدما جاءت حليمـة ابنة عبد الله أم النبى صـلى الله عليه و آله من الرضاعة إلى رسول الله صـلى الله عليه و آله فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه(1).

وروى عن النبى صـلى الله عليه و آله أنّه قـال: إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه، وجعلهم فرقاً فجعلنى فى خيرهم فرقـة، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خير بيت، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نسـباً. وقال: أنا ابن الفواطم والعواتك من سـليم، واسترضعت فى بنى سعد.

وقال: نزل القرآن بأعرب اللغات، فلكل العرب فيه لغة، ولبنى سـعد بن بكر سـبع لغات، وبنو سـعد بن بكر بن هوازن أفصح العرب فهم من الأعجاز، وهى قبائل من مضر متفرقة(2).

زوج حليمة السعدية

هو الحارث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدى.

وقد قدم مكة ودخل على رسول الله صلى الله عليه و آله حين أنزل عليه القرآن, فقالت له قريش ألا تسمع ما يقول ابنک هذا, فقال: ما يقول؟ قالوا: يزعم أنّ الناس يبعثون بعـد الموت وأنّ لله دارين يعـذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه, فقد شـتت أمرنا وفرق جماعتنا, فأتاه فقال: أى بنى ما هذا الذى تقول؟ قال: نعم لو قد كان ذلک اليوم

1- (1) الإصابة, ابن حجر, ج 8 ص 87.

2- (2) أنظر: العقد الفريد, ج 3 ص 250.

أخـذت بيـدک حتى أعرفک حـديثک اليوم, فأسـلم الحارث بعـد ذلک وحسن إسـلامه وکان يقول لو قـد أخذ ابنى بيدى لـم يرسـلنى حتى يدخلنى الجنة(1).

2 - ثويبة

وکانت ثويبـة مولاة أبى لهب بن عبـد المطلب أرضـعته أيضا بلبن ابنها مسـروح، وذلک قبل أن تقدم حليمة، وکانت قد أرضـعت ثويبة قبله حمزة بن عبـد المطلب عمه، فلذلک قال رسول الله صـلى الله عليه و آله لابنة حمزة: إنها ابنة أخى من الرضاعة، وکان حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه و آله بأربع سنين(2).

توفيت سـنة سـبع بعد مرجعه من خيبر، فقال: ما فعل ابنها مسروح؟ قالوا: مات قبلها. وکانت خديجة تکرمها، وطلبت شراءها من أبى لهب فامتنع(3).

طهارة آباء النبى صلى الله عليه و آله

علماء السنة على ثلاثة آراء

أختلف علماء جمهور السنة فى مسألة إيمان آباء النبى الخاتم صلى الله عليه و آله, إلى ثلاثة آراء.

الرأى الأول: ذهبوا فيه إلى طهارة وإيمان آباء النبى صلى الله عليه و آله, کما نقل عن السيوطى أنه قال فى کتابه (مسالک الخلفاء) فى والدى المصطفى: إنى استقرأت

1- (1) الإصابة, ابن حجر, ج 1 ص 676.
2- (2) أنظر: مستدرک سفينة البحار, الشيخ النمازى, ج 4 ص 145. و بحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 15 ص 281.
3- (3) تاريخ الإسلام, الذهبى, ج 2 ص 445.

امَّهات الأنبياء فلم أجد فيهن إلا مؤمنة ماتت على الإيمان(1). وذهب القرطبى والدمياطى وابن حجر وعلماء آخرون من أهل الخلاف إلى مذهب السيوطى، وماتوا على هذا المذهب(2).

فقد نقل عن أبى حيان الأندلسى أنه قال: ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبى صلى الله عليه و آله كانوا مؤمنين, أما غير الامامية، فذهب أكثرهم إلى كفر والدى النبى صلى الله عليه و آله وغيرهما من آبائه صلى الله عليه و آله، وذهب بعضهم إلى إيمانهم. وممن صرح بإيمان عبد المطلب، وغيره من آبائه صلى الله عليه و آله، المسعودى، واليعقوبى، وهو ظاهر كلام الماوردى، والرازى فى كتابه أسرار التنزيل، والسنوسى، والتلمسانى محشى الشفاء، والسيوطى، وقد ألّفَ هذا الأخير عدة رسائل لإثبات ذلک. وفى المقابل قد ألَّفَ بعضهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل إبراهيم الحلبى، وعلى القارى الذى فصل ذلک فى شرح الفقه الأكبر، واتهموا السيوطى بأنه متساهل، لا عبرة بكلامه، ما لم يوافقه كلام الأئمة النقاد(3). حتى أنّ بعضهم أخذ يأوّل فى أخبار والد نبى الله إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى إيمانه كما هو الحق عندنا. فعن محمد بن كعب القرظى أنه قال: الخال والد والعم والد وتلا الآية:(قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)4 . وفى الخبر

«ردوا علىّ أبى العباس», وأيد بعضهم دعوى أن أبا إبراهيم عليه السلام الحقيقى

1- (1) حاشية البحار, ج 15 ص 118.

2- (2) الخصائص الفاطمية, الشيخ محمد باقر الكجورى, ج 2 ص 59.

3- (3) الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم, السيد جعفر مرتضى, ج 2 ص 187.

لم يكن كافراً وإنما الكافر عمه بما أخرجه ابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام فى النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إنّ كانت العجوز لتجمع الحطب فلما تحقق ذلک قال: حسبى الله تعالى ونعم الوكيل فلما ألقوه قال الله تعالى:(قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ)1 فكانت, فقال عمه من أجلى دفعه عنه فأرسل الله تعالى عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته(1).

الرأى الثانى: هو ما يختلف تماماً عن الرأى الأول حيث قالوا بكفر آباء النبى صلى الله عليه و آله, فقد ذكر الفخر الرازى فى التفسير الكبير، أنه قال: أن والدى رسول الله كانا كافرين، وذكر أن نص الكتاب يدل على أن آزر كان كافراً، وكان والد إبراهيم الخليل. فيقول: واعلم أن الرافضة ذهبوا إلى أن آباء النبى صلى الله عليه و آله كانوا مؤمنين وتمسكوا فى ذلک بهذه الآية وبالخبر، أمّا هذه الآية فقالوا: قوله تعالى:(وَ تَقَلُّبَکَ فِي السّاجِدِينَ)3 يحتمل الوجوه التى ذكرتم ويحتمل أن يكون المراد أن الله تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد كما نقوله نحن، وإذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة أنه لا منافاة ولا رجحان، وأما الخبر فقوله صلى الله عليه و آله:

«لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وكل من كان كافراً فهو نجس لقوله تعالى:(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

1- (2) أنظر: تفسير روح المعانى, الآلوسى, ج 7 ص 195.

نَجَسٌ)1 قالوا: فإن تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى:(وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) قلنا الجواب عنه أن لفظ الأب قد يطلق على العم كما قال أبناء يعقوب له:(نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ) فسموا إسماعيل أباً له مع أنه كان عمّاً له، وقال صلى الله عليه و آله:

«ردوا على أبى» يعنى العباس، ويحتمل أيضاً أن يكون متخذاً الأصنام, أب أمه؛ فإن هذا قد يقال له الأب قال تعالى:(وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ) إلى قوله تعالى:(وَ عِيسى) فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنّ إبراهيم كان جده من قبل الأم.

واعلم إنّا نتمسک بقوله تعالى:(لِأَبِيهِ آزَرَ) وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره، وأمّا حمل قوله:(وَ تَقَلُّبَکَ فِي السّاجِدِينَ) على جميع الوجوه فغير جائز لما بينا أن حمل المشترک على كل معانيه غير جائز، وأما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن(1).

وأشار إلى ذلک الآلوسى فى تفسره حيث يقول: والذى عول عليه الجم الغفير من أهل السنة أنّ (ءازر) لم يكن والد إبراهيم عليه السلام وادعوا أنه ليس فى آباء النبى صلى الله عليه و آله كافر أصلاً لقوله صلى الله عليه و آله:

«لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات والمشركون نجس». وتخصيص الطهارة بالطهارة من السفاح لا دليل له يعول عليه. والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. وقد أَلَّفُو فى هذا المطلب الرسائل واستدلوا له بما استدلوا، والقول بأن ذلک قول الشيعة كما ادعاه

1- (2) تفسير الرازى, ج 12 ص 9.

الإمام الرازی ناشئ من قلة التتبع(1).

الرأی الثالث: قالوا: بالتوقف والإمساک فی مسألة آباء النبی, فقد جاء فی فتاوی الأزهر تحریم الإساءة لآباء النبی صلی الله علیه و آله لما فیه إیذاء له صلی الله علیه و آله فتشمله اللعنة.

سئل القاضی أبو بکر بن العربی أحد أئمة المالکیة (رحمه الله) عن رجل قال إن آباء النبی صلی الله علیه و آله فی النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالی یقول:(إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِی الدُّنْیا وَ الآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِیناً)2 , قال ولا أذی أعظم من أن یقال عن أبیه أنه فی النار وقال الإمام السهیلی (رحمه الله) فی کتاب (الروض الأنف): ولیس لنا نحن أن نقول ذلک فی أبویه صلی الله علیه و آله لقوله علیه الصلاة والسلام لا تؤذوا الأحیاء بسبِّ الأموات والله تعالی یقول:(إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِی الدُّنْیا) وقد أمرنا أن نمسک اللسان إذا ذکر أصحابه رضی الله عنهم بشیء یرجع إلی العیب والنقص فیهم.

فلأن نمسک ونکف عن أبویه أحق وأحری إذا تکرر ذلک فحق المسلم أن یمسک لسانه عما یخل بشرف نسب نبیه علیه الصلاة والسلام بوجه من الوجوه ولا خفاء فی أن إثبات الشرک فی أبویه إخلال ظاهر بشرف نسب نبیه الطاهر، وجملة هذه المسائل لیست من الاعتقادات فلا حظّ للقلب فیها، وأما اللسان فحقه الإمساک عما یتبادر منه النقصان خصوصا عند العامة لأنهم لا یقدرون علی دفعه وتداارکه.

1- (1) تفسیر الآلوسی, ج 7 ص 388.

ومن ذلک یعلم أن الرجل الذی قال بموت أبوی النبی صلی الله علیه وسلم علی الکفر قد أخطأ خطأً بیّناً یأثم ویدخل به فیمن آذی رسول الله صلی الله علیه وسلم, ولکن لا یحکم علیه بالکفر؛ لأن المسألة لیست من ضروریات الدین التی یجب علی المکلف تفصیلها. هذا هو الحق الذی تقتضیه النصوص وعلیه المحققون من العلماء والله أعلم(1).

الشیعة الإمامیة

اشارة

إنّ ما دلت علیه أخبار الإمامیة وغیرها، واشتهر بین الاثنی عشریة، أنّ والدی رسول الله صلی الله علیه و آله ماتا علی الإیمان الکامل والإسلام الخالص، ولم یتدینا بأدیان أهل مکة طرفة عین أبداً، ولم یعبدا إلا الله, کما هو حال سلسلة آباء النبی صلی الله علیه و آله إلی آدم علیه السلام. قال الصدوق فی الاعتقادات: اعتقادنا فی آباء النبی صلی الله علیه و آله أنهم مسلمون من آدم علیه السلام إلی أبیه (النبی) عبد الله، وأن أبا طالب کان مسلماً، وآمنة بنت وهب أم رسول الله کانت مسلمة. وقال النبی صلی الله علیه و آله:

«إنی خرجت من نکاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم علیه السلام». وقد روی أن عبد المطلب کان حجة وأبو طالب کان وصیه(2). وفی النبوی أیضاً:

«لم أزل ینقلنی الله من أصلاب الطاهرین إلی أرحام المطهرات، حتی أخرجنی من عالمکم هذا ولم یدنسنی دنس الجاهلیة»(3). والحدیث عام یشمل جمیع آباء النبی وأجداده، ولو کان فیهم مشرک لأخرجه، ولو کان فیهم

1- (1) راجع: فتاوی الأزهر, ج 7 ص 316.

2- (2) أنظر: الاعتقادات فی دین الإمامیة, الشیخ الصدوق, ص 110.

3- (3) أوائل المقالات, الشیخ المفید, ص 46.

مشرک لم یصفهم جمیعا بالطهارة مع قوله تعالی:(أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ)1 .

قال أمین الدین الطبرسی فی مجمع البیان: أجمعت الطائفة علی ذلک.(1)

وقال المجلسی: اتفقت الإمامیة علی أنّ والدی الرسول صلی الله علیه و آله وکل أجداده إلی آدم صلی الله علیه و آله کانوا مسلمین، بل کانوا من الصدیقین، أو أوصیاء معصومین. ولعل بعضهم لم یُظْهِرْ الإسلام لمصلحة دینیة ولتقیة(2).

وفی الحدیث المعتبر عند الفریقین: «نزل جبرئیل علی رسول الله صلی الله علیه و آله فقال: یا محمد إن الله عز وجل: قد شفعک فی خمسة: فی بطن حملک وهی آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وفی صلب أنزلک وهو عبد الله بن عبد المطلب وفی حجر کفلک، وهو عبد المطلب بن هاشم، وفی بیت آواک وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب، وفی أخ کان لک فی الجاهلیة، قیل: یا رسول الله من هذا الأخ؟ فقال: کان انسی وکنت انسه، وکان سخیاً یطعم الطعام. واسم هذا الأخ الجلاس بن علقمة»(3).

وفی حدیث علل الشرائع: إن الله شفعک فی خمسة منها: فی حجر کفلک وفی بیت آواک، والمراد من الحجر عبد المطلب ومن البیت عبد مناف بن عبد المطلب. والنبی صلی الله علیه و آله لا یشفع للمشرک.

1- (2) أنظر: تفسیر مجمع البیان, الطبرسی, ج 4 ص 90.

2- (3) البحار, المجلسی, ج 15 ص 117.

3- (4) أنظر الخصال, الشیخ الصدوق, ص 293.

وفی تهـذیب الأحکام عن صـفوان الجمال عن الصادق علیه السـلام عن النبی صـلی الله علیه و آله قال: إنی مسـتوهب من ربی أربعة وهو واهبهم لی إن شـاء الله تعـالی: آمنـة بنت وهب، وعبـد الله بن عبـد المطلب، وأبو طـالب، ورجل من الأنصار جرت بینی وبینه ملحة(1). والرسول صلی الله علیه و آله لا یستوهب مشرکاً وینجیه من النار. ولعل الرجل هو (خلاص بن علقمة)، والملحة: إما أن تکون (الحلف) أو أکـل الملـح، أی أنّه صـلی الله علیه و آله أکل من زاده وملحه. وأیضاً من أدلتنا معاشـر الشـیعة علی طهارة آباء النبی صـلی الله علیه و آله وأجـداده من کتاب الله قوله تعالی:(الَّذِی یَرَاکَ حِینَ تَقُومُ * وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ)2 أی أنّه کان ینقل روحه من ساجـد إلی ساجد، فالآیة دالة علی أن جمیع آباء النبی صلی الله علیه و آله کانوا مسلمین مؤمنین: عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وغیرهم.

ومعنی ذلک: هو أنه لیس فی آباء الرسول صلی الله علیه و آله إلا الخیر والبرکة، وهذا هو ما ورثه الرسول عنهم، ویتأکد بذلک طهارته صلی الله علیه و آله من الأرجـاس، والرذائـل، حتی مـا یکون عن طریق الوراثـة، والنـاس معـادن کمعـادن الـذهب والفضـة، وهو ما أثبته العلم الحدیث أیضا، حیث لم یبق ثمة أیة شبهة فی تأثیر عامل الوراثة فی تکوین شخصیة الإنسان، وفی خصاله ومزایاه.

محاولة فاشلة

ذکر ابن أبی الحدید احتمالاً لإثبات خیالات أبناء جنسه، فقال: إذا تعارض الجرح والتعدیل، فالترجیح لجانب الجرح; لأن الجارح قد اطلع علی زیادة

1- (1) قرب الإسناد, الحمیری القمی, ص 56.

لم يطلع عليها المعدل ولا شهادة على النفى(1).

والجواب

أولا: إننا نقول إنّ أخبارنا وصلت حد الاستفاضة، وما تروونه من أن أبا طالب قال عند موته: «أنا على دين الأشياخ» فالمقصود من الأشياخ آباؤه الكرام وأجداده العظام، وعلى هذا فلا تعارض بين الدليلين لتصل النوبة إلى الجرح والتعديل وتقديم الجارح على المعدل.

وثانياً: من البديهى عدم إمكان إثبات كفر والدى الرسول وأبى طالب من ظاهر قوله تعالى:(وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) لأن آزر كان عمه ولم يكن أباه الواقع فى عمود النسب النبوى، وإطلاق الأب على العم لغة مستعملة عند العرب إلى يومنا هذا، كما أنهم يطلقون الأم على الخالة.

وثالثا: إن ابن أبى الحديد نفسه قال أنه سأل شيخه النقيب يحيى بن أبى زيد فقال: قد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين(2).

خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبى صلى الله عليه و آله

اشارة

أولاً: هناک روايات كثيرة تدل على إيمان آبائه صلى الله عليه و آله، بالإضافة إلى إجماع

1- (1) شرح النهج, ابن ابى الحديد, ج 14 ص 49.

2- (2) شرح النهج, ج 14 ص 38.

الطائفة المحقة، وهذا الإجماع وإن كان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه، ومستند ذلک هو الأخبار. والإحاطة بجميعها متعسر، إن لم يكن متعذرا. وهذا هو الدليل المعتمد(1).

من تلک الأخبار قوله صلى الله عليه و آله:

«لم يزل ينقلنى الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجنى فى عالمكم، ولم يدنسنى بدنس الجاهلية»(2). ولو كان فى آبائه صلى الله عليه و آله كافر، لم يصفهم كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى:(إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . وغيرها كثير وقد تقدم بعضها. ومنها: قال صلى الله عليه و آله:

«فأحبطنى الله تعالى إلى الأرض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقذفنى فى صلب إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط»(3).

ومنها: عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

والله ما عبد أبى، ولا جدى عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط. قيل: وما كانوا يعبدون؟ قال:

كانوا يصلون إلى البيت، على دين إبراهيم، متمسكين به(4).

ثانيا: الآيات القرآنية منها قوله تعالى:(الَّذِى يَرَاکَ حِينَ تَقُومُ * وَ تَقَلُّبَکَ

1- (1) راجع الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم, السيد جعفر مرتضى, ج 2 ص 189.
2- (2) أوائل المقالات, الشيخ المفيد, ص 46.
3- (3) السيرة الحلبية, الحلبى, ج 1 ص 49.
4- (4) الخرائج والجرائح, قطب الدين الراوندى, ج 3 ص 1074.

فِی السّاجِدِینَ)1 . وقد روی عن ابن عباس، وأبی جعفر، وأبی عبد الله علیهماالسلام: أنّه صلی الله علیه و آله لم یزل ینقل من صلب نبی إلی نبی حتی صرت نبیاً(1). والروایات صریحة فی تفسیر هذه الآیة وقد تقدم بعضها.

ومنها: حکایة قوله تعالی لقول إبراهیم و إسماعیل:(رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِکَنا وَ تُبْ عَلَیْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ)3 ، مع قوله تعالی:(وَ جَعَلَها کَلِمَةً باقِیَةً فِی عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ)4 ، أی فی عقب إبراهیم، فیدل علی أنه لا بد أن تبقی کلمة الله فی ذریة إبراهیم، ولا یزال ناس منهم علی الفطرة یعبدون الله تعالی حتی تقوم الساعة. ولعل ذلک استجابة منه تعالی لدعاء إبراهیم الذی قال:(وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ) وقوله:(رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ) .

ثالثا: أمر الإمام الصادق فی الطواف لآباء النبی صلی الله علیه و آله وصلاة رکعتین, کما ورد فی الکافی عن داود الرقی قال: دخلت علی أبی عبد الله صلی الله علیه و آله ولی علی رجل مال قد خفت تواه فشکوت إلیه ذلک فقال لی:

«إذا صرت بمکة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلِّ رکعتین عنه وطف عن أبی طالب طوافاً وصلِّ عنه رکعتین وطف عن عبد الله طوافاً وصلِّ عنه رکعتین وطف عن آمنة طوافاً

1- (2) مجمع الزوائد, الهیثمی, ج 8 ص 214. قال ورجاله ثقات, الطبرانی فی المعجم الکبیر, ج 11 ص 287.

وصلِّ عنها ركعتين وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلِّ عنها ركعتين ثم ادع أن يرد عليک مالک»، قال: ففعلت ذلک ثم خرجت من باب الصفا وإذا غريمی واقف يقول: يا داود حبستنی تعال أقبض مالک(1).

فلو كانوا مشركين كيف يأمر الإمام الصادق عليه السلام بذلک, بل نفهم من ذلک أن لهم خصوصيات زائدة على الأيمان ومكانة عالية عند الله.

استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه

اشارة

وقد اعترض على القائلين بإيمان جميع آبائه صلى الله عليه و آله إلى آدم، بأن القرآن الكريم ينص على كفر (آزر) أبی إبراهيم، قال تعالى:(وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوّاهٌ حَلِيمٌ)2 . فيلزم من هذا خرم للقاعدة, فی أن سلسلة آباء النبی صلى الله عليه و آله إلى آدم كانوا على الإيمان والطهر, حيث أنّ والد نبی الله إبراهيم عليه السلام (الذی هو من سلسلة آباء النبی صلى الله عليه و آله) لم يكن على ملة الإسلام وإنّما كان من المشركين كما فی هذه الآية, فعليه لا يصح القول إنّ جميع آباء النبی صلى الله عليه و آله إلى آدم كانوا مؤمنين.

والجواب

أولا: إنّ اسم (آزر) الذی فی الآية ليس أباً لإبراهيم عليه السلام وإنما عمه, أو جده لأُمه، على اختلاف النقل واسم أبيه الحقيقی: (تارخ) وإنّما أطلق عليه لفظ الأب توسعاً، وتجوزاً, وهذا كقوله تعالى:(أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

1- (1) الكافی, الشيخ الكلينی, ج 4 ص 544.

اَلْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)1 . فعد فیهم إسماعیل، ولیس من آبائه، ولکنه عمه(1). یؤیده ما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام قال:

آزر کان عم إبراهیم, منجماً لنمرود(2).

وثانیاً: إن استغفار إبراهیم لأبیه قد کان فی أول عهده وفی شبابه، مع أنّنا نجد أن إبراهیم علیه السلام حین شیخوخته، وبعد أن رزق أولاداً، وبلغ من الکبر عتیاً یستغفر لوالدیه، قال تعالی حکایة عنه:(رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسابُ)4 قال هذا بعد أن وهب الله له علی الکبر إسماعیل وإسحاق حسب نص الآیات الشریفة. ومن الواضح: أنّ بین الوالد والأب فرقاً، فإن الأب یطلق علی المربی وعلی العم والجد، أمّا (الوالد) فإنما یخص الوالد بلا واسطة. فالاستغفار هنا فی الآیة إنما کان للوالد، أمّا فی الآیة: (وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ...) الخ فکان للأب الذی هو غیر والده.

إشکال وجواب

روی مسلم وغیره: أن رجلاً سأل النبی صلی الله علیه و آله: أین أبی؟ فقال: فی النار. فلما قفا دعاه، وقال له: إن أبی وأباک فی النار(3).

1- (2) راجع: الصحیح من سیرة النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم, السید جعفر مرتضی, ج 2 ص 189.

2- (3) راجع: تفسیر المیزان, السید الطباطبائی, ج 7 ص 207.

3- (5) صحیح مسلم, ج 1 ص 133. وسنن أبی داود, ج 2 ص 417.

الجواب

أولاً: إنّ هـذا غير صـحيح لما تقـدم. وهو ما يـدل على إيمان جميع آبائه صـلى الله عليه و آله. وأن أنوارهم محفوظـة: يعنى حفظها الله عز وجل عن أقذار الجاهلية وأنجاسـها وأدناس الضلالة وأرجاسها بأن لم يودعها إلا الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة, فإن اعتقادنا كما عليه الإجماع, بل الضـرورة أن آباءهم الذين اسـتودعوا تلك الأمانة الإلهية من الخاتم إلى آدم، كانوا بأجمعهم مؤمنين طاهرين، لم يشـركوا بالله تعالى طرفة عين, وكذلک امَّهاتهم اللاتى اسـتودعن تلک الأمانة كما فى الزيارة (لم تنجسک الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسک من مدلهمات ثيابها). وكما ورد عن الصادق عليه السـلام قال: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق الأنوار وخلق نور الأنوار الذى نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الـذى نورت منه الأنوار, وهو النور الـذى خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شـىء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين فى الأصلاب الطاهرة حتى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد الله وأبى طالب(1).

وفى الاحتجاج عن الصادق عليه السـلام فى جواب مسائل الزنـديق، قال عليه السـلام: وأخرج من آدم نسـلاً طاهراً طيباً، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صـفوة الله وخالص الجوهر، طهروا فى الأصـلاب وحفظوا فى الأرحام، ولم يصـبهم سـفاح الجاهلية ولا شاب أنسابهم؛ لأن الله تعالى جعلهم فى موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه, فمن كان خازن علم الله، وأمين غيبه، ومستودع سره، وحجة على

1- (1) مكيال المكارم, ميرزا محمد تقى الأصفهانى, ج 1 ص 368.

خلقه، وترجمانه، ولسانه لا يكون إلا بهذه الصفة، فالحجة لا يكون إلا من نسلهم، يقوم مقام النبى صلى الله عليه و آله فى الخلق.(1)

وثانيا: لقد روى هذه الرواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. مع أننا نجد: أنّ معمراً قد روى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، ولكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه صلى الله عليه و آله، فقد قال له صلى الله عليه و آله: (حيثما - أو إذا - مررت بقبر كافر فبشره بالنار). وقد نص علماء الجرح والتعديل (من أصحاب هؤلاء الرواة) على أن معمراً أثبت من حماد. وأن الناس قد تكلموا فى حفظ حماد، ووقع فى أحاديثه مناكير، دسها ربيعة فى كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدث بها، فوهم فيها(2).

وثالثا: لقد رويت هذه الرواية بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن أبى وقاص، وجاء فيها: حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار. وكذا روى عن الزهرى، بسند صحيح أيضا. وهذا نص الرواية: حدثنا محمد بن إسماعيل بن البخترى الواسطى, حدثنا يزيد بن هارون، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهرى، عن سالم، عن أبيه، قال: جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنّ أبى كان يصل الرحم، وكان وكان. فأين هو؟ قال صلى الله عليه و آله: (فى النار), قال فكأنه وجد من ذلک. فقال: يا رسول الله فأين أبوک؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله «حيثما مررت بقبر مشرک، فبشره بالنار» قال فأسلم الأعرابى، بعد. وقال: لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه و آله

1- (1) الاحتجاج, ج 2 ص 78.

2- (2) راجع الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم, السيد جعفر مرتضى, ج 2 ص 192.

تعبا. ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. وفى الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح(1).

وقد رفض الجمهور ما جاء فى المستدرک, أنّ رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و آله, فقال يا رسول الله إنّ أُمنا تحفظ على البعل وتكرم الضيف وقد وأدت فى الجاهلية فأين أُمنا قال أمكما فى النار, فقاما وقد شق ذلک عليهما فدعاهما رسول الله صلى الله عليه و آله فرجعا فقال: إنّ أمى مع أمكما(2).

حتى أنّ الحلبى وغيره قد أسقطوه, فقال: يجوز أن يكون قوله لشخصين أمى وأمكما فى النار على تقدير صحته التى ادعاها الحاكم فى المستدرک كان قبل إحيائها وإيمانها به كما تقدم, نظير ذلک فى أبيه صلى الله عليه وسلم. وقولنا على تقدير صحة الحديث إشارة لما تقرر فى علوم الحديث أنه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح فى المستدرک لما عرف من تساهله فيه فى التصحيح وقد بين الذهبى ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا(3).

1- (1) سنن ابن ماجة, محمد بن يزيد القزوينى, ج 1 ص 501. ومجمع الزوائد, ج 1 ص 118.

2- (2) المستدرک, الحاكم النيسابورى, ج 2 ص 364.

3- (3) راجع: السيرة الحلبية, الحلبى ج 1 ص 174.

الفصل الثانی: فاطمة بنت أسد أمُّ الإمام علیٍّ علیهما السلام

اشارة

ص:111

النسب الطاهر

هی السیدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصی بن کلاب بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن کنانة, بن خزیمة بن مدرکة بن إلیاس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو من أولاد نبی الله إسماعیل علیه السلام.

وإنها أول هاشمیة ولدت لهاشمی(1), حیث لم یکن فی زمانها هاشمی ابن هاشمیین إلا أولادها, ثم أولاد علی علیهم السلام, وهی تکون بنت عم أبی طالب علیه السلام زوجها (عبد مناف بن عبد المطلب), حیث أنّ عبد المطلب بن هاشم (الذی هو والد أبی طالب) وأسد إخوان. کما نفهم منه أیضا قربها من النبی صلی الله علیه و آله حیث أنّ أباها أسد أخ لجد النبی صلی الله علیه و آله کما هو واضح, فهی بنت عم والد النبی صلی الله علیه و آله, وهو عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم, فتجتمع مع النبی صلی الله علیه و آله فی هاشم من جهة الأب.

وأمّا أمّها: فهی فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معیص بن

1- (1) الطبقات الکبری, محمد بن سعد, ج 8 ص 51.

عامر بن لؤی(1). وتلتقی فاطمة بنت أسد بنسب النبی صلی الله علیه و آله من جهة الأم فی لؤی, وهو الجد السابع لها من قبل أمها. وأمّا إخوانها: حنین بن أسد, وخالدة بنت أسد.

ومحل ولادة السیدة فاطمة بنت أسد علیهاالسلام فی مکة المکرمة, حدودا فی سنة (61 قبل الهجرة), ومدة عمرها ما یقارب (65 سنة), وفی روایة (60 سنة) وروایة أخری (70 سنة)(2). وقد توفیت سنة (4 بعد الهجرة النبویة), کما سیأتی بیانه إن شاء الله تعالی.

إیمانها بالله والرسول

لم یکن إیمان فاطمة بنت أسد متأخراً کما هو شأن عوام الناس بعد البعثة, بل کان أمره سابقاً حتی علی ولادة النبی صلی الله علیه و آله بحسب مقتضیات الأسرة الهاشمیة ودیدنها بإیمانهم بالحنیفیة الإبراهیمیة, وبمجیء البعثة المحمدیة, وهو أمر واضح عند أدنی نظرة فی سیرتها المبارکة الخالدة, وقد کشف لنا النبی صلی الله علیه و آله مدی إخلاصها وإیمانها قبل مجیء الإسلام, حیث یقول: «رحمک الله یا أمی کنت أمی بعد أمی تجوعین وتشبعینی وتعرین وتکسینی وتمنعین نفسک طیباً وتطعمینی تریدین بذلک وجه الله والدار الآخرة»(3). فکانت خدمتها ورعایتها للنبی صلی الله علیه و آله فی وقت سابق علی البعثة بدافع أیمانی مرسخ بالإخلاص والتقرب لله تعالی, ویظهر مدی إیمانها السابق أیضاً ما جری علی لسانها فی حال لجوئها إلی

1- (1) مقاتل الطالبیین, أبو فرج الأصفهانی, ص 3.

2- (2) راجع: کتاب کاروانی با سیزده کجاوه, ص 44.

3- (3) المعجم الأوسط, الطبرانی, ج 1 ص 67.

الكعبة الشـريفة لا غير فی مخاضها بسيد الوصيين أمير المؤمنين حيث قالت: رب إنی مؤمنة بک وبما جاء من عندک من رسل وكتب، وإنی مصدقـة بكلام جدی إبراهيم الخليل عليه السـلام، وإنّه بنی البيت العتيق... وهكذا إلی آخر حياتها, لاسـيما بعد البعثة المباركة, وظهور ما كان راسـخاً فی أذهانهم ومتشرباً فی عقائدهم, فقد كشفت لنا جملة من النصوص مدی ذوبانها بالإسلام, فعن عبد الله ابن يسار، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: كانت فاطمة بنت أسد أُم علی بن أبی طالب حادية عشرة، يعنی فی السابقة إلی الإسلام، وكانت بدرية(1).

وعن أبی عبد الله عليه السلام

قال: إن فاطمـة بنت أسـد أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلی رسول الله صـلی الله عليه و آله من مكـة إلی المدينـة علی قـدميها وكانت من أبر الناس برسول الله(2).

وعن جرير بن عبـد الحميـد عن مغيرة عن إبراهيم، عن الحسن البصـری عن الزبير بن العوام قال: سـمعت النبی صـلی الله عليه و آله يدعو النساء إلی البيعـة حين أنزلت هذه الآية:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَکَ)3 . وكانت فاطمـة بنت أسد أوّل امرأة بايعت رسول الله صلی الله عليه و آله. وكـانت صالحـة وكـان رسول الله صـلی الله عليه و آله يزورهـا ويقيل فی بيتها(3). ولما توفت نزع رسول الله قميصـه فألبسها إياه, كما سيأتی بيانه إن شاء الله.

1- (1) مقاتل الطالبيين, ابی فرج الاصفهانی, ص 55.

2- (2) الكافی, الشيخ الكلينی, ج 1 ص 453.

3- (4) الطبقات الكبری, محمد بن سعد, ج 8 ص 222.

مكانتها عند الله ورسوله

حظيت فاطمة بنت أسد (أُم الأمام أمير المؤمنين عليه السلام) بمكانة عالية عند الله وعند رسوله تمتاز بها عن غيرها من النساء, فيكفيها فخراً أنها كانت أُمّاً لخاتم النبيين وأُمّاً لسيد الوصيين, وعليه قد صحبتها كرامات ومعاجز يعجز عن تفسيرها الذهن البشرى, والتى من جملتها انشقاق جدار البيت العتيق ودخولها فيه, وغيرها, لذلک ظللها النبى صلى الله عليه و آله بما يتناسب وشأنها ومكانتها المعنوية التى تتمتع بها, فقد ورد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين كانت أوّل امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبر الناس برسول الله صلى الله عليه و آله، فسمعت رسول الله وهو يقول: إنّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا فقالت: وآسوأتاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله: فإنى أسأل الله أن يبعثک كآسية. وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: وآضعفاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله: فإنى أسأل الله أن يكفيک ذلک، وقالت لرسول الله صلى الله عليه و آله يوماً: إنى أريد أن أعتق جاريتى هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منک من النار، فلما مرضت أوصت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وأمرت أن يعتق خادمها، واعتقل لسانها فجعلت تومى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله إيماء، فقبل رسول الله صلى الله عليه و آله وصيتها(1).

ويكفيها ما نزل فيها من المدح فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماواتِ

1- (1) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 453.

وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هـذا باطِلاً سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ) , إلى قوله:(فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لا أُضِیعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْکُمْ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ)1 .

فقد ورد الذکر علی، والأنثی الفواطم، وهن فاطمة بنت رسول الله صـلی الله علیه و آله وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبیر, (بعضـکم من بعض) یقول: علی من فاطمة(1).

وروی فی الـذخائر أنها توفیت بالمدینة وشـهدها النبی صـلی الله علیه و آله وتولی دفنها ونزع قمیصه وألبسـها إیاه واضـطجع فی قبرها فلما سوی علیها التراب سـئل عن ذلک فقال ألبسـتها لتلبس من ثیاب الجنة واضطجعت معها فی قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر إنها کانت أحسن خلق الله صنیعاً إلیّ بعد أبی طالب(2).

وبالجملة, جلالة فاطمة بنت أسد یعلم من ولادتها أمیر المؤمنین علیه السلام فی جوف الکعبة، وأنها کانت من السابقات إلی الإیمان، وکان رسول الله صلی الله علیه و آله یکرمها ویعظمها ویدعوها أمی.

وروی أنها لما ماتت بکی علیها النبی صـلی الله علیه و آله وکفنها بثیابه، وصـلی علیها، وکبر علیها أربعین تکبیرة، وقد صلی علیها صلاة لم یصل قبلها ولا بعدها علی أحد مثلها ودخل فی قبرها وتمدد فیه. کما سیأتی بیانه إن شاء الله.

1- (2) الأمالی, الشیخ الطوسی, ص 471.

2- (3) أنظر: ذخائر العقبی, أحمد بن عبدالله الطبری, ص 56. مجمع الزوائد, الهیثمی, ج 9 ص 257.

فاطمة بنت أسد أم النبى الثانية

حازت فاطمـة بنت أسد على هذا اللقب العظيم (أم النبى) والذى يكشف عن مدى إيمانها وعظم مكانتها عند الله ورسوله؛ وذلک لرعايتها واهتمامها برسول الله صـلى الله عليه و آله. لـذلک: عنـدما سـئل النبى صـلى الله عليه و آله عن اهتمامه فى تجهيز ودفن فاطمة بنت أسـد والذى لم يسبق له نظير, قال: إن أبى هلک وأنا صغير فأخذتنى هى وزوجها فكانا يوسعان علىَّ ويؤثرانى على أولادهما فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها.(1)

ويؤكد هذا ما ذكره الحاكم فى مسـتدركه, عن على عليه السـلام قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه و آله فى قميصه وصـلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل فى قبرها فجعل يومى فى نواحى القبر كأنه يوسعه ويسوى عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا فى قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله رأيتک فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحـد فقال يا عمر إنّ هذه المرأة كانت أمى التى ولدتنى إنّ أبا طالب كان يصـنع الصـنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هـذه المرأة تفضـل منه كله نصـيبنا فـأعود فيه وان جبريـل عليه السـلام أخبرنى عن ربى عز وجل أنّها من أهل الجنـة وأخبرنى جبريل عليه السلام أنّ الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها(2).

وأيضاً روى عن فاطمـة بنت أسـد: أنه لما ظهرت أمارة وفاة عبـد المطلب قال لأولاده: من يكفل محمـداً؟ قالوا: هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه. فقال عبد

1- (1) علل الشرائع, الشيخ الصدوق, ج 2 ص 469

2- (2) المستدرک على الصحيحين, الحاكم النيسابورى, ج 3 ص 108.

المطلب: يا محمد جدک علی جناح السفر إلی القیامة، أی عمومتک وعماتک ترید أن یکفلک؟ فنظر فی وجوههم، ثم زحف إلی عند أبی طالب، فقال له عبد المطلب: یا أبا طالب، إنی قد عرفت دیانتک وأمانتک، فکن له کما کنت له. قالت: فلما توفی أخذه أبو طالب، وکنت أخدمه، وکان یدعونی الأم(1).

وروی أیضاً أنه صلی الله علیه وسلم صلی علیها وتمرغ فی قبرها وبکی وقال جزاک الله من أُم خیراً فلقد کنت خیر أم، وسماها أماً؛ لأنها کانت ربته(2).

وقد ذکر الطبرانی فی المعجم الکبیر عن عاصم الأحول عن أنس بن مالک قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علی بن أبی طالب دخل علیها رسول الله صلی الله علیه و آله فجلس عند رأسها فقال: رحمک الله یا أمی کنت أمی بعد أمی تجوعین وتشبعینی وتعرین وتکسینی وتمنعین نفسک طیباً وتطعمینی تریدین بذلک وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذی فیه الکافور سکبه رسول الله صلی الله علیه و آله بیده ثم خلع رسول الله صلی الله علیه و آله قمیصه فألبسها إیاه وکفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله صلی الله علیه و آله أسامة بن زید وأبا أیوب الأنصاری وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود یحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلی الله علیه و آله بیده وأخرج ترابه بیده فلما فرغ دخل رسول الله صلی الله علیه و آله فاضطجع فیه ثم قال: الله الذی یحیی ویمیت وهو حی لا یموت أغفر لأمی فاطمة بنت أسد ونکبتنا حجتها ووسع علیها مدخلها بحق نبیک والأنبیاء الذین من قبلی فإنک أرحم الراحمین وکبر علیها أربعاً وأدخلوها اللحد(3).

1- (1) الخرائج والجرائح, قطب الدین الراوندی, ج 1 ص 138

2- (2) ذخائر العقبی, أحمد بن عبد الله الطبری, ص 55

3- (3) المعجم الکبیر, الطبرانی, ج 24 ص 351

مشهد من كرم بنى هاشم

حفلت سيرة بنى هاشم بهذه الصفة (الكرم) والتى مدحها العقل وأقرها الشرع وأثاب على كل من تلبس بها, وكان من أجلى مصاديق ذلک الأنبياء وأوصياؤهم وذلک بما هو ثابت عقلاً وشرعاً أنّ المعصوم كامل الصفات لا يسبقه أحد على ذلک, نأخذ مثالاً هنا له صلة بالبحث, وهو أن النبى صلى الله عليه و آله قبل الهجرة خرج يوماً إلى خارج مكة ورجع طالباً منزله فاجتاز بمناد ينادى من بنى تميم (وكان لهم سيد يسمى عبد الله ابن جذعان، وكان يعد من سادات قريش وأشياخهم، وكان له منادية ينادون فى شعاب مكة وأوديتها: من أراد الضيافة والقرى فليأت مائدة عبد الله بن جذعان، وكان من مناديه: أبو قحافة، وأجرته أربعة دوانيق، وله مناد آخر فوق سطح داره) فأخبر عبد الله بن جذعان بجواز النبى صلى الله عليه و آله على بابه، فخرج يسعى حتى لحق به وقال: يا محمد؟ بالبيت الحرام إلا ما شرفتنى بدخولک إلى منزلى وتحرمک بزادى، وأقسم عليه برب البيت والبطحاء وبشيبة بن عبد المطلب، فأجابه النبى صلى الله عليه و آله إلى ذلک ودخل منزله وتحرم بزاده، فلما خرج النبى صلى الله عليه و آله خرج معه ابن جذعان مشيعاً له، فلما أراد الرجوع عنه قال له النبى صلى الله عليه و آله: إنى أحب أن تكون غدا فى ضيافتى أنت وتيم وأتباعها وحلفاؤها عند طلوع الغزالة(1) ، ثم افترقا ومضى النبى إلى دار عمه أبى طالب وجلس متفكراً فيما وعده لعبد الله بن جذعان، إذ دخلت عليه فاطمة بنت أسد عليهاالسلام (وكانت هى

1- (1) فى الصحاح, ج 5 ص 1781, غزالة الضحى: أولها، يقال: جاءنا فلان فى غزالة الضحى، ثم قال: ويقال: الغزالة الشمس أيضا. وفى القاموس, ج 4 ص 24: كسحابة الشمس لأنها تمد حبالا كأنها تغزل، أو الشمس عند طلوعها، أو عند ارتفاعها، أو عين الشمس.

مربيته، وكان يسـميها الأم) فلما رأته مهموما قالت: فـداک أبی وأمی، ما لی أراک مهموماً؟ أعارضک أحـد من أهل مکـة؟. فقال: لا. قالت: فبحقی علیک إلا ما أخبرتنی بحالک, فقص علیها قصـته مع ابن جذعان وما قاله وما وعده من الضیافة، فقالت: یا ولدی لا تضیقن صدرک، معی مشار عسل یقوم لک بکل ما تریـد، فبینما هما فی الحدیث إذ دخل أبو طالب رضـی الله عنه، فقال لزوجته: فیما أنتما؟. فأعلمته بذلک کله، وبما قال النبی صلی الله علیه و آله لابن جذعان، فضمه إلی صدره وقبل ما بین عینیه، وقال: یا ولدی بالله علیک لا تضیقن صدرک من ذلک، وفی نهار غـد أقوم لک بجمیع ما تحتاج إلیه إن شاء الله تعالی، وأصـنع ولیمـة تتحـدث بها الرکبان فی سائر البلدان، وعزم علی ولیمة تعم سائر القبائل...(1).

زواجها من أبی طالب

اختار أبو طالب فاطمـة بنت أسـد شـریکة لحیاته, وذلک بما کانت تمتاز بصـفات کمالیة عالیة تؤهلها لأن تکون کفؤاً له, لاسـیما إن قلنا أنه وصـی من الأوصیاء (کما ذکر عن أبی الحسن الأول... لأنه کان قد آمن وأقر، وکیف لا یکون کذلک والحال أن أبا طالب کان من الأوصیاء، وکان أمیناً علی وصایا الأنبیاء وحاملا لها إلیه صلی الله علیه و آله...)(2). وله المکانة والقدر العالی عند الله, ومن ناحیة أخری تکون وعاء لسید الأوصیاء, فهذه وغیرها تکشف لنا عن سبب اختیار أبی طالب لها,

---

1- (1) بحار الأنوار, المجلسی, ج 30 ص 367.

2- (2) أنظر: تهذیب المقال فی تنقیح کتاب رجال النجاشـی, السید محمد علی الأبطحی, ص 407. بحار الأنوار, العلامة المجلسی, ج 35 ص 74.

وقـد خطب أبو طالب فی نكاح فاطمـة بنت أسد حيث قال: الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم والمقام الكريم والمشـعر والحطيم الذی اصـطفانا أعلاماً وسدنة وعرفاء وخلصاء وحجيته بهاليل أطهار من الخنا والريب والأذی والعيب وأقام لنا المشاعر وفضلنا علی العشائر نخب آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل. وفی كلام له قال: وقد تزوجت بنت أسد وسقت المهر ونفذت الأمر فاسألوه واشهدوا، فقال أسد: زوجناك ورضينا بک، ثم أطعم الناس فقال أمية بن الصلت:

اغمرنا عرس أبی طالب وكان عرساً لبن الحالب

اقرأؤه البدو بأقطاره من راجل خف ومن راكب(1)

مشهد من إيمان أبی طالب

من الهوان أن يُشكک فی إيمان رائد المسيرة الإسلامية والقاعدة الكبری لانطلاق الإسلام واستحكامه والممهد له والركن القويم, حتی يأتی الدانی الذی تشـرّب هو وأسـلافه فی محض الشـرک وعبادة الأصـنام وتناول النجاسات أن ينال من العالی وينكر وينفی إيمان من هو محل الإيمان, وهـذا إن يعبر عن شـیء فهو يعبر عن مـدی الانتكاسـة التی مرّ بها العالم الإسـلامی, والازدواجية القصوی فی المعايير, فلم يكن إيمان أبی طالب بل العائلـة الهاشـمية والعدنانيـة إلا مصدراً للإيمان وللإسـلام والممهدين لخاتمية الرسالة, إلا من شذ كأبی لهب, لذلک نجد سيرتهم لاسيما أبی طالب عليه السلام حافلة بالتلبسات العبادية والتضحيات الإيمانية والتنبؤات اليقينية, ويكفی ذلک إعجازاً أنّه أرضع النبی, كما ورد عن أبی بصير، عن أبی عبد

1- (1) مناقب آل أبی طالب, ابن شهر آشوب, ج 2 ص 20.

الله عليه السلام قال: لما ولد النبى صلى الله عليه و آله مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدى نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فرضع منه أياماً حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها(1). وربما يضعف تحمل هذا الحديث من ضعاف النفوس وقليلى الإيمان كما أشار لذلک رسول الله صلى الله عليه و آله بقوله:

إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملک مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان(2). وعن الإمام الصادق عليه السلام

إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة(3). وأيضا تناسوا أو تغافلوا مما صدر عن النبى صلى الله عليه و آله من نظائر لذلک, فهم يرون الحياة من جانب واحد أو من جانب مادى وهو الجانب الذى استولى على حياتهم ومشاعرهم ونفوسهم ولا يعطون للتدخلات الغيبية والمعجزات أو الكرامات الإلهية أى اهتمام أو قبول, فلو رجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا كيف يفرق بين المؤمن وغيره بالإيمان بالغيب بقوله:(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ)4 , فقد شاءت حكمته تعالى أن يعطى لأنبيائه والأوصياء والصالحين القدرة على التحكم بما هو خارج عن نواميس الطبيعة بأذنه سواء كان على سبيل المعجزة أم الكرامة وقد ضرب لنا أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم سواء كان للأنبياء أم غيرهم من قبيل معاجز نبى الله سليمان عليه السلام أو إحضار عرش بلقيس (قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ

1- (1) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 448.

2- (2) نفس المصدر, ج 1 ص 401.

3- (3) نفس المصدر.

اَلْكِتابِ أَنَا آتِيکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْکَ طَرْفُکَ فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِيَبْلُوَنِی أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ كَرِيمٌ)1 , وغير ذلک فی القرآن كثير, إضافة إلى ما ورد فی السنة الشريفة, فلماذا نستكثر ونستغرب ما حدث عن أبی طالب عليه السلام مع النبی صلى الله عليه و آله سواء كان ذلک إكراماً لمنزلة أبی طالب عند الله أم رعاية للنبی الأكرم صلى الله عليه و آله. وقد ورد أيضاً عن فاطمة بنت أسد أنها قالت: لما توفی عبد المطلب أخذ أبو طالب النبی صلى الله عليه و آله عنده لوصية أبيه به وكنت أخدمه وكان فی بستان دارنا نخلات وكان أول إدراک الرطب وكنت كل يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلک جاريتی فاتفق يوماً أن نسيت أن التقط له شيئاً ونسيت جاريتی أيضاً، وكان محمد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكم على وجهی حياءً من محمد صلى الله عليه و آله إذا انتبه فانتبه محمد صلى الله عليه و آله ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال: أيتها الشجرة أنا جائع. فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التی عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها، فتعجبت من ذلک وكان أبو طالب رضى الله عنه غائباً فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال: هو إنما يكون نبياً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس. فولدت علياً عليه السلام كما قال(1). وهذا أيضاً يكشف عن مدى اتصال أبی طالب عليه السلام بالغيب وعن مدى إيمانه وعلمه.

1- (2) الغدير, الشيخ الأمينی, ج 7 ص 398.

أبو طالب رمز الإيمان

اشارة

كـثرة تشـويش أذهـان المـؤمنين والمستضـعفين من قبـل المغرضـين والمحرّفين فى تشويه وتحريف سـيرة أحـد كبـار ورموز المضـحين والمدافعين عن بيضة الإسـلام وحامل لوائه, جعلتنا أن نذكر وباختصار الأدلة الاثباتية على إيمانه عليه السـلام, فإن الدلائل على إيمان أبى طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث اسـتقطبت اهتمام كل المحققين المنصـفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصبين توقف فى إيمان تلك الشخصـية المتفانية العظيمة بالدعوة المحمدية بينما تجاوز فريق هذا الحد إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنه مات غير مؤمن. ولو صـحت عشـر هـذه الـدلائل الدالة على إيمان أبى طالب الثابتة فى كتب التاريخ والحديث، فى حق رجل آخر لما شك أحد فى إيمانه فضـلاً عن إسلامه ولكن لا يعلم الإنسان لماذا لا تستطيع كل هذه الأدلة إقناع هذه الزمرة، وإنارة الحقيقة لهم؟ فهناك أدلة كثيرة تدل على إيمان أبى طالب من جملتها ما يلى:

الأول: الروايات الواردة بحقه

والروايات فى هذا المجال كثيرة, منها: ما روى عن على بن محمد الباقر عليه السلام:

«لو وضع إيمان أبى طالب فى كفه ميزان، وإيمان هذا الخلق فى الكفة الأخرى لرجح إيمانه». ثم قال:

(ألم تعلموا أنّ علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن أبى النبى عبد الله وعن أمه وأبيه أبى طالب فى حياته وقد أوصى

فی وصیته بالحج عنهم بعد مماته)(1). فهذه الروایة تکشف لنا أن إیمان أبی طالب یحظی بمرتبة عالیة.

ومنها: عن الصادق علیه السلام، عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال:

«والذی بعث محمداً صلی الله علیه و آله بالحق نبیاً لو شفع أبی فی کل مذنب علی وجه الأرض لشفعه الله فیهم»(2).

ومنها: عن الأمالی: عن أبی عبد الله عن آبائه عن أمیر المؤمنین علیه السلام، قال: کان ذات یوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إلیه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین، إنک بالمکان الذی أنزلک الله به وأبوک یعذب بالنار؟

فقال له: مه فض الله فاک والذی بعث محمداً بالحق نبیاً، لو شفع أبی فی کل مذنب علی وجه الأرض لشفعه الله (تعالی) فیهم، أبی یعذب بالنار وابنه قسیم النار؟ ثم قال: والذی بعث محمداً بالحق نبیاً، إن نور أبی طالب یوم القیامة لیطفئ أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد صلی الله علیه و آله، ونوری، ونور فاطمة، ونوری الحسن والحسین ومن ولده من الأئمة، لان نوره من نورنا الذی خلقه الله (عز وجل) من قبل خلق ادم بألفی عام(3).

ومنها: عن أبان بن محمد قال کتبت إلی الإمام علی بن موسی علیه السلام: جعلت فداک إنی شککت فی إیمان أبی طالب قال: فکتب

«بسم الله الرحمن الرحیم

1- (1) بحار الأنوار, المجلسی, ج 35 ص 112.

2- (2) خاتمة المستدرک, المیرزا النوری, ج 5 - ص 20.

3- (3) الأمالی, الشیخ الطوسی, ص 305.

ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى أما إنک إن لم تقر بإيمان أبی طالب کان مصيرک إلی النار»(1).

وفی رواية أخری عن ابن علی بن بابويه بإسناد له أن عبد العظيم بن عبد الله العلوی کان مريضاً، فکتب إلی أبی الحسن الرضا عليه السلام: عرفنی يابن رسول الله عن الخبر المروی أن أبا طالب فی ضحضاح من نار يغلی منه دماغه، فکتب إليه الرضا عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنک إن شککت فی إيمان أبی طالب کان مصيرک إلی النار»(2).

ومنها: عن أبان، عن محمد بن يونس، عن أبيه، عن أبی عبد الله عليه السلام أنه قال: يا يونس ما يقول الناس فی أبی طالب؟ قلت: جعلت فداک يقولون هو فی ضحضاح من نار، وفی رجليه نعلان من نار تغلی منهما أم رأسه، فقال:

کذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئک رفيقاً(3).

وهذه الطائفة من الروايات تدل بصراحة علی أن القول بإيمان أبی طالب له دخل فی العقيدة سلباً وإيجاباً, وعليه من أنکر إيمان أبی طالب فقد خرج عن العقيدة الحقّة وکان مصيره النار مع الکافرين, مع أنّ هذه الروايات ليس المراد منها إثبات إيمان أبی طالب فحسب, وإنّما تفيد أيضا وبوضوح مدی عظمة أبی طالب عليه السلام

1- (1) کنز الفوائد, ابو الفتح الکراجکی, ص 80.

2- (2) أنظر: إيمان أبی طالب, الشيخ المفيد, ص 4.

3- (3) أنظر: کنز الفوائد, ابو الفتح الکراجکی, ص 80.

ومكانته عند الله فلا يقل شأنا عن الرسل والأنبياء؛ بدليل أنّ الشک فی إيمانه يلزم منه انحراف بالعقيدة ويستحق علی ذلک النار, وهذا ما لا يتأتی إلا لنبی أو وصی لأنّ له ارتباط بالغيب وينطق عن الله, فإذا شک به أو كذّبه فقد شک وكذّب بالله فيكون مصيره الهلاک, وإلا لو أنّ شخصاً شک فی إيمان زيد من الناس ولو كان مسلماً لا يلزم خروجه من العقيدة ولا يصبح كافراً ومن ثم يكون مصيره النار.

الثانی: أشعاره فی نصرة النبی وتأييده

إنّ أشعاره عليه السلام التی تدل علی مدی إيمانه ومجابهته أعداء الإسلام, هی كثيرة وربما تبلغ أكثر من مجلد, وقد ذكر عن ابن شهر آشوب المازندرانی فی كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالی:(وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِیٌّ عَزِيزٌ)1 : إنّ أشعار أبی طالب الدالة علی إيمانه تزيد علی ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبی صلی الله عليه و آله و يصحح نبوته(1). ونحن هنا نقتصر علی أنموذجٍ منها كی لا نخرج بعيداً عن موضوع الكتاب والفصل, فمن تلک الأشعار ما جاء فی وصيته بالنبی صلی الله عليه و آله:

أوصی بنصر نبی الخير أربعة ابنی علياً وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامی حقيقته وجعفراً أن تذودا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمی وما ولدت فی نصر أحمد دون الناس أتراسا(2)

1- (2) إيمان أبی طالب, الشيخ الأمينی, ص 18.

2- (3) الغدير, الشيخ الأمينی, ج 7 ص 341.

ومنها:

ليعلم خيار الناس أن محمداً نبى كموسى والمسيح بن مريم

أتانا بهدى مثلما أتيا به فكل بأمر الله يهدى ويعصم(1)

ومنها:

ألم تعلموا إنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط فى أول الكتب(2)

الثالث: مواقفه من الرسول ودفاعه عنه

إنّ مواقفه من رسول الله صلى الله عليه و آله وكيفية دفاعه وذبّه عنه لا يقتصر على ما بعد البعثة وإنما كان ذلک والنبى صلى الله عليه و آله فى غرة حياته وبداية صباه, فكان أبو طالب يحفه بالرعاية والحفاظ والتكريم, وهذا يعبر عن الترجمة الإيمانية الراسخة له, إضافة إلى جهاده والدفاع عنه ما بعد البعثة, فقد ورد عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: «مرّ رسول الله صلى الله عليه و آله بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمونها الظهيرة، ويذبحونها على النصب، فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبى طالب فلا يسلم علينا، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى: أنا أفعل. فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبى صلى الله عليه و آله وهو ساجد، فملأ به ثيابه ومظاهره فانصرف النبى صلى الله عليه و آله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يابن أخى؟ فقص عليه القصة، فقال وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح. فنادى [أبو طالب] فى قومه:

1- (1) الإحتجاج, الطبرسى, ج 1 ص 341.

2- (2) شرح نهج البلاغة, ابن أبى الحديد, ج 14 ص 72.

يا آل عبـد المطلب يا آل هاشم يا آل عبـد مناف! فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون, قال: خذوا سـلاحكم, فأخـذوا سـلاحهم، وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئک النفر، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم: ورب هـذه البنية لا يقومن منكم أحد إلا جللته بالسـيف, ثم أتى إلى صـفاة كانت بالأبطح فضـربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفهار، ثم قال: يا محمد سألتنى من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومئ بيـده إلى النبى صـلى الله عليه و آله: أنت النبى محمد قرم أغر مسود... إلى آخر الأبيات, ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بک؟ فأشار النبى صـلى الله عليه و آله إلى عبد الله بن الزبعرى السهمى الشاعر، فدعاه أبو طالب، فوجأ انفه حتى أدماها، ثم أمر بالرفث والدم فأمر على رؤوس الملأ كلهم، ثم قال: يابن أخ أرضيت؟ ثم قال: سألتنى من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم عليه السلام، ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً. يا معشر قريش من شاء منكم يتحرک فليفعل، أنا الذى تعرفونى(1).

وجاء فى المسـتدرک: عن أبى العباس محمد بن يعقوب (إلى قوله) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه و آله قال: ما زالت قريش كاعة (أى جبانة)(2) حتى توفى أبو طالب هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(3).

1- (1) حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه, محمد محمديان, ج 1 ص 271.

2- (2) الكاعة, جمع كاع, وهو الجبان, أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبى صـلى الله عليه و آله فى حياة أبى طالب, فلما مات اجترؤوا عليه. أنظر لسان العرب, ابن منظور, ج 8 ص 312.

3- (3) المستدرک, الحاکم النيسابورى, ج 2 ص 622. وتاريخ الإسلام, الذهبى, ج 1 ص 233. وغيرهم.

وهذا كما يظهر من كلام أبى طالب عليه السلام ليس بدافع عاطفى أو قبلى وإنّما بدافع إيمانى إلهى بما يعرفه من حال النبى صلى الله عليه و آله ومستقبله؛ لذلک عندما عرّفه عرّفه بالنبى الأكرم وأرجع نسبه إلى آدم عليه السلام, وهذه المواقف الجريئة والباسلة ليس المراد منها الدفاع عن النبى صلى الله عليه و آله فقط وإنّما المراد منها أيضا فتح الطريق وتهيئة الأجواء المناسبة كى يتسنى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله أن يواصل طريق التبليغ ونشر الدعوة الإسلامية, فلابد أن يحظى بغطاء أمنى يستطيع من خلاله أن يتحرک فى أرجاء شبه الجزيرة العربية, لاسيما فى تلک الظروف الحرجة وبداية الدعوة الإسلامية, وفعلاً كان أبو طالب القاعدة الكبرى والحصن الأمين لانطلاق الرسالة الإلهية.

ومن تلک المواقف: كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه و آله المبيت إذا عُرف مضجعه, فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له على ليلة: يا أبت إنى مقتول, فقال له:

أصبرن يا بنى فالصبر أحجى كل حى مصيره لشعوب

قد بذلناک والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب

فأجاب على بقوله:

أتأمرنى بالصبر فى نصر أحمد ووالله ما قلت الذى قلت جازعا

ولكننى أحببت أن تر نصرتى وتعلم أنى لم أزل لک طائعا

سأسعى لوجه الله فى نصر أحمد نبى الهدى المحمود طفلا ويافعا

قال الأمينى: إن القرابـة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حـد محدود، لكنه إذا بلغت حد التضـحية بولد كأمير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده فهناک يقف التفانى على موقفه، فلا يستسـهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كل ليلة فينيمه على فراش المفدى، ويسـتعوض منه ابن أخيه، إلا أن يكون منـدفعا إلى ذلک بـدافع دينى وهو معنى اعتناق أبى طالب بالـدين الحنيف، وهو الـذى تعطيه المحاورة الشـعرية بين الوالد والولد فترى الولد يسارح بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد(1).

فان من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التى كان أبرزها محاصرة بنى هاشم جميعاً فى الشعب ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الإيمان العميق بالهدف والشـغف الكبير بالمعنوية، الذى كان يتصف به أبو طالب، إذ لا يستطيع مجرد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد فى الإنسان مثل هذه الروح التضـحوية. لذلک ابن أبى الحديد لما لاحظ تضـحيات ومواقف أبى طالب إزاء النبى والإسلام غلبت على أهوائه ومضى يقول: ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبى طالب، فإنى أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة. واعلم أن حقه واجب على كل مسلم فى الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاک بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما(2)

1- (1) الغدير, الشيخ الأمينى, ج 7 ص 357.
2- (2) شرح نهج البلاغة, ابن أبى الحديد, ج 14 ص 83.

الرابع: وصية أبى طالب عند وفاته بالنبى صلى الله عليه و آله

... وإنى أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين فى قريش وهو الصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن (أى البغض وهو لغة فى الشنآن) وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليک العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلک أحد منكم سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد, (ولو كان لنفسى مدة وفى أجلى تأخير لكفيته الكوافى ولدفعت عنه الدواهى غير أنّى أشهد شهادته وأعظم مقالته). وجاء وفى لفظ آخر (أو رواية أخرى) أنّه لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا(1).

الخامس: قول النبى بحقه

إنّ أبا طالب لما مات جاء على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، فآذنه بموته، فتوجع عظيماً وحزن شديداً، ثم قال له: امض فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمنى، ففعل، فاعترضه رسول الله صلى الله عليه و آله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال: وصلتک رحم يا عم، وجزيت خيراً فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت

1- (1) راجع: السيرة الحلبية, الحلبى, ج 2 ص 49. بحار الأنوار, المجلسى, ج 35 ص 107.

وآزرت كبيراً، ثم تبعه إلى حفرته، فوقف عليه، فقال أما والله لاستغفرن لک ولأشفعن فيک شفاعة يعجب لها الثقلان(1).

هـذه ملخص الأدلة فی إثبات إيمان أبی طالب عليه السـلام والذی هو فی الحقيقة دفع ضـريبة إيمانه ودفاعه عن النبی صـلی الله عليه و آله والإسـلام والإنسانية بأن تشوه سـيرته ويُفترى عليه, ويغفلوا أو يتغافلوا عن كل الشواهد الجلية والبيانات الواضحة, كما هو الحال فی ابنه عليه السـلام الـذی حمل رايـة الحق وتحمل أعباء الجهاد منذ نعومة أظفاره وقد كللته السـماء وحفّه النبی صـلی الله عليه و آله بالوصايا والبيان بالأقوال والأفعال ما لم نجـد لها نظيراً, ومع ذلک عاش مظلوماً ومات مظلوماً وافْتُرِی عليه, وقـد كشف الله تعالی عن هـذه النفوس الخبيثة بقوله:(وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)2 .

أولادها

اشارة

ولدت فاطمة بنت أسد لأبی طالب عليه السلام, طالباً وعقيلاً وجعفراً وعلياً وأم هانی (واسمها فاختة) وجمانة(2) ، وكان علیٌّ أصغر ولد أبی طالب، وكان أصغر من جعفر بعشر سنين. وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أصغر

1- (1) شرح نهج البلاغة, ابن أبی الحديد, ج 14 ص 76

2- (3) الفاختة: ضـرب من الحمام المطوق، إذا مشـی توسع فی مشـيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل. والجمانة: حبة تعمل من الفضة كالدرة، وجمعها جمان. راجع: لسان العرب, ابن منظور, ج 2 ص 65. والصحاح, الجوهری, ج 5 ص 2092.

من طالب بعشر سنين(1). فكان عنـد أبى طالب أربعة بنين وكان طالب أسن من علىٍّ بثلاثين سـنة. وبه كان يكنى أبوه. وأمهم أجمع فاطمة بنت أسد بن هاشم، أما طالب فأكرهته قريش على الخروج إلى بدر حتى فقد فلم يعرف له خبر, كما سيأتى الكلام عنه، وليس لطالب عقب ولكل من إخوته عقب متصل(2).

إسلام طالب ابن أبى طالب

أسـلم طالب من بدايـة أمره لكن كتم إيمانه, كما هو الحال فى العباس عم النبى صـلى الله عليه و آله الـذى أسـلم قبل واقعـة بـدر وقبل أن يهاجر, وأوكل إليه النبى مهمة حماية بعض المستضـعفين من المسـلمين من عادية خصومهم من المشـركين وكان بمنزلة العين لرسول الله صلى الله عليه و آله على قريش يوافيه بأخبـارهم, وقـد كتب إلى رسول الله يطلب إليه الإـذن بـالهجرة فأبى عليه صـلى الله عليه و آله وأمره بالإقامـة بمكـة لحاجـة فى إقامته هناك, ولم يهاجر إلا بعـد فتـح خيبر بعد ما أنجز مهمته فى مكة ولم يبقَ لها موضوع, وأخرجه المشـركون معهم إلى بدر كرهاً وأسـر فيمن أسروا مع المشركين, وعامله النبى صلى الله عليه و آله معاملة المشركين تماماً لتأدية مهمته عندما يعود إلى مكة(3). كما أخرجوا طالباً وبعض بنى هاشم كرهاً.

الأدلة على إيمان طالب بن أبى طالب

وأمّا الأدلة على إسلام طالب بن أبى طالب فقد ظهرت على لسانه من خلال

1- (1) ذخائر العقبى, أحمد بن عبد الله الطبرى, ص 55

2- (2) عمدة الطالب, ابن عنبة, ص 30.

3- (3) راجع كتاب عبدالله بن عباس, السيد محمد تقى الحكيم, ص 33.

أشعاره كما هو مبثوث فى كتب الفريقين وفيها تأييد صريح لحركة النبى صلى الله عليه و آله, بالإضافة إلى الروايات الواردة فى إسلامه, لكن مع ذلک حاول المشركون أن يدفنوا تاريخ طالب معه حينما اغتالوه ودفنوه.

أشعاره ومواقفه تجاه النبى صلى الله عليه و آله

وهذه الأشـعار منها ما يدل على معارضـته لقريش فى حربهم للنبى صـلى الله عليه و آله وتأييده لحركة النبى حتى أودى هذا الميل بحياته, ومنها ما هو صريح فى دلالتها على إسلامه ومدى إيمانه بالنبى صلى الله عليه و آله.

أمّا الأول: هو ما جاء فى تاريـخ الطبرى, وأيضا فى الكافى عن أبى عبـد الله عليه السـلام قال: لما خرجت قريش إلى بـدر وأخرجوا بنى عبد المطلب معهم خرج طالب بن أبى طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبى طالب يرتجز ويقول:

يا رب إما يغزون بطالب فى مقنب من هذه المقانب(1)

فى مقنب المغالب المحارب بجعله المسلوب غير السالب

فقالت قريش: إن هذا ليغلبنا فردوه(2).

وجاء فى بعض السير هكذا:

يارب اما أخرجوا بطالب فى مقنب من هذه المقانب

1- (1) المقنب - بالكسر - جماعة الخيل والفرسان.

2- (2) الكافى, الكلينى, ج 8 ص 375. وتاريخ الطبرى, ج 2 ص 144 وغيرهم.

فاجعلهم المغلوب غير الغالب وارددهم المسلوب غير السالب(1)

قال صاحب الكامل فى ذكر قصته: وكان بين طالب بن أبى طالب وهو فى القوم وبين بعض قريش محاورة, فقالوا: والله لقد عرفنا أنّ هواكم مع محمد فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة. وقيل: انه اخرج كرهاً فلم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذى يقول: يا رب إمّا يغزون طالب... إلى آخر الآبيات التى تقدم ذكرها.

تحصل مما نقلناه أنه لم يكن راضياً بهذه المقاتلة وكان يريد ظفر النبى صلى الله عليه و آله، إما لأنه قد أسلم كما تدل عليه المرسلة أو لمحبة القرابة، فالذى يخطر بالبال فى توجيه ما فى الخبر أن يكون قوله (بجعله) بدل اشتمال لقوله: (بطالب) أى أمّا تجعل الرسول غالبا بمغلوبية طالب حال كونه فى مقانب عسكر مخالفيه الذين يطلبون الغلبة عليه بأن تجعل طالباً مسلوب الثياب والسلاح غير سالب لأحد من عسكر النبى صلى الله عليه و آله وبجعله مغلوباً منهم غير غالب عليهم.

وأيضاً فى كتب العامة كان المشركون أخرجوه وسائر بنى هاشم إلى بدر كرهاً فخرج طالب وهو يقول: اللهم أما يغزون... إلى آخر الأبيات, قال فلما انهزموا، لم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا رجع إلى مكة ولا يدرى ما حاله وليس له عقب(2).

أمّا الثانى: إن له ثمة أبيات صريحة فى دلالتها على إسلامه ومدى إيمانه

1- (1) الوافى بالوفيات, الصفدى, ج 16 ص 222.

2- (2) طبقات ابن سعد ج 1 ص 121, والطبرى ج 2 ص 144, والكامل ج 2 ص 121.

بالنبی صلی الله علیه و آله حیث یقول فی رسول الله صلی الله علیه و آله:

وقد حل مجد بنی هاشم فکان النعامة والزهرة

ومحض بنی هاشم أحمد رسول المملیک علی فترة

عظیم المکارم نور البلاد حری الفؤاد صدی الزبرة

کریم المشاهد سمح البنان إذا ضن ذو الجود والقدرة

عفیف تقی نقی الردا طهر السراویل والازرة

جواد رفیع علی المعتقین وزین الأقارب والأسرة

واشوس کالیث لم ینهه لدی الحرب زجرة ذی الزجرة

وکم من صریع له قد ثوی طویل التأوه والزفرة(1)

الروایات الدالة علی إسلام طالب

هناک جملة من الروایات الصریحة فی دلالتها علی إسلام طالب بن أبی طالب, وما له من مکانة عظیمة عند الله, فقد جاء فی حدیث جابر الأنصاری یقول: قلت لرسول الله صلی الله علیه و آله أکثر الناس یقولون: إنّ أبا طالب مات کافراً, قال:

یا جابر ربک اعلم بالغیب انّه کما کانت اللیلة التی اسری بی فیها إلی السماء انتهیت إلی العرش فرأیت أربعة أنوار فقلت الهی ما هذه الأنوار, فقال: یا محمد هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوک عبد الله وهذا أخوک طالب, فقلت: الهی وسیدی فیم نالوا هذه الدرجة؟ قال بکتمانهم الإیمان

1- (1) شرح الأخبار, القاضی النعمان المغربی, ج 3 ص 235.

والصبر على ذلک حتی ماتوا(1). ففی هذا الحدیث دلالة واضحة وجلیة علی إسلام طالب بن أبی طالب, بل علی بعد إیمانه وعظم مکانته عند الله عزّ وجلّ, کما هو واضح فی صدر الحدیث وذیله المعلل, حیث نالوا هذه المرتبة وتبوؤوا هذه المکانة العالیة التی یصعب لکل أحد الارتقاء إلیها إلا أنّهم ثابروا بشدة إیمانهم وصبرهم وتحملهم.

وفی روایة أخری عن أبی عبد الله علیه السلام أنه کان أسلم(2). کما عن مستدرک سفینة البحار: إنّ طالب بن أبی طالب: أسلم، وکان مع المؤمنین یوم بدر خرج معهم یرتجز(3). ربما المراد هنا أنّه کان بقلبه وسیفه مع المسلمین ولو أنّه أُخرج کرهاً مع المشرکین.

ویؤکد ذلک أنّ رسول الله صلی الله علیه و آله قال یوم بدر إنی لأعرف رجالاً من بنی هاشم وغیرهم قد اخرجوا کرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقی منکم أحداً فلا یقتله ومن لقی العباس بن عبد المطلب فلا یقتله إنّما خرج مستکرهاً(4).

استشهاد طالب بن أبی طالب

قد اختلف فی موت طالب فقیل إنّه لما خرج إلی بدر فُقِد ولم یعرف خبره, وقیل: رجع إلی مکة, وقیل: أقحم فرسه فغرق(5). وهذا القول غایة فی البعد

1- (1) روضة الواعظین, الفتال النیسابوری, ص 81.

2- (2) الکافی, الکلینی, ج 8 ص 375. وراجع البحار ج 9 ص 296.

3- (3) مستدرک سفینة البحار, الشیخ علی النمازی الشاهرودی ج 6 - ص 567.

4- (4) الکافی, الکلینی, ج 8 ص 202.

5- (5) أعیان الشیعة, محسن الأمین, ج 8 ص 125.

ولم يرتضيه المجنون فرضاً عن العاقل, حيث لم يكن هناك بحرٌ فى ميدان معركة بدر, إضافة إلى انه لم يعقل إقحام الفرس البحر وإجبار فارسها على الغرق والانتحار, فهذا ضرب من الوهم والخيال لأجل تحريف مسيرة التاريخ حتى بالأمور التى لا تعقل, وهذا يعبر عن مدى دنائة أعداء الإسلام وإهمال محاكمة العقول, فظنوا أنّ كل ما يكتب ويدون فى التاريخ تتلقاه العقول بسعة وترحيب ويؤخذ مسلّماً؛ لان الناس فى نظرهم كالمجانين أو البلداء السُذّج, كما فى المثل (حدث العاقل بما لا يعقل فان صدق فلا عقل له), والصحيح أنّ قريشاً اغتالته حين ما عرفت منه الإسلام وعرفت مصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم, ويدل على ذلک أنّه بعد معركة بدر لم يكن مع الأسرى ولا مع القتلى ولا مع الذين رجعوا إلى مكة, فليس من البعيد أن يكون قد اغتيل ودفن, ومن ثم طرحت الأكاذيب والأوهام, ولهم فى مثل هذه الأعمال نظائر لا يسمح المقام بذكرها.

نبذة عن عقيل بن أبى طالب

أما عقيل فكان احد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضى عنهم الرسول صلى الله عليه و آله, فإن النظرة فى التاريخ واستظهار الروايات كلها تفيدنا اعتناق عقيل الإسلام أوّل الدعوة, وهذا الذى جعله سبباً للحب النبوى, حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من رسوخ الإيمان فى جوانحه وعمل الخير فى جوارحه ولزوم الطاعة فى أعماله, لذلک قال فيه النبى صلى الله عليه و آله كما عن ابن عباس قال: «قال على عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه و آله: يا رسول الله، إنک لتحب عقيلاً؟ قال:

إى والله إنى لأحبه حبين: حبا له، وحبا لحب أبى طالب له، وإن ولده لمقتول فى محبة ولدک، فتدمع عليه عيون

المؤمنين، وتصلى عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه و آله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتى من بعدى»(1). فهذه الصفات الايجابية التى اجتمعت فى عقيل هى التى دعت النبى صلى الله عليه و آله أن يكشف عن هذا الحب, وليس من المعقول (لاسيما فى النبى الذى هو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) أن يكون حبه لغاية عاطفية أو لشىء من عرض الدنيا, فكيف صح أن النبى يحب الكافر أو الخارج عن صراط الحق, وهكذا فى حب أبى طالب لعقيل لم يكن لمحض البنوة, فانه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا هو ولده الوحيد, وقد كان ولده مثل أمير المؤمنين وجعفر أبو المساكين وهو أكبرهم سناً, فيظهر أنّ سبب حبه لعقيل جمعه من الفضائل والفواضل الإيمانية.

عقيل ينتصر على معاوية

اختلفت الروايات فى سفر عقيل إلى الشام هل كان على عهد أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو بعد استشهاده عليه السلام, وقد استظهر ابن أبى الحديد فى أنّ سفره بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام, وجزم به العلامة السيد على خان فى (الدرجات الرفيعة)(2), وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت عليهم السلام إلى معاوية فى تلك الظروف القاسية, بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة, وساقهم وجه الحيلة فلا يلامون ولا يحط من كرامتهم عند الملأ الدينى,

---

1- (1) الأمالى, الشيخ الصدوق, ص 191.

2- (2) الدرجات الرفيعة, السيد على خان المدنى, ص 160.

فإن للتقية إحكاماً لا يلام فيها المضطر.

أمّا لو غضضنا النظر عن ذلک وقلنا إنّ وفوده کان فی حیاة أخیه أمیر المؤمنین علیه السلام فهو أیضاً لا یحط من شأنه, بل یکون سبباً لرفعة منزلته, حیث إنّ ذهابه (کما هو الظاهر من حواراته مع معاویة) بمنزلة الصفقة السیاسیة الإعلامیة التی یحتاجها الإسلام آنذاک, فقد قاتل معاویة من ناحیة أخری غیر المیدان والسیف, بل فی الإعلام والسیاسة وهی ما تسمی الیوم بالاصطلاح الحرب الباردة والتی لا تقل أهمیة عن غیرها, وفی کل جولة یبدؤها معاویة مع عقیل لکی یکسب الرأی العام الذی تعمد جمعهم لاسیما الشخصیات والرموز کان یخسر فیها معاویة النزال ویخیب أمله ولا یصل غایته حتی انه أجبر عقیلاً إلی الرجوع, وجدیر بنا أن نذکر شیئاً من تلک الجولات علی سبیل الاختصار:

بعدما جمع معاویة وجوه الناس ممن معه وجلس وذکر لهم قدوم عقیل، وقال: ما ظنکم برجل لم یصلح لأخیه حتی فارقه وآثرنا علیه، ودعا به, فلما دخل رحب به وقربه، وأقبل علیه، ومازحه، وقال: یا أبا یزید من خیر لک أنا أو علی؟ فقال له عقیل: أنت خیر لنا من علی، وعلی خیر لنفسه منک لنفسک. فضحک معاویة (وأراد أن یستر بضحکه ما قاله عقیل عمن حضر) وسکت عنه. فجعل عقیل ینظر إلی من فی مجلس معاویة ویضحک, فقال له معاویة: ما یضحکک یا أبا یزید؟ فقال: ضحکت والله إنی کنت عند علی، والتفت إلی جلسائه فلم أرَ غیر المهاجرین، والأنصار، والبدریین، وأهل بیعة الرضوان، وأخایر أصحاب النبی صلی الله علیه و آله، وتصفحت من فی مجلسک هذا فلم أر إلا الطلقاء وبقایا الأحزاب

أصحابک فقال له معاوية: فلماذا جئتنا؟ قال: لطلب الدنيا. فأراد أن يقطع قوله، فالتفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام أسمعتم قول الله عز وجل: (تبت يدا أبى لهب وتب). قالوا: نعم, قال: فأبو لهب عم هذا الشيخ المتكلم (يعنى عقيل) وضحک وضحکوا. فقال لهم عقيل: فهل سمعتم قول الله عز وجل: (وامرأته حمالة الحطب). هى عمة أميرکم معاوية، هى ابنة حرب بن أمية زوجة عمى أبى لهب وهما جميعاً فى النار، فانظروا أيهما أفضل الراکب أم المرکوب؟ فلما نظر معاوية إلى جوابه قال: إن کنت إنما جئتنا يا أبا يزيد للدنيا فقد أنلناک منها ما قسم لک ونحن نزيدک، والحق بأخيک، فحسبنا ما لقينا منک. فقال عقيل: والله لقد ترکت معه الدين، وأقبلت إلى دنياک، فما أصبت من دينه، ولا نلت من دنياک عوضاً منه، وما کثير إعطائک إياى، وقليله عندى إلا سواء، وإن کل ذلک عندى لقليل فى جنب ما ترکت من على. وانصرف إلى على عليه السلام(1).

نبذة عن جعفر بن أبى طالب

أمّا جعفر بن أبى طالب فحسبه من العظمة أنّه من أوائل المسلمين وأسلم بعد على مباشرة, وکان الجناح الآخر للنبى صلى الله عليه و آله کما جاء فى کتب السير والتاريخ أنّ أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه و آله وعلياً يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله تعالى عنه صل جناح ابن عمک, فصلى عن يساره وکان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه على بقليل(2). هذا بالإضافة إلى شهادة الرسول الأکرم له بأنه يشبهه خَلْقاً

1- (1) راجع: شرح الأخبار, القاضى النعمان المغربى, ج 2 ص 100.

2- (2) السيرة الحلبية, الحلبى, ج 1 ص 433.

وخُلُقاً حيث قال له (أشبهت خَلقى وخُلقى)(1) وقد وصف الله تعالى النبى صلى الله عليه و آله فى كتابه المجيد بالخلق العظيم, لا شک فى شـمول جعفر بهـذا النحو من الخلق. وله فضائل عديـدة فى الإسـلام من جملتها الهجرة للحبشة على رأس مجموعة من المسـلمين فى أوائل البعثة, والجهاد فى سبيل الله حتى نال وسام الطيار, حيث جعل الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة يوم القيامة بعد ما قطعت يداه فى المعركة. كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث طويل إلى أن يقول:

(... ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبى طالب له جناحان خضيبان يطير بهما فى الجنة)(2).

أبو طالب يبشر زوجته بالوصى

تقـدم أنّ إيمـان أبى طـالب وراثى وفطرى, وأنه على علم ومعرفه فى الكتب المنزلـة والأنبياء المرسـلة وعلى إطلاع أيضاً فى الرسالـة والنبوة الخاتمة وما تشمله من أوصياء ووزراء, كما يتضح من بعض الروايات الواردة فى هذا الشأن, منها: ما ورد عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبـد الله عليه السـلام يقول: لما ولـد رسول الله صـلى عليه وآله فتـح لآمنـة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمـة بنت أسد أُم أمير المؤمنين إلى أبى طـالب ضاحكـة مستبشـرة، فـأعلمته مـا قالت آمنـة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هـذا إنک تحبلين وتلـدين بوصـيه ووزيره(3).

1- (1) أنظر: مسند أحمد بن حنبل, ج 1 ص 108. وصحيح البخارى, ج 3 ص 168.

2- (2) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 450.

3- (3) المصدر نفسه, ص 453.

وعن محمد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبى طالب لتبشره بمولد النبى صلى الله عليه و آله فقال أبو طالب: اصبرى سبتاً أبشرک بمثله إلا النبوة، وقال: السبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة(1).

فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصى

ليس من السهل أن تحظى كل امرأة فى أن تكون وعاءً لسيد الأوصياء, إلا أن تكون ذات خصائص تؤهلها لذلک وفاطمة بنت أسد هى تلک المرأة التى خصها الله واصطفاها وأكرمها بمزايا فائقة ومن جملة تلک المزايا التى حازت عليها وأصبحت وعاءً وحجراً لسيد الأوصياء. فقد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله عن ميلاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فقال: آه آه لقد سألتنى عن خير مولود ولد بعدى على سنة المسيح عليه السلام إن الله تبارک وتعالى خلقنى وعلياً من نور واحد، قبل أن يخلق الخلق بخمسمائة ألف عام فكنا نسبح الله ونقدسه، فلما خلق الله تعالى آدم قذف بنا فى صلبه واستقررت أنا فى جنبه الأيمن، وعلى فى الأيسر ثم نقلنا من صلبه فى الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلک حتى أطلعنى الله تعالى من ظهر طاهر وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعنى خير رحم وهى آمنة، ثم أطلع الله تبارک وتعالى علياً من ظهر طاهر وهو أبو طالب واستودعه خير رحم، وهى فاطمة بنت أسد, ثم قال: يا جابر ومن قبل أن يقع على فى بطن أمه كان فى زمانه رجل عابد راهب يقال له المثرم بن رعيب بن

1- (1) معانى الأخبار, الشيخ الصدوق, ص 403. والكافى, الكلينى, ج 1 ص 453.

الشيقنام وكان مذكورا فى العبادة قد عبد الله مائة وتسعين سنة، ولم يسأل حاجة فسأل ربه أن يريه ولياً له، فبعث الله تبارک وتعالى بأبى طالب إليه فلما أن بصر به المثرم، قام إليه فقبل رأسه وأجلسه بين يديه، فقال: من أنت يرحمک الله؟ قال: رجل من تهامة، فقال من أى تهامة؟ قال من مكة، قال ممن؟ قال: من عبد مناف قال من أى عبد مناف؟ قال من بنى هاشم فوثب إليه الراهب فقبل رأسه ثانياً، وقال الحمد لله الذى أعطانى مسألتى، فلم يمتنى حتى أرانى وليه، ثم قال له: أبشر يا هذا فإن العلى الأعلى قد ألهمنى إلهاماً فيه بشارتک، قال أبو طالب وما هو؟ قال: ولد يخرج من صلبک هو ولى الله تبارک وتعالى وهو إمام المتقين ووصى رسول الله، فان أدركت ذلک الولد فأقرأه منى السلام وقل له: إنّ المثرم يقرؤک السلام، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، وأن محمداً عبده ورسوله وانک وصيه حقاً، بمحمد تتم النبوة وبک تتم الوصية، قال: فبكى أبو طالب، وقال له: ما اسم هذا المولود؟ قال اسمه على، فقال أبو طالب إنى لا أعلم حقيقة ما تقول إلا ببرهان بين ودلالة واضحة قال المثرم: فما تريد أن اسأل الله لک أن يعطيک فى مكانک ما يكون دلالة لک قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة فى وقتى هذا فدعا الراهب بذلک فما استتم دعاؤه حتى اتى بطبق عليه من فواكه الجنة رطبة وعنبة ورمان، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحاً من ساعته، حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماءً فى صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد، فحملت بعلى وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلک شدة وفزعوا... الخ(1).

1- (1) روضة الواعظين, الفتال النيسابورى, ص 77.

وفی حـدیث آخر عن أنس بن مالـک عن معـاذ بن جبـل، أن رسول الله صـلی الله علیه و آله قـال: إن الله عز وجـل خلقنی وعلیـاً وفاطمة والحسن والحسـین قبـل أن یخلق الـدنیا بسـبعة آلاـف عام قلت: وأین کنتم یا رسول الله؟ قال: قـدام العرش، نسـبح الله عز وجل ونقدسـه ونمجده, قال: قلت: علی أی مثال؟ قال: أشـباح نور حتی [إذا] أراد الله تعالی أن یخلق صورنا، صیرنا عمود نور. ثم قذفنا فی صلب آدم، ثم أخرجنا إلی أصـلاب الآباء وأرحام الأُمَّهات لا یصیبنا نجس الشرک ولا سفاح الکفر، یسعد بنا قوم ویشقی بنا آخرون. فلما صیرنا إلی صلب عبد المطلب، أخرج ذلک النور فشـقه نصفین، فجعل نصفه فی صلب عبد الله ونصفه فی صلب أبی طالب. ثم أخرج النصف الذی لی إلی آمنة، والنصف الآخر إلی فاطمة بنت أسد فأخرجتنی آمنة، وأخرجت فاطمة علیاً. ثم أعاد الله عز وجل العمود إلی فخرجت منی فاطمة. ثم أعاد عز وجل العمود إلی [علی] فخرج الحسن والحسین، فما کان من نور علی صار فی الحسن، وما کان من نوری صار فی ولدی الحسین، فهو ینتقل فی الأئمة من ولده إلی یوم القیامة(1).

وفی خبر طویـل: إن فاطمـة بنت أسـد رأت النبی صـلی الله علیه و آله یأکل تمراً له رائحـة تزداد علی کل الأطایب من المسک والعنبر من نخلـة لاـ شـماریخ لهـا فقالت: ناولنی أنل منها، قال علیه السـلام: لا تصـلح إلا أن تشـهدی معی أن لا إله إلا الله وانی محمـداً رسول الله فشـهدت الشهادتین فناولها فأکلت فازدادت رغبتها وطلبت أخری لأبی طالب فعاهدها أن لا تعطیه إلا بعد الشهادتین فلما جن علیها اللیل اشتم أبو طالب

1- (1) نوادر المعجزات, محمد بن جریر الطبری (الشیعی) - ص 80.

نسماً ما اشتم مثله قط فأظهرت ما معها فالتمسه منها فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين فلم يملک نفسه أن شهد الشهادتين غير أنه سألها أن تکتم عليه لئلا تعيره قريش فعاهدته على ذلک فأعطته ما معها وآوى إلى زوجته فعلقت بعلى فى تلک الليلة ولما حملت بعلى ازداد حسنها فکان يتکلم فى بطنها فکانت فى الکعبة فتکلم على مع جعفر فغشى عليه فألقيت الأصنام خرت على وجوهها فمسحت على بطنها وقالت: يا قرة العين سجدتک الأصنام داخلاً فکيف شأنک خارجاً، وذکرت لأبى طالب ذلک(1).

الکعبة تستقبل فاطمة بنت أسد

صحيح أنّ المولود (على بن أبى طالب) له مکانة عظيمة عند الله, وشاءت حکمته تعالى أن يدخل هذا المولود الطاهر الدنيا من بيته تعالى ويکون معجزة خالدة, کما أنه خرج من الدنيا من بيت الله أى مسجد الکوفة, لکن فى نفس الوقت يدل على عظمة السيدة فاطمة بنت أسد عليهاالسلام. بما أنها وعاء لخير البشرية بعد النبى صلى الله عليه و آله وبما حظيت من صفات فريدة من نوعها, فقد ورد عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: کنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وکانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: ربِّ إنى مؤمنة بک وبما جاء من عندک من رسل وکتب، وإنى مصدقة بکلام جدى إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت، وبحق المولود الذى فى بطنى

1- (1) مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 2 - ص 20

لما يسرت على ولادتى. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلک أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إنى فضلت على من تقدمنى من النساء، لأنَّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً فى موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإنى دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بى هاتف: يا فاطمة، سميه علياً، فهو على، والله العلى الأعلى يقول: إنى شققت اسمه من اسمى، وأدبته بأدبى، ووقفته على غامض علمى، وهو الذى يكسر الأصنام فى بيتى، وهو الذى يؤذن فوق ظهر بيتى، ويقدسنى ويمجدنى، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه(1).

وعن الأمينى فى غديره قال: وقد انشق جدار البيت لأمه فاطمة بنت أسد فدخلته ثم التأمت الفتحة، فلم تزل فى البيت العتيق حتى ولدت مشرف البيت بذلک الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن دره الدرى إلا وأضاء الكون بنور محياه الأبلج، وفاح فى الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقة ناصعة أصفق على إثباتها الفريقان، وتضافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نص

1- (1) الأمالى, الشيخ الصدوق, ص 194. وقد ورد فى أكثر من (77) كتاباً ولادتها فى الكعبة المكرمة, كما عدهم على محمد دخيل, فى كتابه فاطمة بنت أسد, ص 19.

جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثارة(1).

وقال الحاكم فى المستدرک وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى جوف الكعبة(2).

وروى عن عمارة بنت عبادة بن نضلة بن مالک بن العجلان الساعدى, أنها كانت ذات يوم فى نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت له: ما شأنک يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد فى شدة المخاض. ثم وضع يديه على وجهه فبينا هو كذلک، إذ أقبل محمد صلى الله عليه و آله فقال له ما شأنک يا عم؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكى المخاض، فأخذ بيده وجاء وهى معه فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها فى الكعبة، ثم قال: أجلسى على اسم الله. قالت: فطلقت طلقة فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أرَ كحسن وجهه، فسماه أبو طالب (علياً) وحمله النبى صلى الله عليه و آله حتى أداه إلى منزلها(3).

وقد نظمت هذه الحادثة والمكرمة العظيمة بقوالب شعرية جميلة لا بأس بذكرها:

أما سمعت خبر ابن قعنب ينطق من مقصودنا بالعجب

وانه محقق مشهور يثبته المدقق النحرير

قال جلست مع أناس شتى فى المسجد الحرام يوما حتى

مرت بنا فاطمة بنت أسد حاملة بالمرتضى ذاک الأسد

1- (1) الغدير, الشيخ الأمينى, ج 6 ص 21.
2- (2) المستدرک, للحاكم النيسابورى, ج 3 ص 483.
3- (3) الطرائف فى معرفة مذاهب الطوائف, السيد ابن طاووس, ص 17.

فجاءها الطلق فطافت سبعا ثم دعت أكرم رب يدعا

قالت إلهى إننى آمنت بک حقا وصدقت جميع كتبک

وما على الخليل جدى أنزلا وما به كل رسول أرسلا

ثم دعت خالقها بما سنح فسهل الله العسير وانفتح

باب لها تجاه باب الكعبة وذاک مستجار أهل الرهبة

ودخلت فيه فعاد مثل ما كان وما زال مشيدا محكما

هذا وقفل الباب لم يفتح لنا من بعد جهد وعلاج واعتنا

فقلت إن ذاک أمر الله فلم أكن عن ذكره باللاهى

فمكثت ثلاثة أياما وخرجت فأعلنت كلاما

إنى فضلت على النساء دخلت بيت رافع السماء

ثم أكلت من ثمار الجنة ورزقها فهو على جنه

فعندما وضعته ورمت أن أخرج نادى هاتف بى بالعلن

سمى الذى وضعته عليا فلن يزال قدره عليا(1)

فاطمة وبعلها يسألان الله فى تسمية على عليه السلام

لما ولدت فاطمة بنت أسد علياً عليه السلام قال لها أبو طالب هلّمِ حتى نعلو أبا قبيس ليلاً وندعو خالق الخضراء فلعله أن ينبئنا فى اسمه, (وربما تأكيد بما أنبئت به فاطمة بنت أسد) فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس، ودعيا الله تعالى, فأنشأ يقول أبو طالب:

1- (1) أمل الأمل, الحر العاملى, ج 1 ص 40.

يا رب هذا الغسق الدجى والفلق المبتلج المضى

بين لنا عن أمرک المقضى بما نسمى ذلک الصبى

فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل الزبرجد الأخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتا يديه وضمه إلى صدره ضماً شديداً فإذا مكتوب (فيه).

خصصتما بالولد الزكى والطاهر المنتجب الرضى

واسمه من قاهر على على اشتق من العلى

فسُرّ أبو طالب سروراً عظيماً، وخر ساجداً لله تبارک وتعالى وعق بعشرة من الإبل، وكان اللوح معلقاً فى بيت الله الحرام يفتخر به بنو هاشم على قريش حتى غاب زمان قتال الحجاج بن الزبير(1).

وقد نقل الأبيات الكنجى الشافعى محمد بن يوسف بن محمد فى كتابه كفاية الطالب، وفيها اختلاف فى بعض الكلمات وهذا نص ألفاظه:

يا رب هذا الغسق الدجى والقمر المنبلج المضى

بين لنا من أمرک الخفى ماذا ترى فى اسم ذا الصبى

قال فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبى خصصتم بالولد الزكى

إن اسمه من شامخ على على اشتق من العلى(2)

1- (1) ينابيع المودة, القندوزى, ج 2 ص 306.

2- (2) نقلا عن كتاب إيمان أبى طالب, الشيخ الأمينى, ص 25.

وفاتها ومحل دفنها

توفيت فاطمة بنت أسد فى السنة الرابعة للهجرة(1), وقالوا أنّها توفيت بعد زواج ابنها على عليه السلام بفاطمة الزهراء عليهاالسلام, وفى كل الأحوال يظهر من التأريخ أنّها توفيت بعد ميلاد الحسن عليه السلام, ومع ذلک لم نسمع بذكرها فى زفاف وزواج ابنها أمير المؤمنين عليه السلام بفاطمة ولا حتى فى ميلاد حفيدها الإمام الحسن عليه السلام, نعم نجد بدلاً عنها أسماء بنت عميس, وهى فى الحقيقة غير ثابتة, بل هى إمّا أختها سلمى بنت عميس, أو أسماء بنت يزيد بن سكن الأنصارية؛ لأنّ أسماء كانت حينذاک فى الحبشة مع زوجها جعفر. وقد دفنت فاطمة بنت أسد عليهاالسلام فى المدينة المنورة بالبقيع مع الأئمة الأربعة وهم الإمام الحسن بن على بن أبى طالب, والإمام على بن الحسين زين العابدين, والإمام محمد الباقر, والإمام جعفر الصادق عليهم السلام. وقد ذكر الفقهاء أنّه يستحب زيارة قبرها,(2) حيث ذكر المحدثون أن لها زيارة خاصة كما سنذكرها فيما بعد. والبقيع: مقبرة فى الجهة الشرقية للمسجد النبوى الشريف فى المدينة المنورة، وتقع فيه مراقد بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام فى جهة الجنوب مع ميل للشرق وهم (الحسن بن على, وعلى زين العابدين, ومحمد الباقر, وجعفر الصادق، عليهم السلام) ومع قبورهم قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه و آله(3). وقيل دفنت فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء مقابل حمام أبى قطيعة(4).

1- (1) راجع: مستدرک سفينة البحار, الشيخ على النمازى, ج 8 ص 256.

2- (2) راجع: مناسک الحج, السيد الكلبايكانى, ص 225.

3- (3) معجم ألفاظ, الفقه الجعفرى, ص 88.

4- (4) علل الشرائع, الشيخ الصدوق, ج 2 ص 469.

النبی یصلی علی فاطمة بنت أسد

وهذه المزیة الأخری قد نالتها فاطمة بنت أسد وکان لها وسام شرف خلد فی صفحات التاریخ وهی أن یهتم النبی الأکرم بتجهیزها والصلاة علیها, فقد ورد عن ابن عباس أن النبی صلی الله علیه و آله صلی علی فاطمة بنت أسد أم أمیر المؤمنین علیه السلام صلاة لم یصل علی أحد قبلها مثل تلک الصلاة، ثم کَبَّرَ علیها أربعین تکبیرة، فقال له عمار: لِمَ کبرت علیها أربعین تکبیرة یا رسول الله؟ قال: نعم یا عمار، التفت إلی یمینی فنظرت إلی أربعین صفاً من الملائکة فکبرت لکل صف تکبیرة(1).

النبی یدفن فاطمة بنت أسد

من الدلالات الساطعة علی مکانة فاطمة بنت أسد عند الله وعند رسوله هی ما رواه المؤرخون وأصحاب السیر عند الفریقین وبطرق کثیرة وألسن مختلفة, أن النبی صلی الله علیه و آله قام بتجهیزها وأجری علیها بعض الأمور ما لم یکن قد صنعها بأحد, کما ورد عن أبی عبدالله علیه السلام قال لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمیر المؤمنین جاء علی علیه السلام عند النبی فقال له رسول الله صلی الله علیه و آله یا أبا الحسن مالک, قال: أمّی ماتت, قال فقال النبی صلی الله علیه و آله وأمّی والله, ثم بکی وقال وا أمّاه ثم قال لعلی علیه السلام هذا قمیصی فکفنها فیه وهذا ردائی فکفنها فیه فإذا فرغتم فأذنونی فلما أخرجت صلی علیها النبی صلی الله علیه و آله صلاة لم یصل قبلها ولا بعدها علی أحد مثلها, ثم نزل علی قبرها

1- (1) وسائل الشیعة (آل البیت), الحر العاملی, ج 3 ص 82.

فاضـطجع فيه, ثم قال لها يا فاطمة قالت لبيک يا رسول الله فقال فهل وجدت ما وعد ربک حقا قالت نعم فجزاک الله جزاء وطالت مناجاته فی القبر فلما خرج قيل يا رسول الله لقد صـنعت بها شـيئاً فی تکفينک ثيابک ودخولک فی قبرها وطول مناجاتک وطول صـلواتک ما رأيتک صنعته بأحـد قبلهـا قـال أما تکفينی إياها فإنّی لما قلت لها يعرض الناس يوم يحشـرون من قبورهم فصاحت فقالت وآسوأتاه فلبسـتها ثيابی وسألت الله فی صـلواتی عليها ان لا يبلی أکفانها حتی تدخل الجنة فأجابنی إلی ذلک واما دخولی فی قبرها فإنی قلت لها يوماً ان الميت إذا دخل قبره وانصـرف الناس عنه دخل عليه ملکان منکر ونکير فيسألانه فقالت وآغوثاه بالله فما زلت اسأل ربی فی قبرها حتی فتـح لها روضـة من قبرها إلی الجنة وروضة من رياض الجنة(1).

وعن الکافی يقول: فبينما هو ذات يوم قاعد (أی رسول الله) إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السـلام وهو يبکی فقال له رسول الله صـلی الله عليه و آله: ما يبکيک؟

فقال: ماتت أمی فاطمة، فقال رسول الله: وأمی والله وقام مسـرعاً حتی دخل فنظر إليها وبکی، ثم أمر النساء أن يغسلنها وقال صلی الله عليه و آله: إذا فرغتن فلا تحـدثن شـيئاً حتی تعلمننی، فلما فرغن أعلمنه بـذلک، فأعطاهن أحـد قميصـيه الذی يلی جسده وأمرهن أن يکفنها فيه وقال للمسـلمين: إذا رأيتمونی قد فعلت شـيئاً لم أفعله قبل ذلک فسـلونی لم فعلته، فلما فرغن من غسـلها وکفنها دخل صلی الله عليه و آله فحمل جنازتها علی عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتی أوردها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر

1- (1) بصائر الدرجات, محمد بن الحسن الصفار, ص 307.

فاضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها فى القبر ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنک، ابنک [ابنک] ثم خرج وسوى عليها، ثم انكب على قبرها فسمعوه يقول: لا إله إلا الله، اللهم إنى أستودعها إياک ثم انصرف، فقال له المسلمون: إنا رأيناک فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم فقال: اليوم فقدت بر أبى طالب، إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرنى به على نفسها وولدها وإنى ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة، فقالت: وآسوأتاه، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذكرت ضغطة القبر فقالت وآضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلک، فكفنتها بقميصى واضطجعت فى قبرها لذلک، وانكببت عليها فلقنتها ما تسأل عنه، فإنها سئلت عن ربها فقالت وسئلت عن رسولها فأجابت وسئلت عن وليها وإمامها فارتج عليها، فقلت: ابنک، ابنک(1).

وعن مستدرک الوسائل: أنه لما أهيل عليها التراب، وأراد الناس الانصراف، جعل رسول الله صلى الله عليه و آله.

يقول لها: «ابنک ابنک لا جعفر ولا عقيل، ابنک ابنک على بن أبى طالب عليه السلام»،... إلى أن قال صلى الله عليه و آله: وأمّا قولى لها ابنک ابنک لا جعفر ولا عقيل، فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت: الله ربى، وقالا: من نبيک؟ قالت: محمد نبيى فقالا: من وليک وإمامک؟ فاستحيت أن تقول ولدى، فقلت لها: قولى: ابنک على بن أبى طالب عليه السلام: فأقر الله بذلک عينها(2).

1- (1) الكافى, الكلينى, ج 1 ص 453.

2- (2) مستدرک الوسائل, الميرزا النورى, ج 2 - ص 342.

زيارة خاصة لفاطمة بنت أسد

بلا شک أن صاحب المکانة السامیة والمنزلة الرفیعة عند الله هو الذی یحظی بالتکریم والترحیب ویبقی ذکره خالداً فی الدنیا والآخرة, فهذه الزیارة شاهد آخر یدل علی عظمة أُم أمیر المؤمنین ومربیة خاتم النبیین. فعندما تقف علی قبرها تقول:

السلام علی نبی الله، السلام علی رسول الله، السلام علی محمد سید المرسلین، السلام علی سید الأولین، السلام علی سید الآخرین، السلام علی من بعثه الله رحمة للعالمین، السلام علیک أیها النبی ورحمة الله وبرکاته. السلام علی فاطمة بنت أسد الهاشمیة، السلام علیک أیتها الصدیقة المرضیة، السلام علیک أیتها التقیة النقیة، السلام علیک أیتها الکریمة الرضیة، السلام علیک یا کافلة محمد خاتم النبیین. السلام علیک یا من ظهرت شفقتها علی رسول الله خاتم النبیین، السلام علیک یا من تربیتها لولی الله الأمین، السلام علیک وعلی روحک وبدنک الطاهر، السلام علیک وعلی ولدک ورحمة الله وبرکاته. اشهد انک أحسنت الکفالة وأدیت الأمانة، واجتهدت فی مرضاة الله، وبالغت فی حفظ رسول الله، عارفة بنبوته، مستبصرة بنعمته، کافلة بتربیته، مشفقة علی نفسه، واقفة علی خدمته، مختارة رضاه، مؤثرة رضاه. واشهد انک مضیت علی الإیمان والتمسک بأشرف الأدیان، راضیة مرضیة، طاهرة زکیة، تقیة نقیة، فرضی الله عنک وأرضاک، وجعل الجنة منزلک ومأواک. اللهم صل علی محمد وآل محمد وانفعنی بزیارتها، وثبتنی علی محبتها، ولا تحرمنی شفاعتها وشفاعة الأئمة من ذریتها، وارزقنی مرافقتها،

واحشـرنی معهـا ومع أولادهـا الطـاهرین. اللهم لاـ تجعله آخر العهـد من زیـارتی إیاهـا، وارزقنی العود إلیها أبـداً ما أبقیتنی، وإذا توفیتنی فاحشـرنی فی زمرتها، وأدخلنی فی شـفاعتها، برحمتک یا ارحم الراحمین. اللهم بحقها عنـدک ومنزلتها لـدیک اغفر لی ولوالـدی ولجمیع المؤمنین والمؤمنات، وآتنا فی الدنیا حسنة وفی الآخرة حسنة وقنا برحمتک عذاب النار. ثم تصلی رکعتین للزیارة قربة إلی الله تعالی(1).

ص:158

1- (1) بحار الأنوار, المجلسی, ج 97 ص 219.

الفصل الثالث: خديجة بنت خويلد أم السيدة فاطمة عليهما السلام

اشارة

ص:159

النسب الطاهر

هی السیدة خدیجة بنت خویلد بن أسد بن عبد العزی بن قصی بن کلاب بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر. وفی قصی یجتمع نسبها مع نسب النبی صلی الله علیه و آله.

وأمها: فاطمة بنت زید بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معیص بن عامر بن لؤی بن غالب بن فهر(1).

فهی (خدیجة) تلتقی بالرسول صلی الله علیه و آله بالجد الرابع لها (قصی بن کلاب) الذی هو الجد الخامس للنبی صلی الله علیه و آله, وتلتقی به أیضاً بالجد الثامن لها من ناحیة أمها (الذی هو لؤی بن غالب).

ومن هذا النسب الزاهر الشامخ الطاهر ذکر الرواة فی أنّها ولدت فی بیت مجد وسؤدد, وکانت خدیجة بنت خویلد تسمّی الطاهرة فی الجاهلیة والإسلام. وقال البعض إنها کانت تسمّی سیدة نساء قریش(2).

1- (1) الذریة الطاهرة النبویة, محمد بن أحمد الدولابی, ص 44. سیرة ابن هشام ج 1 ص 214.

2- (2) أنظر: السیرة النبویة, ابن هشام, ج 1 ص 212.

نعم لم تحدد لنا الروايات السنة التى ولدت فيها السيدة خديجة عليهاالسلام, بل تعرضت لعمرها عند زواجها من رسول الله صلى الله عليه و آله, وهذا سيأتى بيانه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

واما إخوانها فأكبرهم عـدى بن خويلد, والعوام بن خويلد, قد تزوج من صـفية بنت عبد المطلب فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب وعبد الكعبة الذى سماه الرسول صلى الله عليه و آله عبد الرحمن(1). وأيضاً من إخوانها حزام بن خويلد, وقد تزوج فاحتة بنت زهير بن الحارث بن أسد فأنجبت له حكيماً وخالداً وهشاماً. قتل هو وأخوه العوام فى حرب الفجار(2).

ومن إخوانها أيضاً نوفل بن خويلـد, كان له ولـدٌ يسـمى الأسود ابن نوفل مع المسـلمين الذين هاجروا إلى الحبشة, بخلاف أبيه فقد روى أنّه كان مشـركاً وكان شجاعاً ويسمى أسد قريش وكان شديد العداء للإسلام, وقد قُتل بسيف على بن أبى طالب عليه السلام فى معركة بدر, كما جاء فى الإرشاد بسـنده عن عبـد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى قال: لما عرف رسول الله صـلى الله عليه و آله حضور نوفل بن خويلد بدراً قال: (اللهم اكفنى نوفلاً) فلما انكشـفت قريش رآه على بن أبى طالب عليه السـلام وقد تحير لا يدرى ما يصنع، فصمد له ثم ضربه بالسيف فنشب فى حجفته (أى

1- (1) الوافى بالوفيات, الصفدى, ج 18 ص 95.

2- (2) سُمّى الفجار لأنهم فجروا فى شهر حرام, حيث اقتتلوا فى رجب، وكان عندهم من الأشهر الحرم الذى لا تسفك فيه الدماء, راجع: موسوعة التاريخ الإسـلامى, محمد هادى اليوسـفى, ج 1 ص 304. وقيـل: اسـتحلت كنانـة وقيس عيلان فى الحرب من المحارم بينهم, فسمىّ حرب الفجار, راجع: تاريخ الإسلام, الذهبى, ج 1 ص 61.

الترس) فانتزعه منها، ثم ضرب به ساقه (وكانت درعه مشمرة) فقطعها، ثم أجهز عليه فقتله. فلما عاد إلى النبى صلى الله عليه و آله سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال له: أنا قتلته يا رسول الله, فكبر النبى صلى الله عليه و آله وقال: الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه(1). ولها أيضا أخت تسمى هالة بنت خويلد زوجة أبى هند التميمى.

الأسرة الكريمة

كانت خديجة بنت خويلد من أسرة أصيلة، لها مكانة وشرف فى قريش، عرفت بالعلم والمعرفة، والتضحية والفداء، وحماية الكعبة, وحينما جاء تُبّع (ملك اليمن) ليأخذ الحجر الأسود من المسجد الحرام إلى اليمن، هبت قريش ومنهم خويلد لحمايته ومنعه عن ذلك وكان أسد بن عبد العزى (جد خديجة) من المبرزين فى حلف الفضول الذى تداعت له قبائل من قريش، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت» وقد سماهم ابن إسحاق بن يسار قال: بنو هاشم بن عبد مناف, وبنو المطلب بن عبد مناف, وبنو أسد ابن عبد العزى بن قصى, وبنو زهرة بن كلاب, وبنو تيم بن مرة, فتحالفوا فى دار عبد الله بن جدعان, فسموا ذلک الحلف حلف الفضول تشبيها له بحلف كان بمكة أيام جرهم على

1- (1) الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 1 ص 76.

التناصف والأخذ للضعيف من القوى وللغريب من القاطن, قام به رجال من جرهم يقال لهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة فقيل حلف الفضول جمعاً لأسماء هؤلاء(1).

وكان ورقـة بن نوفل (ابن عم خديجـة) أحد الأربعة الذين رفضوا عبادة الأوثان، وبحثوا عن الدين الحق وكانوا من الأحناف، يدينون الله على ملة إبراهيم. وهم: ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، وابن أبى السـلط، وقس ابن ساعدة وغيرهم ممن سـخروا بالأصنام وعبادتها، واعتبروا ذلک جهلاً وضـلالاً قال ابن إسـحاق: واجتمعت قريش يوما فى عيـد لهم عنـد صـنم من أصـنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنـده ويديرون به، فخلص منهم أربعة نفر نجيا، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا: أجل (وهم ورقة بن نوفل وثلاثة آخرون) كما سـبق ذكرهم. فقال بعضـهم لبعض: تعلموا (والله) ما قومكم على شـىء، لقـد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسـمع ولا يبصـر، ولا يضـر ولا ينفع؟ فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم, فاما ورقة بن نوفل فتنصـر واسـتحكم فى النصـرانية وتعلم الكتب(2).

ففى ظل هذه العائلة عاشت السيدة خديجة عليهاالسلام حياة أبناء العوائل الشريفة الكبيرة, مع ما لأبيها وأجدادها من مكانة فى قريش, ومما لاشک فيه أنّ قوة شخصيتها ومكانتها جاءت نتيجة لتأثير هذه العائلة فيها, فضلا عن مميزاتها الذاتية.

1- (1) أنظر: السنن الكبرى, البيهقى, ج 6 ص 367.

2- (2) إمتاع الأسماع, المقريزى, ج 6 ص 255.

فنستطيع أن نعرف أنّ تأثير الأسرة كان كبيراً فيها؛ لأنّها خير قاعدة يبدأ منها الإنسان حياته وتقرر معالم شخصيته.

دور آباء خديجة

بعدما رجع قصى (الجد الرابع لخديجة عليهاالسلام) إلى وطنه ومسقط رأسه مكة (كما تقدم) آلت إليه زعامة قريش من دون منازع وأصبح زعيم مكة, وقد قام فى عدة مشاريع فى جميع الأصعدة لاسيما الاجتماعية منها والسياسية, فقد شرع فى تنظيم الحياة فى مكة فكان أول إجراءاتهِ أن نظم سكن القرشيين فى مكة, فقسم المناطق المحيطة بالكعبة على بطون قريش فأنزلها على قسمين.

الأول: قريب من الكعبة, وهم بنو زهرة بن كلاب, وبنو تيم بن مرة, وبنو مخزوم بن مرة, وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى بن كعب, إضافة على قصى وأبنائه.

القسم الثانى: أنزله فى مناطق بعيدة عنها(1). ويبدو من هذا التقسيم السكانى الذى قام به قصى حيث أنزل البطون القريبة منه قريب مكة والبطون البعيدة منه بعيد عنها, ربما يكون الهدف من وراء ذلك التقسيم إيجاد قوة يستطيع من خلالها حماية ما حققه من إنجازات فى مكة, كما يستفاد من قول ابن إسحاق (وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة)(2).

كما قام قصى بعد ذلك بتنظيم إدارة مكة حيث بنى دار الندوة قريب الكعبة

1- (1) أنظر: حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد الى اللحد, حسين على الشرهان, ص 46.

2- (2) أنظر: البداية والنهاية, ابن كثير, ج 2 ص 263.

لتكون بمثابـة مبنى للحكومة يتشاورون فيها هو وقومه فى الأمور الخاصة بهم. وعمل أيضاً على الاهتمام بالكعبة والوظائف التابعة لها وهى الحجابـة: أى قفـل البيت الحرام وفتحه للزائرين. والسـقاية: وهى توفير ميـاه الشـرب للحجاج فى موسم الحـج. والرفادة: وهى توفير الطعام للحجاج واستضافتهم. واللواء: وهى راية قريش فى الحرب(1).

إمّا جد خديجة الثالث عبد العزى فقد نال جزءاً من وظائف الكعبة وهى الرفادة, وذلک بعد وفاة قصى لم يتمكن أحد من أبنائه الأربعة (عبد الدار وعبد العزى وعبد مناف وعبد قصـى) أن يجمع كل السلطان بيده كما كان عليه الحال فى عهد أبيهم قصى, بل توزعت الزعامة بينهم, كما ذكر ذلک اليعقوبى «أنّ قصـياً قسم بين ولـده فجعل السـقاية والرئاسة لعبد مناف, والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتى الوادى لعبد قصى)(2). ومن ثمـة حصل نزاع بين الأبناء والأحفاد اسـتمر فترة طويلـة, ويبـدو من هـذا النزاع حول وظائف الكعبة جعل أسد (جد خديجة) بن عبد العزى يتنبه إلى ضـعف موقفه فى قريش لذلک تزوج العديد من النساء وصل عددهن إلى ست نساء, أولهن زهرة بنت عمر (أم خويلـد والد خديجة) وهذه الزيجات حققت لأسد ما أراد حيث أنجبن عددا كثيراً من الأبناء تجاوزوا العشـرة اسـتطاعوا أن يثبتوا مكانة هذه الأسرة فى مجتمع مكة قبل الإسلام.

1- (1) أنظر: السيرة النبوية, ابن هشام الحميرى, ج 1 ص 81.

2- (2) أنظر: تاريخ اليعقوبى, ج 1 ص 211.

مميزات خويلد والد السيدة خديجة عليهاالسلام

من الوظائف المهمة التى شغلها خويلد بن أسد وحصلت عليها أسرته هى وظيفة المشورة: وهى من أهم الوظائف الثانوية, حيث أنّ صاحبها كالمستشار العام التى تُعرض عليه القرارات التى يتوصل إليها الملأ المكى, فهى إنْ اجتمعت قريش على أمر عرضته عليه فإن وافق رأيهم سكت وإلا أعترض أو اختار.

وهذا المنصب ليس من صلاحية كل أحد يستطيع أن يتصدى له, إلا من كان ذا كفاءة عالية وله أساس عائلى متين فى قريش, من جملتها أن ينتسب إلى قصى كما هو الحال فى خويلد بن أسد. ولم تقتصر هذه الاستشارة على مجال معين بل فى شتى المجالات سواء كانت على الصعيد الاجتماعى أم غيره. وقد أورد ابن إسحاق رواية حول تولى خويلد هذا المنصب الرفيع والتى تكون بمثابة التطبيق لما كان يتصدى له. حيث قال: فلما أراد (تبع) الشخوص إلى اليمن أراد أن يخرج حجر الركن فيخرج به معه فاجتمعت قريش إلى خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فقالوا ما دخل علينا يا خويلد إن ذهب هذا بحجرنا قال وما ذاک قالوا تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه فقال خويلد الموت أحسن من ذلک, ثم أخذ السيف وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعا فقالوا: ماذا تريد يا تبع إلى الركن فقال أردت أن أخرج به إلى قومى فقالت: قريش الموت أقرب ذاک ثم خرجوا حتى أتو الركن فقاموا عنده فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلک. فقال خويلد فى ذلک شعرا:

دعينى أم عمرو ولا تلومى ومهلا عاذلى لا تعذلينى

دعينى لا أخذت الخشف منهم وبيت الله حتى يقتلونى

فما عذرى وهذا السيف عندى وعضب نال قائمه يمينى

ولكن لم أحد عنها محيدا وانى راهق ما أرهقونى(1)

بالإضافة إلى هذا المنصب فقد مارس خويلد أعمالاً أخرى لا تقل أهمية عن غيرها, ومن أهمها تهنئة انتصار سيف بن ذى يزن على الأحباش وطردهم من اليمن, ووقوع حرب الفجار. أما الحدث الأول فقد خرج مع وفد من مكة مكون من أربع شخصيات لتهنئة سيف على الانتصار وكان هذا الوفد يضم عبد المطلب ابن هاشم وخويلد بن أسد وأمية بن عبد شمس, وعبدالله بن جدعان, وكان لهم كلام مع الملك واستضافهم ما يقارب الشهر, ثم أرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد المطلب إنى مفض إليک من سر علمى ما لو يكون غيرک لم أبح به. ولكنى رأيتک معدنه فأطلعتک عليه، فليكن عندک مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره. إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اختزناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطک كافة ولک خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملک مثلک سر وبر، فما هو، فداؤک أهل الوبر زمراً بعد زمر؟ قال: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبت بخير ما آب به وافد، ولولا هيبة الملک وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياى ما أزداد به سروراً.

1- (1) أنظر: سيرة ابن إسحاق, محمد بن إسحاق بن يسار, ج 1 - ص 31.

قال ابن ذى يزن: هـذا حينه الـذى يولـد فيه أوقـد ولـد، واسـمه محمـد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جـده وعمه، ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه، ويضـرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله(1).

والـذى يهمنـا من الكلام هنا, أولاً: أنّ خويلـد من الشخصـيات التى لها الثقل الأكبر سواء فى العلاقات أم فى صـنع القرار. وثانياً: أنّ هـذا التحرك فيه نوع من تحسـين العلاقات مع الدول المجاورة من أجل استمرار العمل التجارى أو غيره. وثالثاً: يؤكد لنا أيضا أنّ خويلد بن أسد لا يزال إلى جنب بنى هاشم فى خط الأحلاف, وكونه أحد زعماء مكة المعروفين.

وأما دور خويلد بن أسد فى حرب الفجار التى دارت رحاها بين قريش وكنانة مع هوازن, وقد شاركت جميع البطون القرشـية بدون اسـتثناء, وذلك يشـعر بأنّ هناك خطراً محدقاً يهدد مصالحهم التجارية وغيرها, حتى أنّ بنى أسد تحملوا دوراً كبيراً فى هذه الحرب, وكان زعيم هذه العائلـة فى الحرب خويلـد بن أسـد, حيث فقد فى هذه الحرب أربعة إخوان وأثنين من أبنائه إضافة إلى نفسه على أحد الأقوال المرجحة. أما الأخوان: فهم نوفل بن أسد, وحبيب بن أسد, وطالب بن أسد, وطليب بن أسد, وأبناؤه, العوام بن خويلد, وحزام بن خويلد.

1- (1) أنظر: السيرة النبوية, ابن كثير, ج 1 ص 335.

خويلد على خط الأنبياء

من خلال تتبع التاريخ والسيرة الخاصة بخويلد بن أسد وأسرته يظهر لنا جلياً أنّ خويلد وعائلته كانوا من المتدينين الملتزمين المتبعين لخط الأنبياء, كما يؤكد ذلك اعتناق اثنين من أبناء هذه الأسرة للديانة النصرانية, وهم ورقة, وعثمان, وهذا الاتجاه والسلوك لا يأتى من فراغ بل هناك توجه دينى وواعز خلقى فى العائلة أثر على هؤلاء وجعلهم يسلكون طريق الأنبياء. هذا بالإضافة إلى بعض الشواهد التاريخية التى وردت بحق خويلد بن أسد وهى تؤكد تدينه والتزامه بطريق الأنبياء وخط التوحيد. منها ما ذكره ابن أبى الحديد: عن عبد الله ابن عثمان بن سليمان قال: سمعت أبى يقول: لما حفرت زمزم، وأدرك منها عبد المطلب ما أدرك، وجدت قريش فى أنفسها مما أعطى عبد المطلب، فلقيه خويلد ابن أسد بن عبد العزى فقال: يا بن سلمى، لقد سقيت ماءً رغداً، ونثلت عادية حسدا، فقال: يا بن أسد، أما إنک تشرک فى فضلها، والله لا يساعدنى أحد عليها ببر، ولا يقوم معى بارزاً إلا بذلت له خير الصهر، فقال خويلد بن أسد:

أقول وما قولى عليهم بسبة إليک ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر وركضه جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب: ما وجدت أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد(1). وقد أسلفنا أنّ خويلد كان مع بنى هاشم وحليفهم وأفكارهم متقاربة لاسيما فى الأمور المعنوية, وهذا أيضا يمكن أنّ يكون من الشواهد الذى يؤكد تدينه.

1- (1) أنظر: شرح نهج البلاغة, ابن أبى الحديد, ج 15 ص 217.

دين السيدة خديجة قبل الإسلام

من الأديان السائـدة فى الجزيرة العربية حينذاک وخاصة فى مكة عبادة الأوثان ويقال لعبدتها المشـركون، ويليهم فى الكثرة الأحناف الذين بقوا على دين أبيهم إبراهيم الخليل ويـدينون الله سـبحانه وتعالى به، ويليهم النصارى، واليهود، والصابئـة, وقليل منهم يـدينون بالركوسـية: وهى خليط من عقائـد الصابئـة والنصـرانية، كما كانت تـدين بها قبيلة طى, هذا ما كان من الأديان السائدة حينذاک، ومن الذين يدينون الله بملـة إبراهيم من قريش هم بنو هاشم بن عبد مناف إلا ما شذ منهم مثل (أبى لهـب) عبد العزى بن عبد المطلب، حيث صاهر بنى أمية ودان بدينهم. وكثير من بنى زهرة، وبنى أسد، كانوا من الأحناف يدينون الله بدين إبراهيم الخليل، ومنهم السـيدة خديجة بنت خويلد كانت تدين الله بالحنيفية، وكذلک ابن عمها ورقة بن نوفل الذى دان بالنصـرانية بعد أن كان حنيفياً, وكذلک السـيدة آمنة بنت وهب وأهلها من بنى زهرة والدة النبى الأقدس صلى الله عليه و آله, والسيدة فاطمة بنت أسد الهاشمية وأهلها والدة الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام(1).

الصفات الكمالية للسيدة خديجة

إضافـة إلى الروايات التى تكشف عن بعـد إيمان خديجة وتكامل صـفاتها, شـهادة التاريخ لها وأنها تتمتع بصـفات ومؤهلات تمتاز بها عن غيرها من النساء, فقد كانت خديجة عليهاالسلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً. وكانت تدعى فى الجاهلية ب) الطاهرة) ويقال لها: (سيدة قريش). وكل

1- (1) أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام, حسين الشاكرى ص 87.

أفراد قومها كانوا حريصين على الاقتران بها لو يقدر عليه وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال, وممن خطبها عقبة بن أبى معيط، والصلت بن أبى يهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان فرفضتهم جميعاً، واختارت النبى صلى الله عليه و آله، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة العالية. ونكاد نقطع (بسبب تضافر النصوص) بأنها هى التى قد أبدت أولاً رغبتها فى الاقتران به صلى الله عليه و آله(1). وإنما تفعل الحرة العاقلة اللبيبة ذلک، فلا تغرها زبارج الدنيا وبهارجها، ولا تبحث عن اللذة لأجل اللذة، وعن المال للشهرة، إنما تبحث عمن يخدم هدفها الأسمى فى الحياة، وعن الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، والواقعية فى التعامل والسمو فى الهدف، لأن كل ذلک هو الذى يسخر المال والجاه والقوة وكل شىء لخدمة الإنسان والإنسانية، وتكاملها فى الدرجات العليا, لم يحفظ التاريخ فى أوراقه أن امرأة من فضليات النساء فى دنيا النساء قد فاحت سيرتها بالعطاء كما كانت أم المؤمنين خديجة الطاهرة, لقد تناول التاريخ سيرة نساء كثيرات، اشتهرن بجانب أو أكثر من العبقريات ولكنه لم يحدثنا كما حدثنا عن السيدة خديجة من بلوغ قمم المكارم فى كل الفضائل، ولم يستطع أن يحصر تلک الفضائل بين دفتيه.

أصبحت خديجة سيدة نساء قريش قبل أن تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها، وكانت امرأة عالية الهمة، جياشة العواطف واسعة الأفق، مفطورة على التدين والنقاء والطهر، حتى عرفت بين أترابها وبين نساء قريش بالطاهرة وناهيک

1- (1) الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه و آله, السيد جعفر مرتضى العاملى, ج 2 ص 107.

بهذه الصفة التى حلقت بها فجعلتها فى سماء السبق إلى ساحة المعالى, وجدير بنا أن نذكر بعض صفاتها.

من صفاتها السخاء

لقد كانت عليهاالسلام من أهل الجود والكرم وكانت معروفة بهذا الوصف, ولذا قال أبو طالب عليه السلام فى خطبته حين خطب خديجة للنبى صلى الله عليه و آله (خاطب كريمتكم الموصوفة بالسخاء والعفة)(1).

ويدل على هذا أيضا ما رواه ابن الأثير: قدمت عليه حليمة فشكت إليه جدب البلاد فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقعاً للظعينة(2).

وعن البيهقى: عن رسول الله صلى الله عليه و آله ما رأيت من صاحبة أجيد خيراً من خديجة ما كنا نرجع أنا وصاحبى إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبوه لنا(3).

ويكفيها شاهداً أنّها وهبت كل ما تملك إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وجعلته تحت تصرفه, حتى قال صلى الله عليه و آله: ما نفعنى مال قط مثل ما نفعنى مال خديجة عليهاالسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يفك من مالها الغارم والعانى ويحمل الكل، ويعطى فى النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة(4).

1- (1) راجع: بحار الأنوار, المجلسى, ج 6 ص 70.

2- (2) النهاية فى غريب الحديث: ج 5 ص 215. الطبقات الكبرى: ج 1 ص 113. الموقع: الذى بظهره آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه وركب فهو ذلول مجرب. والظعينة: الهودج.

3- (3) دلائل النبوة: ج 1 ص 90.

4- (4) الأمالى, الشيخ الطوسى, ص 468.

من صفاتها العلم

لم تؤثر على خديجة الأجواء السائدة آنذاك (حيث كانت تحكم الجزيرة العربية البداوة والتخلف والانحطاط وإشاعة الأمية) فقد كانت تحوى كثيراً من العلوم, ومن تلك العلوم التى كانت تحويها خديجة عليهاالسلام هى علومها ومعرفتها بالأديان والرسالات, وذلك أنّ عمها وعلى قول آخر ابن عمها ورقة بن نوفل على ما فى بعض الروايات كان من القسيسين, وكان قد قرأ الكتب كلها، وكان عنده كتاب من عهد عيسى عليه السلام فيه طلاسم وعزائم وأنّ خديجة عليهاالسلام قد تعلمت منه هذه العلوم. ومضافا إلى هذا كله فهى قرينة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأول الناس قرباً منه.

وبعبارة واضحة هى قريبة من معدن العلم ومخزنه وفى بيتها يهبط الوحى والملائكة, فأول ما يصدر الحكم تكون هى عليهاالسلام على اطلاع به وتأخذه من المصطفى صلى الله عليه و آله.

قال ابن المغازلى: أنزل الله على رسوله القرآن والهدى وعنده خديجة(1).

ومن علومها عليهاالسلام أنها كانت عالمة بتعبير الأحلام وهذا العلم من العلوم الصعبة جداً والخفية بحيث لا يتمكن الإنسان العادى أن يصل إلى مطالبه العالية إلا بفضل من الله ورحمته. ولذا نرى بالوجدان أن أهل هذا العلم بالدرجة الأولى هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ومن بعدهم التالين من بعدهم فى العلم والعمل(2).

هذا بالإضافة إلى علمها بالتجارة ومستلزماتها, والتى لا تقل أهمية عن

1- (1) الأنوار الساطعة, الشيخ غالب السيلاوى, ص 324.

2- (2) المصدر نفسه.

غيرها من العلوم, بل تحتاج إلى حنكة وخبرة وتدبير وإتقان, وخديجة كانت المشرف العام على الصفقات التجارية وما يلازمها.

رؤيا نورانية صادقة

فى ليلـة غارت نجومها، واحلولک ظلامها، جلست خديجـة فى بيتها، بعـد أن طافت مراراً حول الكعبـة، كعادتها كل ليلة، وما أن أسـلمت جنبها للرقاد حتى استسـلمت للنوم وراحت فى سـبات عميق, ورأت فيما يرى النائم شـمساً عظيمة تهبط من سـماء مكة لتسـتقر فى دارها، وتملأ جوانب الـدار نوراً وبهاءً، ويفيض من دارها ليغمر كل ما حولها بضـياء يبهر النفوس، قبل أن يبهر الأبصار, هبت خديجـة من نومها، وراحت تدير عينيها فيما حولها بدهشة فإذا بالليل ما يزال يسـربل الدنيا بالسواد عندما غادر الليل الدنيا، غادرت خديجة فراشـها، مع إشـراقة الشـمس وتسربلت جلبابها وغادرت البيت فى طريقها إلى دار ابن عمها ورقة بن نوفل، لعلها تجد عنده تفسيراً لحلمها، فألفته قد عكف على قراءة صحيفة من صحف السماء التى شغف بها، وما أن سمع صوتها حتى هب مرحباً، وقال متعجباً: خديجة الطاهرة؟ قالت: هى, هى، قال فى دهشة: ما جاء بک الساعة؟ جلست خديجة، وراحت تقص عليه ما رأت فى منامها حرفاً حرفاً، ومشـهداً مشـهداً. وكان ورقة يصغى إليها باهتمام، وما أن انتهت من كلامها، حتى تهلل وجهه بالبشر، وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا، ثم قال لخديجة فى هدوء ووقار، أبشرى يا ابنة العم. وهذا يدل على أنّ خديجة عرفت مضمون رؤيتها ولكن جاءت للتأكيد

ص:175

والاطمئنان(1). والرؤى الصادقة أمر ثبت فى القرآن والسنة بشكل لا يقبل التشكيک, كما سيأتى الكلام عنها.

من صفاتها الرواية

ذكر الرجالى المعروف السيد الميرزا محمد الأستر آبادى رحمه الله: باب ذكر نساء لهن رواية خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه و آله. وذكر الرجالى الخبير الشيخ محمد الحائرى رحمه الله: باب ذكر نساء لهن رواية أو صحبة خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه و آله.

وذكر المرحوم الخبير الرجالى الأردبيلى فصل فى ذكر نساء لهن رواية: خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه و آله. وذكر ابن حزم الأندلسى فى أصحاب الواحد خديجة أم المؤمنين.

وعن الحافظ محمد بن حبان أبى حاتم التميمى ممن روى عن النبى من النساء: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى.

ذكر البيهقى أخبرنا أبو سعيد بن أبى عمرو حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا المثنى بن معاذ، حدثنا أبى عن المسعودى، حدثنى عبد الأعلى التيمى قال: قالت خديجة بنت خويلد: يا رسول الله ما أقول وأنا أطوف بالبيت, قال: قولى اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاى وعمدى وإسرافى فى أمرى إنک إنْ لا تغفر لى تهلكنى(2).

1- (1) أم المؤمنين, خديجة الطاهرة, الحاج حسين الشاكرى, ص 133.

2- (2) راجع قى ذلک كتاب الأنوار الساطعة, الشيخ غالب السيلاوى, ص 326.

من صفاتها الشعر

يتضـمن شـعرها عليهاالسلام الحكمة والإيمان بالله والنبى صلى الله عليه و آله وأيضا كثير من أشعارها فى بحث زواجها من الرسول صلى الله عليه و آله ولا يخفى أن الشعر كان وسيلة للإعلام آنذاک.

فقـد ذكرها المرحوم الأمينى رحمه الله فى موكب الشـعراء حيث قال: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبى الطاهر صـلى الله عليه و آله وكانت رقيقة الشـعر جداً, ومن شعرها فى تمريغ البعير وجهه على قدمى النبى صلى الله عليه و آله ونطقه بفضله كرامة له صلى الله عليه و آله قولها:

نطق البعير بفضل أحمد مخبرا هذا الذى شرفت به أم القرى

هذا محمد خير مبعوث أتى فهو الشفيع وخير من وطئ الثرى

يا حاسديه تمزقوا من غيضكم فهو الحبيب ولا سواه فى الورى(1)

ومن شعرها للنبى صلى الله عليه و آله:

فلو أننى أمسيت فى كل نعمة ودامت لى الدنيا وملک الأكاسرة

فما سويت عندى جناح بعوضة إذا لم تكن عينى لعينک ناظرة(2)

إيمانها برسول الله قبل زواجها منه

عند مراجعة تاريخ السيدة خديجة قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه و آله, إضافة إلى ما تحويه من كمال مادى ومعنوى, نرى أنّها تتمتع ببعد إيمانى إلهى, وقد أيقنت

1- (1) الغدير, الامينى: ج 2 ص 17.

2- (2) بحار الأنوار, المجلسى: ج 16 ص 52.

أنه ارتسم فی ذات محمد صـلی الله علیه و آله, فمن خلال قراءتها الفاحصة ونظرتها الدقیقة والأجواء الإیمانیة التی تعیشها جعلتها أن تصل إلی معرفة منقذ البشـریة وهادیها حتی آمنت به وبکل الآیات التی أجریت علی یده, ومما یؤید هذا ما ورد عنها إزاء الکرامات التی صدرت من النبی صـلی الله علیه و آله, والتی منها: إنّ العباس جاء إلی النبی صلی الله علیه و آله وقال: سر معی إلی دار خدیجة بنت خویلد تکون أمیناً علی أموالها، تسـیر بها حیث شئت، قال: أرید الشام، قال: ذلک إلیک، فسار النبی صلی الله علیه و آله والعباس إلی بیت خدیجة، وکان من عادته صـلی الله علیه و آله إذا أراد زیارة قوم سـبقه النور إلی بیتهم، فسبقه النور إلی بیت خدیجة، فقالت لعبدها میسرة: کیف غفلت عن الخیمة حتی عبرت الشمس إلی المجلس؟ قال: لست بغافل عنها، وخرج فلم یجد تغیر وتد ولا طنب، ونظر إلی العباس فوجده قد أقبل هو والنبی صـلی الله علیه و آله معه، فرجع وقال لها: یا مولاتی هذا الذی رأیته من أنوار محمد صـلی الله علیه و آله، فجاءت خدیجة لتنظر إلی محمد، فلما دخل المجلس نهض أعمامه إجلالاً له، وأجلسوه فی أوساطهم، فلما استقر بهم الجلوس قدمت لهم خدیجة الطعام فأکلوا، ثم قالت خدیجة: یا سـیدی أنست بک الدیار، وأضاءت بک الأقدار، وأشـرقت من طلعتک الأنوار، أترضـی أن تکون أمیناً علی أموالی تسیر بها حیث شـئت؟ قـال: نعم رضـیت، ثم قال: أریـد الشام، قالت: ذلک إلیک، وإنی قـد جعلت لمن یسـیر علی أموالی مائـة وقیـة من الـذهب الأحمر، ومائة وقیة من الفضة البیضاء، وجملین وراحلتین، فهل أنت راض؟ فقال أبو طالب رضـی الله عنه، رضـی ورضینا، وأنت یا خدیجة محتاجة إلیه، لأنه من حین خلق ما وقف له العرب علی صبوة، وأنه مکین أمین، قالت

خديجة: تحسن يا سيدى تشد على الجمل وترفع عليه الأحمال؟ قال: نعم، قالت: يا ميسرة: ايتنى ببعير حتى أنظر كيف يشد عليه محمد، فخرج ميسرة وأتى ببعير شديد المراس، قوى الباس، لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرجه من بين الإبل لشدة بأسه، فأدناه ليركبه فهدر وشقشق واحمرت عيناه، فقال له العباس: ما كان عندك أهون من هذا البعير؟ تريد أن تمتحن به ابن أخينا؟ فعند ذلک قال النبى صلى الله عليه و آله: دعه يا عم، فلما سمع البعير كلام البشير النذير برک على قدمى النبى صلى الله عليه و آله، وجعل يمرغ وجهه على قدمى النبى صلى الله عليه و آله ونطق بكلام فصيح وقال: من مثلى وقد لمس ظهرى سيد المرسلين؟ فقلن النسوة اللاتى كن عند خديجة: ما هذا إلا سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم، قالت لهم خديجة: ليس هذا سحراً، وإنما هو آيات بينات، وكرامات ظاهرات، ثم قالت: نطق البعير بفضل أحمد مخبرا... إلى آخر الأبيات التى تقدم ذكرها(1).

زواجها من رسول الله

لم يكن اقتران خديجة بنت خويلد بالنبى الأكرم إلا شاهد على إيمانها وعظمة مكانتها وإنها جامعة للصفات التى تؤهلها لأن تكون شريكة حياة النبى صلى الله عليه و آله لاسيما فى الأوقات الصعبة والحرجة والإسلام يكاد أنْ تنبثق بذرته وتعم إرجاء قريش, فكانت خديجة تشاطر النبى صلى الله عليه و آله فى هذا الشعور وتنظر إلى مستقبل الازدهار والعدالة, فكانت شريكته قبل كل شىء بالهدف والطموح, حتى

1- (1) أنظر: بحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 16 ص 26.

بلغ خضوعها لرسول الله وحبها له, أنّها بعد أن تم عقد زواجها برسول الله صلى الله عليه و آله قالت له: إلى بيتک فبيتی بيتک وأنا جاريتک(1). وذلک يعبر عن مدى معرفتها وإيمانها برسول الله صلى الله عليه و آله.

عن أبی عبد الله عليه السلام قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب فی أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذی جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارک لنا فی بلدنا الذی نحن فيه، ثم إن ابن أخی هذا (يعنی رسول الله صلى الله عليه و آله) ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ولا عدل له فی الخلق وإن كان مقلاً فی المال فإن المال رفد جار(2) وظل زائل وله فی خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئناک لنخطبها إليک برضاها وأمرها والمهر علیّ فی مالی الذی سألتموه عاجله وآجله وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأی كامل، ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج(3), وقصر عن جواب أبی طالب وأدركه القطع والبُهر(4), وكان رجلاً من القسيسين فقالت خديجة مبتدئة: يا عماه إنک وإن كنت أولى بنفسی منی فی الشهود فلست أولى بی من نفسی، قد زوجتک يا محمد نفسی، والمهر علیّ فی مالی فأمر عمک فلينحر

1- (1) أنظر: الخرائج والجرائح, قطب الدين الراوندی, ج 1 ص 141.

2- (2) رفد جار: أی عطاء الله تعالى، أجراه على عباده بقدر ضرورتهم واحتياجهم.

3- (3) التلجلج: التردد فی الكلام.

4- (4) البهر (بالضم): النفس من الاعياء.

ناقـة فليولم بها وادخل على أهلک قال أبو طالب: أشـهدوا عليها بقبولها محمداً وضـمانها المهر فی مالها، فقال بعض قريش يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضـباً شديداً وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخی هذا طلبت الرجال بأغلا الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالی، ونحر أبو طالب ناقـة ودخل رسول الله صـلى الله عليه و آله بأهله. وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لک الطير فيما كان منک بأسعد

تزوجته خير البرية كلها ومن ذا الذی فی الناس مثل محمّد

وبشر به البر إنّ عيسى ابن مريم وموسى بن عمران فيا قرب موعد

أقرت به الكتاب قدماً بأنه رسول من البطحاء هاد ومهتد(1)

أبو طالب خاطب خديجة للنبی صلى الله عليه و آله

اختلف المؤرخون فی الشخصـية التی قامت فی إجراء مراسـيم الخطبـة من خديجـة إلى النبی صـلى الله عليه و آله, المشـهور والـذی هو الصـحيح, أنّ أبا طالب قد ذهب لخطبة خديجة، وليس حمزة الذی اقتصـر عليه ابن هشام فی سـيرته(2) ؛ لأن ذلک لا ينسـجم مع ما كان لأبی طالب من المكانة والسؤدد فی قريش، من جهة؛ ومن جهة أخرى لأن حمزة كان يكبر النبی صـلى الله عليه و آله بسـنتين أو بأربع كما قيل.

1- (1) الكافی, الشيخ الكلينی, ج 5 ص 374.

2- (2) انظر: سيرة ابن هشام, ج 1 ص 201.

هذا بالإضافة إلى مخالفة ما يذكره عامة المؤرخين فى المقام. وقد اعتذر البعض عن ذلک: بأن من الممكن أن يكون حمزة قد حضر مع أبى طـالب، فنسب ذلـک إليه وهو اعتـذار واه، إذ لمـاذا لم ينسب ذلـک إلى غير حمزة، ممن حضـر مع أبى طـالب من بنى هاشم وغيرهم من القرشـيين. ويظهر: أن ثمة من يهتم بسـلب هذه المكرمة عن أبى طالب عليه السـلام، وإعطائها لأى كان من الناس سواه، حتى لحمزة, ولا ضير فى ذلک عنـده ما دام أنه قـد استشـهد فى وقت مبكر. وعلى كل حال فقـد خطبها أبو طالب له صـلى الله عليه و آله قبل البعثة بخمس عشرة سنة، على المشهور(1).

هل تزوجت خديجة قبل النبى صلى الله عليه و آله

اختلف المؤرخون فى مسألة زواج السـيدة خديجة قبل النبى صـلى الله عليه و آله بين النفى والإثبات, قال القرطبى قد تزوجها (النبى صلى الله عليه و آله) قبل النبوة ثيباً بعـد زوجين, بعد ابن هالة التميمى, وبعد عتيق المخزومى, ثم تزوجها النبى صـلى الله عليه و آله, وهى بنت أربعين سـنة وأقامت معه أربعاً وعشـرين سـنة، وتوفيت وهى بنت أربع وستين، سـنة وسـتة أشـهر وسن رسول الله صلى الله عليه و آله حين تزوجها إحدى وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة, وقيل ثلاث وثلاثون سنة(2).

وعن القاضـى النعمان كانت خديجـة قبل النبى عنـد عتيق بن عامر المخزومى، وولدت له حارثة، ومات عنها بمكة، وتزوجها بعده أبو هالة زرارة بن

1- (1) انظر: الإصابة, ابن حجر, ج 8 ص 99.

2- (2) انظر: تفسير القرطبى, ج 14 ص 164.

ساس الأسدی، ومات عنها بمکة وولدت له هند بنت أبی هالة(1).

والصحیح أنها (خدیجة) لم تقترن بزوج قبله والدلیل علی ذلک:

أوّلاً: ذکر ابن شهر آشوب وروی أحمد البلاذری، وأبو القاسم الکوفی فی کتابیهما، والمرتضی فی الشافی، وأبو جعفر فی التلخیص, أنّ النبی صلی الله علیه و آله تزوج بها، وکانت عذراء. وکما یؤکد ذلک ما ذکر فی کتابی الأنوار والبدع: أنّ رقیة وزینب کانتا ابنتی هالة أخت خدیجة(2), کما سیأتی بیانه.

وثانیاً: قال أبو القاسم الکوفی: إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الآثار ونقلة الأخبار، علی أنه لم یبق من أشراف قریش، ومن ساداتهم وذوی النجدة منهم، إلا من خطب خدیجة، ورام تزویجها، فامتنعت علی جمیعهم من ذلک، فلما تزوجها رسول الله صلی الله علیه و آله غضب علیها نساء قریش وهجرنها، وقلن لها خطبک أشراف قریش وأمراؤهم فلم تتزوجی أحداً منهم، وتزوجت محمداً یتیم أبی طالب، فقیراً، لا مال له؟ فکیف یجوز فی نظر أهل الفهم أن تکون خدیجة، یتزوجها أعرابی من تمیم، وتمتنع من سادات قریش، وأشرافها علی ما وصفناه؟

وأما الرد علی ذلک بأنّه لا یمکن أن تبقی امرأة شریفة وجمیلة هذه المدة الطویلة بلا زواج فلیس علی ما یرام؛ لأنّ ذلک لا یبرر رفضها لعظماء قریش وقبولها بأعرابی من بنی تمیم. وأما کیف یترکها أبوها أو ولیها بلا تزویج؟ ذلک أنّ أباها قد قتل فی حرب الفجار، وأما ولیها، فلم یکن له سلطة الأب لیجبرها علی الزواج ممن

1- (1) شرح الأخبار, القاضی النعمان المغربی, ج 3 ص 15.

2- (2) مناقب آل أبی طالب, ابن شهر آشوب, ج 1 ص 138.

أراد وبقاء المرأة الشـريفة والجميلـة مدة بلا زواج ليس بعزيز, إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرجل الفاضل الكامل، الذى كان يعز وجوده فى تلك الفترة(1).

وثالثاً: كيف لم يعيرها زعماء قريش الـذين خطبوها فردتهم، بزواجها من أعرابى. فهكـذا كانت السـيدة خديجة حين زواجها من رسول الله صلى الله عليه و آله بكراً غير ثيب وأجمل نسائه ولم يتزوج عليها الى أن فارقت الحياة احتراماً لها وتعظيماً لشأنها.

سبب زواجها من النبى صلى الله عليه و آله

ليست كل امرأة تنظر الى مستقبل حياتها لاسيما فى اختيارها الشريک الذى يشاطرها ويواكبها الحياة فى طيلة ما تبقى من عمرها وبه تنتقل الحيـاة من مرحلـة الى أخرى فيها يحـدد المصـير فى الـدنيا بين السـعادة والشـقاء ربما تأخـذها العواطف والأهواء وتقع فى الفـخ المؤلم, فخديجـة هنا تعطى درساً للفتيات اللاتى يصـلن مرحلة الزواج أن تتأن فى اختيارها الزوج وأن تنظر به الصـفات التى تضـمن بها سـعادتها وحسن المعاشـرة معه, فكان اختيار خديجة للنبى صـلى الله عليه و آله لم يكن متسـرعاً وانّما بعد المتابعة والسؤال وما وجدت من صـفات كمالية عالية يتمتع بها نبى الإنسانية, حيث كانت خديجة ذات مال كثير وعبيد ومضاربين لها يتجرون فى مالها، ويسافرون به لها إلى الشام، فلما اتصل بها عن رسول الله صـلى الله عليه و آله ما هو عليه من الأمانة والطهارة والصدق والعفاف أرسـلت إليه، وسألته أن يخرج ببضاعة إلى

1- (1) الاستغاثة, أبو القاسم الكوفى, ج 1 ص 17.

الشام، ففعل وأرسلت معه غلاماً يقال له: ميسرة فجاءها بفضل واسع لم يأتها غيره. وأخبرها غلامها بما شاهده من فضله وآيات رآها فيه. وكان لها ابن عم يقال له ورقة بن نوفل على دين النصرانية قد قرأ الكتب، وكان يذكر لها أن نبياً إن بعثه يبعث من قريش، فلما أخبرها غلامها بما شاهد منه مع ما اتصل بها من آياته وعلامات النبوة فيه ذكرت ذلک لابن عمها ورقة, فقال: والله ما أشک، إنه هو النبى المنتظر. وكان ورقة هذا قد خطب خديجة، وهمت بتزويجه لما تبين لها أمر رسول الله صلى الله عليه و آله وأراد الله كرامتها ألهمها أن أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله تعرض بنفسها عليه، فتزوجها وبنى بها صلى الله عليه و آله وهو ابن خمس وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها غيرها، ولا ـ تزوج امرأة إلا ـ بعد أن ماتت. وكانت من أفضل نسائه وأحبهن إليه، وكانت تنتظر نبوته، ويسألها ابن عمها عن ذلک، وعن دلائل تعرفها فيه، فتخبره بذلک، فيقول: هو والله النبى المنتظر، وله فى ذلک أشعار كثير قالها، ومات قبل أن يبعث الله نبيه صلى الله عليه و آله. وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يعارض خديجة ويخبرها بما يأتيه من قبل أن ينبأ به، وما يراه فى منامه، وتخبره هى بقول ورقة، فلما أتاه الوحى من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلک ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت، فكانت أول من أسلم وكان رسول الله صلى الله عليه و آله فى ابتداء أمره إذا دعا قومه فكذبوه, ونالوا منه وهموا به، منعه منهم عمه أبو طالب. وكان سيداً مطاعاً فيهم، وكان يأتى خديجة مغموماً لما يناله منهم، فتهدئه، وتصبره، وتهون عليه, وبذلت مالها له، فكان ذلک مما يعز به(1).

1- (1) انظر: شرح الأخبار, القاضى النعمان المغربى, ج 3 ص 17.

عمر خديجة حين زواجها

ويلاحظ هنا مدى الاختلاف والتفاوت فى عمر خديجة حين اقترانها بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وهى تتراوح ما بين ال - (25) سنة إلى ال) 46) سنة وهى على النحو الآتى:

ألف - 25 سنة, وصححه البيهقى. ب - 28 سنة. هو ما رجحه كثيرون. ج - 30 سنة د - 35 سنة. ه - 40 سنة. و - 44 سنة. ز - 45 سنة. ح - 46 سنة.

ولا يخفى أنّ الكثيرين قد رجحوا القول الثانى، كما ذكره ابن العماد. أما البيهقى فقد صحح القول الأول، حيث قال: بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال: خمسين سنة، وهو أصح فإذا كانت رحمها الله قد تزوجت برسول الله قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقى نفسه فإن ذلک معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمساً وعشرين سنة. ورجح هذا القول غير البيهقى أيضا أما الحاكم، الذى روى لنا القول الثانى المتقدم عن ابن إسحاق، فإنه لم يوضح لنا حقيقة ما يذهب إليه، غير أنه حين روى عن هشام بن عروة قوله: إن خديجة قد توفيت وعمرها خمس وستون سنة. هذا قول شاذ، فإن الذى عندى: أنها لم تبلغ ستين سنة, فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبى وعمرها أربعون سنة، شاذ. ويرى أنّ عمرها كان أقل من خمس وثلاثين حينئذ، ولكنه لم يبين القول الذى يذهب إليه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان وعشرون؟ أو خمس وعشرون(1).

1- (1) راجع: الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم, السيد جعفر مرتضى ج 2 - ص 117.

روی الدولابی فی کتابه: (الذریة الطاهرة) بسنده عن عمار بن أبی عمار، عن ابن عباس... ثم قال: وبلغنی أن رسول الله صلی الله علیه و آله تزوج خدیجة علی اثنتی عشرة أوقیة ذهباً، وهی یومئذ ابنة ثمان وعشرین سنة(1).

وعن ابن عباس قال: کانت خدیجة یوم تزوجها رسول الله صلی الله علیه و آله ابنة ثمان وعشرین سنة ومهرها اثنتا عشرة أوقیة(2).

مقدار مهر السیدة خدیجة

من الضروری أن یتعرف المسلمون علی مهر زوجات النبی صلی الله علیه و آله ومهر ابنته فاطمة علیهاالسلام لتکون سنة یُقتدی بها, ویرتفع الحجر الذی وقع فی طریق الشباب من التنافس فی غلاء المهور وارتفاعه, فالنبی صلی الله علیه و آله بُعث لإسعاد البشریة وحل العقد التی یواجهونها بشتی المجالات لاسیما الاجتماعیة, فینبغی أن تدرس سیرته المبارکة بشکلها العملی وتقنن دستوراً ومنهاجاً للمسلمین, من هنا جاءت الآیات والروایات تحث علی الإتباع والاقتداء بأقوال وأفعال النبی صلی الله علیه و آله, کما فی قوله تعالی:(لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)3 . وعلیه هناک جملة من الروایات الواردة فی تعیین مقدار مهر السیدة خدیجة علیهاالسلام. فقد روی الصفار عن حماد بن عیسی قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: قال أبی: ما زوج رسول الله صلی الله علیه و آله شیئاً من بناته ولا تزوج شیئاً من نسائه علی أکثر من اثنتی عشرة أوقیة

1- (1) راجع: الذریة الطاهرة النبویة, محمد بن أحمد الدولابی, ص 52.

2- (2) راجع: الطبقات الکبری, محمد بن سعد, ج 8 ص 17.

ونش، یعنی نصف أوقیة(1).

وروی الخبر الکلینی بسنده عنه قال: سمعته یقول: قال أبی: ما زوج رسول الله صلی الله علیه و آله ساير بناته ولا تزوج شیئاً من نسائه علی أکثر من اثنتی عشرة أوقیة ونش. والأوقیة: أربعون درهماً، والنش: عشرون درهماً. ثم روی عن حماد عن إبراهیم بن أبی یحیی عن الصادق علیه السلام قال: وکانت الدراهم وزن ستة یومئذ(2).

وروی بسنده عن معاویة بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: ساق رسول الله صلی الله علیه و آله إلی أزواجه اثنتی عشرة أوقیة ونشاً، والأوقیة: أربعون درهماً، والنش: نصف الأوقیة: عشرون درهماً، فکان ذلک خمسمائة درهم. قلت: بوزننا؟ قال: نعم(3).

وروی بسنده عن أبی العباس قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن الصداق هل له وقت (یعنی الحد للمهر) قال: لا، ثم قال: کان صداق النبی صلی الله علیه و آله اثنتی عشرة أوقیة ونشاً، والنش نصف الأوقیة، والأوقیة: أربعون درهماً، فذلک خمسمائة درهم(4).

أقول: لم یتضح من الروایات المتقدمة مقدار مهر خدیجة بالذات فالروایات فی هذا المورد عامة تشیر إلی صداق أزواج النبی صلی الله علیه و آله بشکل عام لیس بما قدمه النبی صلی الله علیه و آله لخدیجة علیهاالسلام, نعم خدیجة واحدة من أزواجه فینطبق علیها العنوان.

1- (1) رسالة المهر, الشیخ المفید, ص 36.

2- (2) الکافی, الکلینی, ج 5 ص 376.

3- (3) الحدائق الناضرة, البحرانی, ج 24 ص 432.

4- (4) الکافی, الکلینی, ج 5 ص 376.

من هو الذى عَيَّنَ مهر خديجة

لا يخفى مما تقدم أنّ أبا طالب هو الذى قد ضمن المهر فى ماله، كما هو صريح خطبته، ولكن خديجة رضوان الله تعالى عليها عادت فضمنت المهر فى مالها من دون أن تعين مقداره، فقال البعض: يا عجبا؟ المهر على النساء للرجال؟ فغضب أبو طالب، وقال: إذا كانوا مثل ابن أخى هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالى.

اللهم إلا أن يكون المراد: أنه صلى الله عليه و آله قد أمهرها بواسطة أبى طالب. أو قيده بعدد معين ليكن أسوة وسنة, كما يبدو ذلك من الروايات أنّ النبى صلى الله عليه و آله عيّن مقدار مهرها إلا أنّ أبا طالب قد ضمن المهر فى ماله كما هو صريح خطبته, كما ذكر ذلك الحلبى فى سيرته: «... وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتى عشرة أوقية ونشاً (أى وهو عشرون درهماً والأوقية أربعون درهماً أى وكانت الأواقى والنش من ذهب كما قال المحب الطبرى أى فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى»(1).

وقيل: كما عن ابن هشام: وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة(2). والبكرة: الأنثى من الإبل. ويؤيده: ما ذكره ابن عباس, والدولابى. أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله تزوج خديجة على اثنتى عشرة أوقية ذهباً، وهى يومئذ ابنة ثمان

1- (1) راجع: السيرة الحلبية, الحلبى ج 1 ص 226.

2- (2) راجع: السيرة النبوية, ابن هشام الحميرى, ج 1 ص 122.

وعشرين سنة(1).

وعن ابن عباس قال: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه و آله ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها اثنتى عشرة أوقية(2).

ولما رأت خديجة ذلک سخت نفسها بضمانها المهر كله من مالها, وهذا يعبر عن مدى الخلق الذى تتمتع به السيدة خديجة وخضوعها وتواضعها لمراسم السنة الإلهية.

أولادها

اشارة

خديجة هى المرأة الوحيدة التى رزق منها النبى صلى الله عليه و آله الأولاد دون غيرها من نسائه اللاتى يتجاوز عددهن أربع عشرة امرأة ماعدا مارية القبطية فقد ولدت له إبراهيم. وقد اختلف أهل النقل فى عدد أولاد خديجة, فقالوا إنّها (خديجة) ولدت له أربع بنات وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن: زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم، وأجمعوا أنها ولدت له ولداً سماه القاسم وبه كان يكنى.

واختلفوا أيضا هل ولدت له ذكراً غيره فقيل: ولدت ثلاثة عبد الله والطيب والطاهر, والخلاف فى ذلک كثير ومات القاسم بمكة صغيراً قبل أن يمشى وقيل: إنّه لم يعش إلا أياماً يسيرة ولم يكن له صلى الله عليه و آله من غير خديجة ولد غير إبراهيم ولدته مارية القبطية بالمدينة وبها توفى وهو رضيع وتوفى جميع أولاده فى حياته

1- (1) راجع: الذرية الطاهرة النبوية, محمد بن أحمد الدولابى, ص 52.

2- (2) راجع: الطبقات الكبرى, محمد بن سعد, ج 8 ص 17.

إلا فاطمة عليهاالسلام فإنها توفيت بعده(1).

وقول آخر: إنّه ولـد له من خديجـة القاسم وبه كان يكنى, والطاهر والطيب وفاطمـة وزينب ورقيـة وأم كلثوم, فأما القاسم والطيب فماتا بمكة صغيرين، ومات الطاهر كـذلك صـغيراً, وأما إبراهيم من ماريـة فولد بالمدينة بعد ثمان سـنين من مقدمه صـلى الله عليه و آله، وعاش سـنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ومات بالمدينة(2).

فاطمة البنت الوحيدة للنبى صلى الله عليه و آله

المتتبع للسـيرة النبوية بما فيها أفعال النبى صلى الله عليه و آله وأقواله يدرک بوضوح أنّه لم تكن فى البين ابنة للنبى صلى الله عليه و آله غير الزهراء عليهاالسـلام, وأما ما ذكر من أنّ رقية وزينب وأم كلثوم (قالوا أم كلثوم كنية لرقية) فهن بنات هالة بنت وهب أخت خديجة, كما روى مشايخنا من أهل العلم عن الأئمة من أهل البيت عليهم السـلام, وكما يقول أبو القاسم الكوفى المتوفى سنة 352 ه -: أنّه كان لخديجة بنت خويلـد زوجة رسول الله الكبرى أخت لأمها يقال لها: هالة قد تزوجها رجل من بنى مخزوم فولدت له بنتاً اسـمها هالة ثم خلف عليها بعد أبى هالة رجل من تميم يقال له أبو هند فأولدها ابناً كان يسـمى هندا بن أبى هند وابنتين فكانتا هاتان الابنتان منسوبتين إلى رسول الله صـلى الله عليه و آله زينب ورقيـة ومات أبو هنـد وقد بلغ ابنه مبلغ الرجال والابنتان طفلتان، فكان ذلک فى حدثان تزويج رسول الله بخديجة بنت خويلد، وكانت هالة أخت خديجة فقيرة وكانت خديجة من الأغنياء الموصوفين بكثرة المال.

1- (1) راجع: شرح أصول الكافى, محمد صالح المازندرانى, ج 7 ص 144.

2- (2) شرح الأخبار, القاضى النعمان المغربى, ج 3 ص 15.

فأما هند بن أبی هند فإنه لحق بقومه وعشیرته بالبادیة وبقیت الطفلتان عند أمهما هالة أخت خدیجة فضمت خدیجة أختها هالة مع الطفلتین إلیها وکفلتهن جمیعاً وکانت هالـة أخت خدیجـة هی الرسول بین خدیجة وبین رسول الله صـلی الله علیه و آله فی حال التزویج فلما تزوج رسول الله خدیجة ماتت هالة بعد ذلک بمدة یسـیرة وخلفت الطفلتین زینب ورقیة فی حجر رسول الله صـلی الله علیه و آله وحجر خدیجة فربیاهما، وکان من سنة العرب فی الجاهلیة من یربی یتیماً ینسب ذلک الیتیم إلیه ویدعی باسمه فلم یستحل لمن یربیها تزوجها لأنها کانت عنـد العرب بزعمهم بنت المربی لها ولـذلک کانوا یقولون زیـد بن محمـد صـلی الله علیه و آله ویدعون یا زینب بنت محمد ویا رقیة بنت محمد وهکذا نسبتا إلیه صلی الله علیه و آله.

ولم تزل العرب علی هذا الحال إلی أن جاء الإسـلام وربی بعض الصـحابة یتیمة بعد الهجرة وسأل رسول الله هل یجوز فی الإسلام تزویج الیتیمة ممن رباها فأنزل الله تعالی قوله:(وَ یَسْتَفْتُونَکَ فِی النِّساءِ قُلِ اللّهُ یُفْتِیکُمْ فِیهِنَّ وَ ما یُتْلی عَلَیْکُمْ فِی الْکِتابِ فِی یَتامَی النِّساءِ اللاّتِی لا تُؤْتُونَهُنَّ مـا کُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْکِحُوهُنَّ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الْوِلْـدانِ وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْیَتـامی بِالْقِسْطِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللّهَ کانَ بِهِ عَلِیماً)1 .

وقوله تعالی:(وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تُقْسِطُوا فِی الْیَتامی فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ... الخ)(1), وهکذا سقط عن المربی للأیتام

1- (2) النساء: 3.

انتسابهم إليه شـرعاً وبقى بعض العامة على بعض السـنن إلى اليوم. وكذلک نسب هند أخو زينب ورقية إلى خديجة ولو لـم يلتحق بعشـيرته فى البادیـة لنسب إلى رسول الله أيضاً. ومن هنا ظن العامـة لما غلب اسم خديجة على اسم هالة أختها أن أبا هند كان متزوجاً بخديجة قبل رسول الله صـلى الله عليه و آله، ومما يـدل على توهم العامة: أن هنداً بن أبى هند عمّر حتى لحق أيام الحسـين عليه السـلام فقتل بين يديه وهو شـيخ فقال الناس: قتل خال الحسـين هنـد بن أبى هنـد التميمى, فجهلوا أمه وعرفوا أباه. قلت: لو رباه رسول الله لجهلوا أمه وأباه. فكان رسول الله صـلى الله عليه و آله فى نسب ابنتى أبى هنـد على ما وصـفناه من سـنة العرب فى الجاهلية فدرج نسـبهما عند العامة كذلک، ثم نسب أخوهما أيضا هند إلى خديجة إذ كان اسم خديجة ثابتاً معروفاً وكان اسم أختها هالة خاملاً مجهولاً فظنوا لما غلب اسم خديجة على اسم هالـة أختها فى نسب ابنها أن أبا هنـد كان متزوجاً بخديجـة قبل رسول الله صـلى الله عليه و آله فانتسـبوا إليها لذلک وتحقق فى ظنهم بجهلهم بـأمهم أخت خديجـة, أنّ هنـداً كان قـد عمّر حتى لحق أيام الحسـين عليه السـلام فقتل بين يـديه وهو شـيخ فقال الناس قتل خال الحسـين عليه السـلام هند ابن أبى هند التميمى وأنه كان هند ابن خالة فاطمة أم الحسين عليهماالسلام على ما شرحناه فلم يميز العوام هذا القول وقدر السامع له أن هنداً كان ابن خديجة ولم يجعلوا أبا هند التميمى أنه والد هند لبلوغ هند قبل موت أبى هند وجهلوا اسم هالة أختها أم هند بن أبى هند التميمى(1), هذا أولاً.

وثانياً: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله زوجهن فى الجاهلية من رجال كافرين فزوج

1- (1) راجع: الاستغاثة, أبو القاسم الكوفى, ج 1 ص 69.

زینب من أبی العاص بن الربیع بن عبد العزی بن عبد شـمس بن مناف بن قصـی القرشی العبشمی، وزوج رقیة من عتبة بن أبی لهب، وزوج أم کلثوم من عتیبة بن أبی لهب علی القول به وبها. وعلیه لم یخل الحال فی ذلک من أن یکون الرسول صلی الله علیه و آله فی زمن الجاهلیة علی دین الجاهلیـة أو کـان مخالفـاً لهم بالإیمـان بـالله فـإن قـال قائل: إنه کان علی دین الجاهلیـة کفر بالله ورسوله لأن الله یقول فی کتابه الحکیم ما نصه فی شأن الإمامة من قصة إبراهیم علیه السلام:(قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ)1
.

ومن کان کافراً مشـرکاً کان أکبر الظالمین لقوله تعالی:(وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ یَعِظُهُ یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ)2 . ومن کان کـذلک کان عابداً للأصـنام ومن کان عابداً للأصـنام کان محالاً أن یتخذه الله عز ذکره نبیاً أو رسولاً أو إماماً بحکم هذا الوجه. ولو جاز علی الله أن یتخـذ کـافراً أو مشـرکاً نبیـاً أو رسولاً ـ أو إمامـاً لجـاز فی حکم النظر أن یرسل کفاراً مشـرکین، وکما أنه جاز أن ینقل الکافر إلی الإیمان والمؤمن إلی الکفر کذلک یجب فی حکم النظر أن یکون حال الأنبیاء والأوصـیاء لو جاز علی الله ذلک. فلما فسد ذلک فی حکمة الله جـل اسـمه کان محالاً علی رسول الله أن یزوج بناته من کافرین مشـرکین من غیر ضـرورة دعت إلی ذلک، وهو مخالف لهم فی دینهم عارف بکفرهم وإلحادهم, مع ارتفاع المانع وتوفر الموجب حیث إنّ أرض الحجاز لم

تعدم القلة من أهل الفطرة استمراراً للبقية المتبقية من حنيفية إبراهيم الخليل ولما فسد هذا بطل أن يَكُنَّ بناته.

وأما قول الله تعالى:(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ وَ بَناتِکَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِکَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ کانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً)1 , فالمقصود من بناته بنات المؤمنين بدليل أنه تعالى لم يذكر هنا بنات المؤمنين، وإلا فلو كان المقصود بناته حقيقة يكون المعنى أن الله أمر نساء النبى وبناته ونساء المؤمنين بالتستر وترک بناتهم, ولا قائل به من المسلمين(1).

وثالثاً: لم نجد من خلال سيرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أى رابطة عملية أو لفظية مع زينب ورقية وأم كلثوم, بخلاف ما صدر بحق ابنته فاطمة عليهاالسلام فهناک مئات الروايات, ولم نسمع يوما أنه صلى الله عليه و آله مرّ ببيت إحداهن, بخلاف ما كان يصنعه مع الزهراء عليهاالسلام, فقد ورد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة(2).

ورابعاً: لم يحتج عثمان فى حياته بأنه صهر النبى صلى الله عليه و آله أبدا، ولم يقل النبى صلى الله عليه و آله: عثمان صهرى؟ وقال رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: يا على أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلى ولم أوت أنا مثلى. وأوتيت صديقة مثل

1- (2) انظر: دفاع من وحى الشريعة ضمن دائرة السنة والشيعة, السيد حسين الرجا, ص 368.

2- (3) مجمع الزوائد, الهيثمى, ج 8 ص 42.

ابنتی، ولم أوت مثلها زوجة. وأوتیت الحسن والحسین من صلبک ولم أوت من صلبی مثلهما ولکنکم منی، وأنا منکم(1). وقال عمر لقد أوتی ابن أبی طالب ثلاث خصال لئن تکون لی واحدة منهن أحب إلی من حمر النعم: زوجه النبی صلی الله علیه و آله ابنته (وولدت له). وسد الأبواب إلا بابه (فی المسجد). وأعطاه الراية یوم خیبر. (أخرجه أحمد)(2). فهنا لم یقل الخلیفة عمر: زوجه إحدی بناته بل قال زوجه ابنته.

وخامساً: عندما سُئل عبد الله بن عمر... فما قولک فی علی وعثمان قال أما عثمان فکان الله عفا عنه, وأما أنتم فکرهتم أن تعفوا عنه, وأما علیٌّ فابن عم رسول الله صلی الله علیه وسلم وختنه, وأشار بیده فقال هذا بیته حیث ترون(3). اقتصر ابن عمر علی وصف علی علیه السلام بختن رسول الله صلی الله علیه و آله، ولو کان عثمان ختنه أیضاً لذکره. وأعتقد أنّ هذا یکفی فی إثبات أنّ الزهراء علیهاالسلام هی البنت الوحیدة للنبی صلی الله علیه و آله, مع أنّه هناک شواهد وأدلة أخری فی المقام.

سبب تصدی السیدة خدیجة للتجارة

اشارة

الطابع العام الذی عرفت به السیدة خدیجة الکبری قبل زواجها بالنبی صلی الله علیه و آله هو عملها بالتجارة, حتی أصبحت هذه المیزة الشائعة فی سیرتها, ولم یکن نشاط السیدة خدیجة بالتجارة بعیداً عن الطابع العام للحیاة الاقتصادیة والأعراف

1- (1) الغدیر, الأمینی, ج 2 ص 312.

2- (2) ینابیع المودة لذوی القربی, القندوزی, ج 2 ص 169.

3- (3) صحیح البخاری, البخاری, ج 5 ص 157.

الاجتماعية فى مكة, حيث كانت التجارة تمثل العمود الفقرى لمكة, ومنذ أن جمع قصى قريشاً أخذت تمارس مهنة التجارة وتستمد منها الحياة والعيش, ولذلك أجريت عدة معاهدات تجارية قام بها هاشم وإخوته تسمى الإيلاف, وذلك لتامين الطرق التجارية الداخلية والخارجية, وأصبح لقريش صلات مع العراق والشام واليمن والحبشة. وهذا إضافة إلى الانتعاش الاقتصادى الذى حظيت به قريش فقد أعطاها غطاءً واسعاً من التحضر والتعرف على الثقافات الأخرى, التى كانت تفد مع التجار الأجانب, فجعلتها تختلف عن مجتمعات الجزيرة العربية, وتبعاً لذلك تطورت مكانة المرأة نوعاً ما فى هذا المجتمع فى شتى المجالات فاشتركت النساء فى كثير من النشاطات لاسيما الاقتصادية منها, ولم تبقَ حكراً على الرجال, كما يؤكد ذلك ورود عدة روايات تذكر جملة من النساء كن يمارسن التجارة, من تلك النساء أسماء بنت مخربه (أم أبى جهل) كانت تعمل ببيع العطور التى يجلبها لها ابنها عبدالله ابن ربيعة من اليمن(1). وأيضا كانت قيلة (أم أنمار) تعمل بالتجارة. وهاله أخت خديجة. فهذا كان أمراً شائعاً فى المجتمع المكى. وليس ممارسة السيدة خديجة للتجارة أمراً خارجاً عن الإطار العرفى والقانونى.

إما السبب الذى جعل السيدة خديجة تباشر هذا العمل بعد وفاة خويلد هو لم يبق احد يرثه سوى خديجة ونوفل ابن خويلد فلم يكن احد يقوم بإدارة هذه الأموال, لذلك قامت بنفسها فى إدارة هذه الأموال وتنظيمها للتجارة, حيث كانت ترسل الأمناء الذين من ضمنهم ابن أخيها حكيم ابن حزام, وكان يعمل معها

1- (1) أنظر: الطبقات الكبرى, محمد بن سعد, ج 8 ص 301.

بشكل منظم ومستمر وأيضا غلامها ميسرة.

وكيف كـان فـإن السـيدة خديجـة وجـدت بين يـديها ثروة ومالاً ـ بحاجـة إلى عمـل وتنميـة وكـانت ذات نضوج عقلى وقوة فى شخصـيتها الاجتماعيـة قـد حفزها ودفعها لتحريک هذا المال فى المجال الاقتصادى السائد آنذاک. ولكنها لـم تباشـر العمل بنفسـها وإنما اسـتعانت ببعض الأشخاص للعمل ومزاولة البيع والشراء والخروج مع القوافل, وهى بمثابة المشرف العام على رؤوس هذه الأموال.

مصادر أموال السيدة خديجة

لم يبين لنا التاريخ الموارد الأولية التى من خلالها حصـلت السـيدة خديجة على رأس المال حتى أصبحت تضارب وتتاجر به وحازت كل هذه الثروة العظيمة التى تنافس كبار التجار من قريش, وعليه حاول بعض الباحثين أن يحدد مصدر أموال السـيدة خديجة بافتراض بعيد عن الواقع ولا ينسجم مع المنطق العام, حيث قال حصلت على المال من أزواجها قبل الرسول صلى الله عليه و آله قال: «وقد مات عن خديجة زوجان وترک كل منهما ثروة»(1). وهذا الكلام غير صحيح ولا يصمد أمام النقاش من عدة أمور نستعرضها على شكل نقاط:

أولاً: ثبت عندنا أنّ السـيدة خديجة لـم تكن متزوجة قبل النبى صـلى الله عليه و آله, فالافتراض منتفٍ أصـلاً, أو يكون بمثابة الموجبة بانتفاء الموضوع.

ثانياً: لو سلمنا جدلاً وقلنا لها زوج أو أزواج قبل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله, فهم

1- (1) نقلاً عن كتاب حياة خديجة من المهد الى الحد, ص 118.

كانوا فقراء لا يملكون أموالاً ولا هم من التجار, ولم توجد رواية أو نص تاريخى يؤيد ذلك, بل هناك شواهد تدل على عكس ذلك وتثبت أنهم كانوا فقراء, كما جاء عن ابن إسحاق فى أسراء بدر: (قال: وصيفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى أيدى أصحابه، فأخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم)(1). فلو كان عتيق المخزومى تاجر وذا مال لكانت ابنته هند بنت عتيق أرسلت فداءً لزوجها عندما أسر فى معركة بدر بدلاً من بقائه فى الأسر لأنه لا يمتلك فدية.

ثالثاً: إنّ القوانين الوراثية السائدة فى أغلب المجتمعات الجاهلية ما قبل الإسلام كانت لا تورث الزوجة حيث يأخذ أهل الزوج أو أقرباؤه كل المال الذى يتركه زوجها, بل كانوا لا يورثون النساء والأطفال, حتى نزلت آية المواريث لتعالج هذه المعضلة التى كان يعانيها المجتمع الجاهلى (لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً)2 ، وهذه الآية نزلت فى أوس بن مالك الأنصارى، وذلك أن أوس بن مالك الأنصارى توفى وترك امرأته أم كحة الأنصارية، وترك ابنتين إحداهن صفية، وترك ابنى عمه عرفطة وسويد ابنى الحارث، فلم يعطياها ولا ولداها شيئاً من الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار شيئاً، ويجعلون الميراث لذوى الإنسان منهم، فانطلقت أم كحة وبناتها إلى

1- (1) أنظر: البداية والنهاية ابن كثير, ج 3 ص 380.

النبی صـلی الله علیه وسـلم، فقالت: إنّ أباهن توفی، وإنّ سویـد بن الحارث وعرفطة منعاهن حقهن من المیراث، فأنزل الله عز وجل فی أم کحة وبناتها: قوله (لِلرِّجالِ نَصِیبٌ ...)(1). بل کان الحال أسوء من ذلک, وهو إذا کان للرجل زوجة ومات عنها فأولیاؤه أحق بها, کما ورد عن ابن عباس قال کانوا إذا مات الرجل کان أولیاؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وان شاؤوا زوجوها وان شاؤوا لم یزوجوها فهم أحق بها من أهلها, حتی نزلت هذه الآیة (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ کَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ)2 .

رابعا: لو فرضـنا أنّها ورثتهم فإنّ لأولادهم حصة فی هذا المال, ولا یحق لها أن تسـتأثر بالأموال دونهم, مع أنّه کیف نتصور أنّ النبی صـلی الله علیه و آله قبل هذه الأموال منها وعمل بها واستفاد منها فی نشر الدعوة الإسلامیة وهی فی الواقع بحکم المغصوبة.

فتحصل من کل ذلک أنّ السیدة خدیجة لم ترث من أزواجها الذین لا یعرف عنهم شیء سوی أسمائهم.

والصـحیح أو الـذی هو أقرب للواقع أنّ السـیدة خدیجة ورثت هذا المال من عائلتها حیث إنّ أباها خویلد واثنین من أخوتها قتلوا فی حرب الفجار, فنالت جزءاً من هذه الأموال مع بقیة الورثة, أو أهداها أبوها فی حیاته ثم عملت به فنمی, مع أنّ أباها کان من الشخصـیات المرموقة والمعروفة ومرجع الناس إلیه کما تقدم.

1- (1) أنظر: تفسیر مقاتل بن سلیمان, مقاتل بن سلیمان, ج 1 ص 216.

هل كان النبى أجيراً عند خديجة

اشارة

لا يسمح المقام الذى يتمتع به النبى صلى الله عليه و آله ولا العائلة الهاشمية حينذاک أن يكون النبى صلى الله عليه و آله أجيراً بهذه الصفة لأحد كيف ما كان لاسيما وهو مؤهل لأن يكون منقذاً للبشرية, بالإضافة إلى العرف الجاهلى الذى يستهجن أن يكون أجيراً عند امرأة كيف ما كانت ولذلک لم نلحظ من التاريخ أنّ أعداء الإسلام عابوا عليه بذلک. وعليه إنّه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشىء، ولا كان أجيراً لأحد قط ولعل إضافة لما تقدم فى عزة نفس النبى صلى الله عليه و آله وإبائها. وأيضاً فى تسديد الله تعالى له. وأيضا فى شرف أبى طالب وسؤدده، ما يبعد كثيراً أن يكون قد صدر شىء مما نسب إلى أبى طالب منه وعلى هذا، فقد يكون سفره صلى الله عليه و آله إلى الشام، لا لكونه كان أجيراً لخديجة، وإنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكاً لها.

وأمّا ما جاء فى رواية اليعقوبى عن عمار بن ياسر ما يفيد أن خبر سفر النبى بأموال خديجة إلى الشام وأن خديجة أحبته حيث حدثها غلامها ميسرة بأخباره، وأنها بعثت إلى النبى صلى الله عليه و آله فعرضت نفسها عليه... كان هذا قد شاع فى الناس يوم ذاک فكانوا يقولون: إنها استأجرته بشىء من أموالها، وكان عمار بن ياسر يقول: «أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد... إنّه ما كان مما يقول الناس أنّها استأجرته بشىء، ولا كان أجيراً لأحد قط... بل كنا نمشى يوماً بين الصفا والمروة إذ بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله جاءتنى هالة أختها فقالت: يا عمار ما لصاحبک حاجة فى خديجة؟ قلت: والله ما أدرى.

فرجعت فـذكرت ذلـک له، فقال: ارجع فواضـعها وعـدها يوماً نأتيها فيه، ففعلت. فلما كان ذلک اليوم أرسـلت إلى عمرو بن أسـد (عمها) وطرحت عليه حبراً ودهنت لحيته بدهن أصـفر... ثم جاء رسول الله صلى الله عليه و آله فى نفر من أعمامه، يتقدمهم أبو طالب، فخطب أبو طالب فقال: ثم روى الخطبة المذكورة ثم قال: فتزوجها وانصرف»(1).

بالإضافـة إلى ما جاء فى التفسـير المنسوب إلى الإمام الحسن العسـكرى عن أبيه الهادى عليه السـلام يصـرح بذلک فيقول: «إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجـة بنت خويلـد»(2). وكذلک ابن إسـحاق يقول: «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات مال وشـرف، تسـتأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشـىء تجعله لهم منه... الخ»(3). وعلى هذا فقد يكون سـفره صلى الله عليه و آله إلى الشام لا لكونه أجيراً لخديجة بل مضارباً بأموالها, أو شريكاً.

والعمل لا يتنافى مع العبقريات والنبوات، ولا يضع من شأن الإنسان مهما كان، بل هو من أفضل الطاعات إذا كان فى سبيل العيال والأولاد وخير النـاس، ولكن تأريـخ النبى صـلى الله عليه و آله منـذ ولادته إلى أن بلغ سن الرجولـة وأصـبح زوجـاً لخير امرأة عرفها تأريـخ المرأة، ومواقف جـده ثم عمه والمراحل التى عاش فيها معهما عزيزاً موفور الكرامـة، لا يفارقهما فى ليل أو نهار، يبـذلان فى سبيل راحته واطمئنانه الغالى ومن تتبع ذلک وأدرک أنهما منذ طفولته كانا يترقبان له مستقبلاً

1- (1) راجع: تاريخ اليعقوبى, ج 2 ص 20.

2- (2) راجع: تفسير الإمام العسكرى, ص 155.

3- (3) راجع: سيرة ابن إسحاق, محمد بن إسحاق بن يسار, ج 2 ص 59.

يهز العالم من أقصاه إلى أقصاه ويحدث تحولاً فى تأريخ البشرية، وأنهما كانا يخافان عليه دعاة الأديان وطواغيت العرب.

زيف القول

حاول أعداء الإسلام أو الحمقى والمغفلون تحريف مسار التاريخ واتهام نبى الإنسانية بما لا يعقل, فقد نقل الحلبى فى سيرته أنّ النبى صلى الله عليه و آله دخل على خديجة قبل التزويج فأخذت يده فضمته إلى صدرها(1). وأيضا من جملة ما نقله أنّ عمها كان يأنف من أنّ يزوجها من محمد يتيم أبى طالب فاحتالت عليه حتى سقته الخمر فزوجها فى حال سكره فلما أفاق وجد نفسه أمام الأمر الواقع, فلم يجد بداً من القبول(2) ؟.

والجواب

لا ريب إنّ هذا الهراء والافتراء يتناقض مع أخلاق الرسول الكريم وخديجة أم المؤمنين فهو ليس إلا كذباً موضوعاً لم يقصد به سوى الحط والوضع من كرامة النبى صلى الله عليه و آله وتنقيصه. إضافة إلى قدح مكانة السيدة خديجة.

وكما أنّ كون خديجة هى التى عرضت نفسها على النبى صلى الله عليه و آله، وأنه لم يكن هو الذى تقدم بطلب يدها، لخير جواب لما جاء فى كلمات بعض المستشرقين من اتهام باطل بأنه صلى الله عليه و آله إنّما تزوج خديجة طمعاً فى مالها, مع أنّه لم

1- (1) انظر: السيرة الحلبية, الحلبى, ج 1 ص 140.

2- (2) انظر: المصدر السابق, ص 138.

يبق هـذا التقدير والحب من خديجة للنبى صـلى الله عليه و آله من طرف واحد، بل قابله النبى صـلى الله عليه و آله بالحب والتقدير لها فى أيام حياتها وبعـد مماتها، حتى لقـد كان ذلک يثير حفيظة بعض أزواجه اللواتى ما رأين، ولا عشن مع خديجة، دليل واضح على بطلان هذا الزعم. بـل إن حياة النبى صـلى الله عليه و آله من بـدايتها إلى نهايتها لخير شاهـد على أنّه ما كان يقيم للمال أى وزن وقـد أنفقت خـديجة أموالها برغبتها فى سبيل الله والـدعوة إلى دينه وليس على النبى صـلى الله عليه و آله وملـذاته وهكـذا تفعل الحرة العاقلة اللبيبة كما فعلت خديجـة، فلا تغرها بهرجـة الدنيا وزخرفها وزبرجها، ولا تبحث عن المال والشـهرة، ولا عن اللذة والشـهوة, وإنمّا يكون نظرها إلى الأخلاق الفاضـلة والسـجايا الكريمة، لأنّها هى التى تسـخر المال والجاه والقوة فى سبيل الإنسانية, والماديون الذين ينظرون إلى كل شىء من ناحية المال والمادة فإنّ حياة النبى صلى الله عليه و آله من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنه صلى الله عليه و آله ما كان يقيم للمال وزناً.

تصيد بالماء العكر

زعم بعض المغرضـين أن خديجـة بمـا أنهـا كـانت ذات مـال تتـاجر به، كانت أحوج ما تكون إلى رجل أمين لإدارة أمور تجارتها، لـذلک انـدفعت للزواج بمحمد الصادق الأمين وكان النبى صـلى الله عليه و آله يعلم بوضـعها المالى وحياتها الكريمة قبل خطوبتها مع ما بينهما من تفاوت العمر.

إلا أن الذى نراه فى التأريخ هو أن دوافع خديجة للزواج بالصادق الأمين كانت دوافع معنوية لا مادية.

ص:204

والشاهـد لـذلک ما رواه ابن إسـحاق قال: وكانت خديجـة قـد ذكرت لورقـة بن نوفل بن أسـد (ابن عمها) ما ذكر لها غلامها ميسـرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه.

وكان ورقة نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس فقال لها: لئن كان هذا حقاً يا خديجة فان محمداً لنبى هذه الأمة، وقد عرفت انّه كائن لهـذه الأمّة نبى ينتظر وكانت أول امرأة آمنت به، لما يشـهد فى صـفحات التأريخ بأن زواجها كان منبعثاً من إيمانها بطهارة الصادق الأمين، وان حياة خديجة وما ورد بشأنها من الروايات والأحاديث لما يوضح هذا الموضوع بما لا يدع فيه أى شـبهة، على من أراد التفصيل فى ذلک أن يراجع الروايات الواردة فى فضلها وفضيلتها(1).

منزلة خديجة عند الله

حظيت خديجـة بنت خويلـد بمكانـة عاليـة ومقام رفيع عند الله, وهذا ما كشف عنه الوحى الإلهى الذى طالما يوصل لها التحية والسـلام المباشـر من قبل الله تعالى ويبشرها بما أعد لها من النعيم فى الآخرة. كما ورد بطرق مختلفة, أتى جبرائيل النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتک ومعها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتک فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب(2).

1- (1) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى, محمد هادى اليوسفى, ج 1 ص 331

2- (2) صحيح البخارى, ج 4 ص 231. والسيرة النبوية, ابن كثير, ج 2 ص 133.

وأيضا ورد عن زرارة وحمران بن أعين ومحمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال:

حدث أبو سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال: إنّ جبرئيل قال لى ليلة اسرى بى وحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لک من حاجة؟ فقال: حاجتى أن تقرأ على خديجة من الله ومنى السلام, وحدثنا عند ذلک انها قالت حين لقيها نبى الله عليه وآله السلام فقال لها الذى قال جبرئيل، قالت: ان الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام(1).

وعن وكيع، بإسناده، أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لخديجة:

يا خديجة، هذا جبرائيل يخبرنى أن الله عز وجل أرسله إليک بالسلام. فقالت خديجة: الله السلام ولله السلام وعلى جبرائيل السلام(2).

وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه و آله أربعة خطوط فى الأرض وقال: أتدرون ما هذا: قلنا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

أفضل نساء [أهل] الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(3)).

وغيرها من الروايات الكثيرة التى تشير إلى عظمة مكانة السيدة خديجة عند الله.

1- (1) شرح الأخبار, القاضى النعمانى المغربى, ج 3 ص 21. ينابيع المودة, القندوزى, ج 2 ص 48.
2- (2) تفسير العياشى, محمد بن مسعود العياشى, ج 2 ص 279.
3- (3) الخصال, الشيخ الصدوق, ص 205.

مكانتها عند النبى صلى الله عليه و آله

انفردت خديجة عن غيرها من زوجات النبى صـلى الله عليه و آله فى حبه لها, فقد نالت حب النبى صـلى الله عليه و آله ورضاه وشـغفه بها وما كان يقـدم عليها امرأة وبقيت هى زوجته الوحيدة وشـريكة حياته إلى أن وافاها الأجل, وهذا الحب وهذه العلاقة لم تنقطع عند الموت وإنّما ظلت فى ذاكرته وهواجسه صلى الله عليه و آله, وكان يؤنسه الحديث عنها حتى أنّهُ كان يقصد صويحباتها يحدثنه عنها وعن ذكرياتها, وكـان يكثر ذكرهـا، ويحسن الثناء عليها، ويقول: ما نفعنى مال كمالها، ورزقه الله الولـد منها، ولم يتزوج فى حياتها إكراماً منه لها. ذات يوم اجتمعن عنـده نساؤه, قالت أم سـلمة: فلما ذكرنا خديجـة بكى رسول الله صـلى الله عليه و آله ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدقتنى حين كذبنى الناس وآزرتنى على دين الله وأعانتنى عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرنى أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب [الزمرد] لا صخب فيه ولا نصب(1). ولكثرة ما كان يذكرها قالت له عائشة يوماً: تكثر من ذكر خديجة وقد أبدلک الله من هو خير منها؟ فقال صلى الله عليه و آله: كلا والله ما بدلت بها من هو خير منها، صدقتنى إذ كذبنى الناس، وآوتنى إذ طردنى الناس، وأسـعدتنى بمالها، ورزقنى الله الولد منها، ولـم ارزق من غيرها(2).

وعن عائشة قالت ما غرت على نساء النبى صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإنى لم أدركها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت فأغضبته يوماً فقلت خديجة فقال

1- (1) أنظر: شرح إحقاق الحق, السيد المرعشى, ج 4 ص 480. وبحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 43 ص 131.

2- (2) التعجب, أبو الفتح الكراجكى, ص 103.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّى قد رزقت حبها(1).

وجاء عن أنس قال كان النبى صـلى الله عليه وسـلم إذا أتى بالشـىء قال اذهبوا به إلى فلانـة فإنها كانت صديقـة لخديجة. وقالت عائشة كان رسول الله صـلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم واحتملتنى الغيرة إلى أن قلت قد عوضک الله من كبيرة السن قالت فرأيت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم غضب غضـباً سقط فى جلدى فقلت فى نفسى اللهم إنک إن أذهبت عنى غضب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم لم أذكرها بسوء ما بقيت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قد لقيت قال كيف قلت والله لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس ورزقت منى الولد إذ حرمتيه منى فغدا بها على وراح شهراً(2).

وأيضا عن عائشـة قالت كان النبى صـلى الله عليه وسـلم إذا ذكر خديجة اثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغرت يوما فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشـدق قـد أبدلک الله عز وجل بها خيراً منها قال ما أبدلنى الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواسـتنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله عز وجل ولـدها إذ حرمنى أولاد النساء(3). وغير ذلک من الروايات المسـتفيضة عند الفريقين, ويكفيها أنّه صـلى الله عليه و آله بعد ما فارقت الحياة ومن ثم أبى طالب سـمى ذلک العام عام الحزن؛ لأنه فقد عزيزين يصـعب فراقهما.

1- (1) صحيح مسلم, مسلم النيسابورى, ج 7 ص 134.

2- (2) المعجم الكبير, الطبرانى, ج 23 ص 12.

3- (3) انظر: مسند أحمد, أحمد بن حنبل, ج 6 ص 117.

سبق إسلامها

امتازت خديجة عن غيرها فی جملة من المواقف النبيلة التی أعطتها صبغة مميزة أشخصتها عن أقرانها ومعاصريها من جملتها أنّها أوّل النساء اللاتی أسلمت وآمنت وضحّت وقدمت الغالی والنفيس من أجل الدين والرسالة, وقد أظهرت ما كان يختلج صدرها من إيمانها بالنبی الأكرم وما رسمه من مستقبل زاهر فی إحياء البشرية ومجابهة الطاغوت الغاشم, مع أنّ دخول خديجة عليهاالسلام فی الإسلام يختلف عن غيره بكثير إذ أكثر أهل الإسلام كان إسلامهم بطيئاً ومتأخراً وربما يكون خجولاً عند بعض الأشخاص, بل متزلزلاً عند البعض الآخر, لذا نلاحظ البعض يدخل دائرة الإسلام بعد المشاورة أو بعد التأمل, أو هناک ثمة ضغوط سياسية أو اجتماعية, وغير ذلک, وأمّا خديجة عليهاالسلام فقد كان إسلامها سريعاً وفورياً ومنشأ هذه السرعة والفورية فی إسلامها أمران:

الأمر الأول: علمها ومعرفتها بالأديان والكتب وعلامات الرسل, فقد تعلمتها من عمها ورقة بن نوفل كما سوف يأتی فی الكلام حول علمها فهی علی اطلاع بأنّ محمداً صلی الله عليه و آله سوف يكون هو النبی لهذه الأمة, وكان هذا العلم يلازمه الإيمان بالله تعالی فإنها عليهاالسلام كانت علی ملة إبراهيم الخليل عليه السلام كما تقدمت الإشارة إليه.

الأمر الثانی: هو علمها بأنّ محمداً صلی الله عليه و آله أهل لذلک وليس أحد فی أمته من هو أفضل منه, وعليه فقد ذكروا أن خديجة أوّل من أسلم حيث بُعث صلی الله عليه و آله يوم الاثنين فأسلمت هی فی ذلک اليوم, وكانت له عوناً علی حاله كله تثبته علی أمره

وتصبره على ما يلقى من أذى قومه, وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يحبها ويقول: رزقت حبها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الهجرة بسبع سنين, وقيل بخمس, وقيل بأربع, وقيل بثلاث, وهو أصح وأشهر وتوفيت هى وأبو طالب فى سنة واحدة. قيل: كان بينهما ثلاث أيام, وسيأتى الكلام عن تاريخ وفاتها إنْ شاء الله.

النبى يعلّم خديجة الوضوء والصلاة

بعد ما علّم جبرائيل الوضوء والصلاة للنبى صلى الله عليه و آله من قبل الله, فجاء رسول الله إلى خديجة فتوضأ لها ليريها كيفية الطهور للصلاة كما أراه جبرائيل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه و آله ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه و آله كما صلى به جبرائيل فصلت بصلاته(1). وكانت هذه الصلاة فى نفس يوم الوحى كما ورد. صلى النبى صلى الله عليه و آله يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين. وأيضا ورد عن عفيف قال: جئت فى الجاهلية حتى قدمت مكة لابتاع لأهلى من ثيابها وعطرها وآويت إلى العباس وكان رجلاً تاجراً فأنا جالس عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فى السماء إذ اقبل فتى شاب حتى رمى ببصره إلى السماء فنظر ثم اقبل إلى الكعبة فدنا منها فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء شاب فصنع كما صنع ثم قام إلى جنبه فما مكث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فأهوى الشاب فركع فركعا فرفع فرفعا ثم أهوى إلى الأرض ساجداً (فسجدا) فقلت: يا عباس أمر والله عظيم؟ فقال: أمر والله عظيم؟ هل تدرى من هذا؟ قلت: لا, قال: هذا محمد ابن عبد الله هذا ابن أخى, هل تدرى من هذه المرأة؟ قلت: لا, قال: هذه خديجة

1- (1) السيرة النبوية, ابن هشام الحميرى, ج 1 ص 161.

بنت خويلد زوجة ابن أخي. هل تدرى من هذا (الفتى؟) هذا على بن أبى طالب ابن أخي, هذا الذى ترى ذكر أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين فهو عليه ولا والله (ما) أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة(1).

خديجة وعاء لأم الأئمة

تقدم أنّ أم المعصوم لا بد وأن تحتوى على مؤهلات وصفات كمالية عالية بحيث تؤهلها لأن تكون وعاءً للمعصوم وتنال هذا الوسام الرفيع, ولذلك دخل هذا الوعاء تحت الرعاية والتربية الإلهية وكان ذلك بمثابة الاصطفاء وأم المعصوم قد اصطفيت من قبل الله عزّ وجل. والسيدة فاطمة الزهراء عليهاالسلام لم تكن حجة ومعصومة فحسب وإنما بحسب الأحاديث الثابتة أنها حجة على الحجج الطاهرة والبراهين الزاهرة, كما أكده المعصوم عليه السلام بعبارة صريحة لا تقبل التأويل: نحن حجج الله على الخلق وفاطمة حجة الله علينا(2). من هنا أخذت فاطمة عليهاالسلام تعرّف علياً عن نفسها وعن عظم مكانتها وذلك من باب إياك أعنى واسمعى يا جارة, وإلا أهل البيت عليهم السلام أعلم وأعرف ببعضهم البعض, فراحت مخاطبة علياً عليه السلام قائلة: اعلم يا أبا الحسن إنّ الله تعالى خلق نورى وكان يسبح الله جل جلاله ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت فلما دخل أبى صلى الله عليه و آله إلى الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وادرْها فى لهواتك ففعل

1- (1) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام, محمد بن سليمان الكوفى, ج 1 ص 271

2- (2) انظر: الانتصار, العاملى, ج 7 ص 193.

فأودعنی الله تعالی صلب أبی صلی الله علیه و آله ثم أودعنی خدیجة بنت خویلد علیهاالسلام فوضعتنی وأنا من ذلک النور, اعلم ما کان وما یکون وما لم یکن, یا أبا الحسن المؤمن ینظر بنور الله تعالی(1).

وعن مجاهد، عن ابن عباس، قال: لما تزوجت خدیجة بنت خویلد، رسول الله صلی الله علیه و آله هجرها نسوان مکة، وکن لا یکلمنها، ولا یدخلن علیها، فلما حملت بالزهراء علیهاالسلام کانت إذا خرج رسول الله صلی الله علیه و آله من منزلها تکلمها فاطمة الزهراء فی بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدثها وتؤانسها، فدخل رسول الله صلی الله علیه و آله فقال لها: یا خدیجة من تکلمین؟ قالت: یا رسول الله، إن الجنین الذی أنا حامل به إذا أنا خلوت به فی منزلی کلمنی، وحدثنی من ظلمة الأحشاء, فتبسم رسول الله صلی الله علیه و آله ثم قال: یا خدیجة، هذا أخی جبرائیل علیه السلام یخبرنی أنها ابنتی، وأنها النسمة الطاهرة المطهرة، وأن الله تعالی أمرنی أن أسمیها (فاطمة) وسیجعل الله تعالی من ذریتها أئمة یهتدی بهم المؤمنون. ففرحت خدیجة بذلک(2). ولم نسمع بمثل هذا من أبناء السیدة خدیجة غیر السیدة الزهراء علیهاالسلام أنه کلمها وحدثها وهو فی بطنها فهذه الکرامة من اختصاص السیدة الزهراء علیها السلام بما لها من مکانة عند الله.

نساء الجنة یحضرن خدیجة فی مخاضها

نالت خدیجة مرة أخری وسام الشرف والافتخار حیث حضرن خیر نساء أهل الجنة لخدمتها والقیام بشأنها وهذا الأعجاز لا یتأتی لکل أحد إلا من خصه

1- (1) عیون المعجزات, حسین بن عبد الوهاب, ص 47.

2- (2) الثاقب فی المناقب, ابن حمزة الطوسی, ص 285.

الله عز وجل بالفضل والاصطفاء. فلما أن حضر وقت ولادتها أرسلت إلى نسوان مكة أن يتفضلن ويحضرن ولادتى ليلين منى ما تلى النساء من النساء، فأرسلن إليها: يا خديجة، أنت عصيتنا ولم تقبلى منا قولنا، وتزوجت فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء إليک، ولا نلى منک ما تلى النساء من النساء فاغتمت خديجة رضى الله عنها غماً (شديداً)، فبينما هى كذلک إذ دخل عليها أربع نسوة كأنهن من نسوة قريش، فقالت إحداهن: يا خديجة، لا تحزنى فأنا آسية بنت مزاحم، وهذه صفية بنت شعيب وفى رواية أخرى: كلثم بنت عمران أخت موسى عليه السلام وهذه سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذه مريم بنت عمران، وقد بعثنا الله تعالى إليک لنلى منک ما تلى النساء من النساء, وجلسن حولها، ووضعت الزهراء فاطمة عليهاالسلام طاهرة ومطهرة(1).

خديجة مربية لأمير المؤمنين عليه السلام

ومن فضائلها والخصوصيات التى اختصت بها عليهاالسلام إنها ربت أمير المؤمنين عليه السلام ويكفيها هذا الفخر العظيم حيث احتضنت مولى الموحدين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

وبعبارة أخرى، يحتاج أمير المؤمنين إلى حاضنة خاصة طاهرة ومطهرة من كل شائبة ولا يحمل هذا الظرف الطاهر ولا يحتضنه أى محضن مهما كانت خصوصياته, بل لا بد أن يكون قابلاً لهذا المعصوم أرواحنا فداه فكما أن لفاطمة بنت أسد سلام الله عليها الفخر والفضل حيث ربت الرسول صلى الله عليه و آله

1- (1) الثاقب فى المناقب, ابن حمزة الطوسى, ص 286.

فکـذلک لخدیجة علیهاالسـلام هذا الفضل العظیم ویدل علی هذا ما ذکره ابن شـهر آشوب حیث قال: کان أبو طالب وفاطمة بنت أسد ربیا النبی صـلی الله علیه و آله وخدیجـة لعلی صـلوات الله علیه، ونقل تاریـخ الطبری, والبلاذری, وتفسـیر الثعلبی, والواحدی, وشـرف النبی, وأربعین الخوارزمی, ودرجات محفوظ البستی, ومغازی محمد بن إسـحاق, ومعرفة أبی یوسف النسوی, أنه قال مجاهد:... وأخذ رسول الله علیاً وهو ابن ست سـنین کسـنه یوم أخذه أبو طالب فربته خدیجة والمصـطفی إلی أن جاء الإسلام، فکان مع النبی إلی أن مضی وبقی علیٌّ بعده(1).

وعن الباعونی الشافعی: أنّ أبا طالب قال لزوجته فاطمة بنت أسد أم علی رضی الله عنهم یا فاطمة ما لی لا أری علیاً یحضر طعامنا؟ فقالت: إن خدیجـة بنت خویلد قد تألفته(2), فقـال أبو طـالب: والله لا أحضـر طعاماً لا یحضـره علی, فأرسـلت أمه جعفراً أخاه وقالت: جئنی به وحـدثته بما قال أبوه. قال: فانطلق جعفر إلی خدیجة فأعلمها وأخذ علیاً...(3). هذا وغیره یدل علی مدی حبها لأمیر المؤمنین علیه السلام وإیمانها به.

وذکر ابن حجر العسـقلانی قوله: وعلی نشأ فی بیت خدیجـة وهو صـغیر, ثم تزوج بنتها بعـدها فظهر رجوع أهل البیت النبوی إلی خـدیجة دون غیرها...(4).

1- (1) راجع: حلیة الأبرار, السید هاشم البحرانی, ج 2 ص 28.

2- (2) وتألف فلان فلانا إذا داراه وآنسه وقاربه وواصله حتی یستمیله إلیه. تاج العروس, ج 6 ص 45.

3- (3) راجع: جواهر المطالب فی مناقب علی بن أبی طالب علیهما السلام, ج 1 ص 39.

4- (4) فتح الباری بشرح البخاری, ج 7 ص 109.

خديجة عند احتضارها

ذكر بعض المؤرخين حال السيدة خديجة عند احتضارها: وقد بدأت وطأة المرض تشتد على أم المؤمنين خديجة عليهاالسلام ولكن لم يكن يشغلها ما تعانيه من مرض بل كان كل شغلها رسول الله صلى الله عليه و آله وأصحابه والدعوة إلى الله تعالى وتصبر على آلامها فتبتسم له حين يدخل عليها وهموم الدعوة إلى الله ترسم آثارها على وجه الحبيب فتشد خديجة رضى الله عنها عليه بيدها الحانية وتمسح عنه بهذا التأييد كل آثار التعب أو النصب.

ولبث الرسول صلى الله عليه و آله إلى جوار زوجته المريضة يرعاها ويؤنس وحشتها ويقف إلى جوارها لحظة الاحتضار هذه السيدة التى كان لها قصب السبق فى الإسلام وهى التى احتضنت الدعوة الوليدة بقلبها المؤمن المستيقن وهى التى واست النبى صلى الله عليه و آله والمسلمين بمالها وجاهها وفوق هذا كله صاحبة البشرى الواعدة بأنّ لها بيتاً فى الجنة.

لقد أتى الخاصة من الأهل والأقارب يهرولون ليهونوا على أم المؤمنين مرضها بإحاطتها بالرعاية والود وإسباغ مشاعر المحبة عليها واقترب منها المصطفى صلى الله عليه و آله أكثر أنه يرى وداعها قد حان وأنها الآن أوشكت على الفراق, ثم أسلمت الروح لبارئها وهى بين يدى رسول الله صلى الله عليه و آله وقام رسول الله صلى الله عليه و آله وهو حزين يحاول مغالبة عبراته, وهو يقول لقد ماتت خديجة. ثم سرى الخبر فى أرجاء مكة يحمل نبأ وفاة أعظم امرأة عرفها الناس فى تلك الأرض الطاهرة ووقع الخبر على أهل مكة كالصاعقة لقد ماتت خديجة بنت خويلد الطاهرة سيدة نساء قريش.

ص:215

وروی عن الصـدوق قال: عنـدما دخل رسول الله صـلی الله علیه و آله علی خدیجة وهی لما بها. فقال لها بالرغم منا ما نری بک یا خدیجة فـإذا قـدمت علی ضـرائرک فأقرئیهن السـلام. فقالت: من هن یا رسول الله؟ قال: مریم بنت عمران وکلثم أخت موسـی وآسـیة امرأة فرعون. قالت: بالرفاء یا رسول الله(1).

وروی لما مرضت مرضـها الذی توفیت دخل علیها رسول الله صـلی الله علیه و آله فقال لها: بالکره منی ما أری منک یا خدیجة وقد یجعل الله فی الکره خیراً کثیراً أما علمت أن الله قـد زوجنی معک فی الجنة مریم بنت عمران وکلثم أخت موسـی وآسـیة امرأة فرعون. قالت: وقد فعل الله ذلک یا رسول الله؟ قال: نعم. قالت: بالرفاء والبنین(2).

وذکر الطبرسی رحمه الله قریباً من روایة الصدوق والبحار إلا أنه قال: دخل رسول الله صلی الله علیه و آله علی خدیجة وهی تجود بنفسها، فقال: أکره ما نزل بک یا خدیجة... الخ(3).

وعن الخوارزمی: دخل رسول الله صـلی الله علیه و آله علی خدیجـة بنت خویلد امرأته وهی بالموت فشـکت إلیه شدة کرب الموت فبکی رسول الله صلی الله علیه و آله ودعا لها ثم قال: أقدمی خیر مقدم یا خدیجة أنت خیر امَّهات المؤمنین وأفضلهن وسیدة نساء العالمین(4).

1- (1) من لا یحضره الفقیه, ج 1 ص 84.

2- (2) مجمع الزوائد, الهیثمی, ج 9 ص 218. وبحار الأنوار, ج 19 ص 20.

3- (3) مجمع البیان, ج 10 ص 806.

4- (4) مناقب علی بن أبی طالب علیهما السلام, ص 334.

من وصايا خديجة للنبى صلى الله عليه و آله

لما اشـتد مرضـها قالت يا رسول الله اسـمع وصاياى, أولاً فأنى قاصـرة فى حقک فأعفنى يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه و آله: حاشا وكلا ما رأيت منک تقصيراً فقد بلغت جهدک وتعبت فى دارى غاية التعب وبذلت بذلک أموالک وصرفت فى سبيل الله جميع مالک قالت: يا رسول الله الوصـية الثانية أوصيک بهذه وأشارت إلى فاطمة فإنها غريبة من بعدى فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، ولا يلطمن خدها ولا يصحن فى وجهها ولا يرينها مكروهاً.

الوصـية الثالثة: فإنى أقولها لابنتى فاطمة وهى تقول لک فإنى مسـتحية منک يا رسول الله فقام النبى صـلى الله عليه و آله وخرج من الحجرة فـدعت بفاطمـة وقـالت يا حبيبتى وقرة عينى قولى لأبيک إن أمى تقول أنا خائفـة من القبر أريـد منک رداءک الـذى تلبسه حين نزول الوحى تكفننى فيه فخرجت فاطمـة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجـة فقام النبى صـلى الله عليه و آله وسـلم الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسرت به سروراً عظيماً(1).

اهتمامها بفاطمة عليهاالسلام

كان يشـغل خديجة أمران النبى صلى الله عليه و آله وما يعانيه من مصاعب وآلام, ومستقبل ابنتها فاطمة عليهاالسلام حتى وهى فى أحلک الظروف ومعاناتها سكرات الموت, فقد ورد عن أسماء بنت عميس قالت: لما حضرت وفاة خديجة عليهاالسلام

1- (1) شجرة طوبى, الشيخ محمد مهدى الحائرى, ج 2 ص 234.

فبكت. فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبى صلى الله عليه و آله مبشرة على لسانه بالجنة, فقالت: ما لهذا بكيت ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تقضى إليها بسرها وتستعين لها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبى وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ.

فقلت: يا سيدتى لک علىَّ عهد الله إن بقيت إلى ذلک الوقت أن أقوم مقامک فى هذا الأمر. فلما كانت تلک الليلة وجاء النبى صلى الله عليه و آله وأمر النساء فخرجن وبقيت فلما أراد الخروج رأى سوادى فقال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس. فقال: ألم آمرک أن تخرجى؟ فقلت: بلى يا رسول الله فداک أبى وأمى وما قصدت خلافک ولكنى أعطيت خديجة عهداً وحدثته. فبكى فقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله. فدعا لى(1).

النبى يجهزها

لما توفت خديجة أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله فى تجهيزها وغسلها وحنطها, فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرئيل وقال يا رسول الله إن الله يقرئک السلام ويخصک بالتحية والإكرام ويقول لک يا محمد إنّ كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها فى سبيلنا فجاء جبرئيل بكفن وقال يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهدى الله إليها فكفنها رسول الله بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرئيل ثانياً فكان لها كفنان كفن من الله وكفن من رسول الله صلى الله عليه و آله.

1- (1) بحار الأنوار, المجلسى, ج 43 ص 138.

وفاتها ومحل دفنها

اختلف المحدثون والمؤرخون فی تحدید زمن وفاة خدیجة علیهاالسلام وسنذکر جملة من أقوالهم فی ذلک:

ذکر ابن آشوب وغیره: أن أبا طالب رضی الله عنه توفی فی آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله صلی الله علیه و آله ثم توفیت خدیجة رضی الله عنها بعد أبی طالب بثلاثة أیام فسمی رسول الله ذلک العام عام الحزن. فقال: ما زالت قریش قاعدة عنی حتی مات أبو طالب(1).

وذکروا عن ابن إسحاق قال: ثم إن خدیجة بنت خویلد وأبا طالب ماتا فی عام واحد فتتابعت علی رسول الله المصائب بموتهما. وکانت خدیجة وزیرة صدق علی الإسلام کان یسکن إلیها.

وذکر الواقدی أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنین وأنهما توفیا فی ذلک العام وتوفیت خدیجة قبل أبی طالب بخمسة وثلاثین یوماً(2).

وعن قطب الدین الراوندی رحمه الله قال: وخرج النبی صلی الله علیه و آله ورهطه من الشعب وخالطوا الناس ومات أبو طالب بعد ذلک بشهرین وکانت خدیجة رضی الله عنها بعد ذلک وورد علی رسول الله صلی الله علیه و آله أمران عظیمان وجزع جزعاً شدیداً(3).

وعن ابن المغازلی حدثنا سعید عن قتادة قال: توفیت خدیجة قبل الهجرة

1- (1) انظر: مناقب آل أبی طالب, ابن شهر آشوب, ج 1 ص 150.

2- (2) أنظر: تاریخ الإسلام, الذهبی, ج 1 ص 236. والسیرة النبویة, ج 1 ص 268.

3- (3) قصص الأنبیاء, القطب الراوندی, ص 337.

بثلاث سنين.

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فقال: ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بخمس سنين ويقال: بأربع سنين ماتت قبل تزويج النبى صلى الله عليه و آله عائشة.

وقال ابن سعيد يرفعه إلى حكيم بن حزام قال: توفيت خديجة فى شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهى ابنة خمس وستين فخرجنا بها من منزلها حتى دفنها بالحجون(1), فنزل رسول الله صلى الله عليه و آله فى حفرتها ولم يكن يومئذ صلاة على الجنازة. قيل: ومتى ذلک يا أبا خالد. قال: قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها(2).

وذكر الشيخ النمازى رحمه الله أنها توفيت فى سنة عشر من النبوة فى عشر من شهر رمضان بعد أبى طالب بثلاثة أيام.

وعن الفقيه الكبير العلامة المامقانى: أنّ أهل السير ذكروا أن خديجة توفت فى شهر رمضان قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع وقيل بثلاث واستصوب فى أسد الغابة الأخير، فقال: ودفنت بالحجون(3).

وعن المسعودى: وكان وفاتها فى شوال بعد مبعثه بثلاث سنين. وعن أبى الفرج الأصفهانى: وتوفيت خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين. ودفنت بالحجون. وعن اليعقوبى: وتوفيت خديجة بنت خويلد فى شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين(4).

1- (1) الحجون: قيل جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.
2- (2) أنظر: الأنوار الساطعة, الشيخ غالب السيلاوى, ص 383.
3- (3) تنقيح المقال, ج 3 ص 77.
4- (4) تاريخ اليعقوبى, ج 2 ص 35.

التبرک بقبر خديجة ومنزلها

يمكن أن يستدل على عظمة الإنسان ومدى مكانته عند الله بانشداد الناس إلى زيارة قبره وسمو مقام ضريحه, وتأكيد السماء على زيارة قبره والتبرک به فكان لخديجة جزء من هذهِ الحبوة الإلهية. لذلک عده (ضريحها ومنزلها) بعضهم من المستحبات حيث قال: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله صلى الله عليه و آله، ومنزل خديجة، وزيارة قبر خديجة، والغار الذى بجبل حراء، الذى كان رسول الله صلى الله عليه و آله فى ابتداء الوحى يتعبد به، والغار الذى بجبل ثور، استتر فيه رسول الله صلى الله عليه و آله عن المشركين(1).

استحباب زيارة قبر خديجة الكبرى

ذكر صاحب الأنوار الساطعة فى زيارة السيدة خديجة عليهاالسلام جملة من الأقوال(2).

قال: ذكر سيدنا الأستاذ فقيه أهل بيت العصمة والطهارة السيد التقى القمى دام ظله ما يلى: لا ريب ولا إشكال فى أن الإتيان بهذه الزيارة من القريب أو البعيد رجاء لا ـ يكون فيه خلاف فإن باب الرجاء واسع ويمكن الاستدلال على رجحان زيارتها بأنها مقربة عند الله وعند الرسول وعند أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام ولكن مقتضى الاحتياط التام أن لا يقصد بزيارتها الورود, بل يقصد الرجاء والله العالم بحقائق الأشياء.

1- (1) أنظر: مستند الشيعة, المحقق النراقى, ج 3 ص 95.

2- (2) الأنوار الساطعة, الشيخ غالب السيلاوى, ص 404.

وعن فقيه أهل بيت العصمة والطهارة الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء رحمه الله ويستحب زيارة خديجة بالحجون وعن الفقيه المقدس السيد عبد الأعلى السبزوارى رحمه الله: ويستحب زيارة قبر خديجة عليهاالسلام المعروفة بالمعلى لأنها أم المسلمين ومن بر الأولاد بأمهم زيارة قبرها بعد ارتحالها مع أنها بذلت نهاية جهدها فى خدمة سيد المرسلين وما لها فى نشر دعوة خاتم النبيين صلى الله عليه و آله إلى غير ذلك من مفاخرها التى ملأت كتب الفريقين فمن شك بعد ذلك فى رجحان زيارتها فهو عاق لأمه. وذكر الزيارة المرحوم السيد محسن الأمين رحمه الله: السلام عليك يا أم المؤمنين السلام عليك يا زوجة سيد المرسلين السلام عليك يا أم فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليك يا أول المؤمنات السلام عليك يا من أنفقت مالها فى نصرة سيد الأنبياء ونصرته ما استطاعت ودافعت عنه الأعداء السلام عليك يا من سلم عليها جبرئيل وبلغها السلام من الله الجليل فهنيئاً لك بما أولاك الله من فضل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وذكرها فى المنتخب الحسنى(1).

وذكر السيد البطحائى زيارة أخرى: السلام عليك يا زوجة رسول الله سيد المرسلين السلام عليك يا زوجة نبى الله خاتم النبيين السلام عليك يا أم فاطمة الزهراء السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة أجمعين السلام عليك يا أم الأئمة الطاهرين السلام عليك يا أم المؤمنين السلام عليك يا أم المؤمنات السلام عليك يا خالصة المخلصات السلام عليك يا سيدة الحرم وملكة البطحاء السلام عليك يا أول من صدقت برسول الله من النساء السلام عليك يا من وفت بالعبودية حق الوفاء

1- (1) المنتخب الحسنى, ص 505.

وأسـلمت نفسـها وأنفقت مالها لسيد الأنبياء السلام عليک يا قرينة حبيب إله السماء المزوجة بخلاصة الأصفياء يابنة إبراهيم الخليل السلام عليک يا حافظة دين الله السـلام عليک يا ناصـرة رسول الله السـلام عليک يا من تولى دفنها رسول الله واستودعها إلى رحمة الله أشهد أنک حبيبة الله وخيرة الله وأن الله جعلک فى مسـتقر رحمته فى قصـر من الياقوت والعقيان فى أعلى منازل الجنان صـلى الله عليک ورحمة الله وبركاته(1).

أزواج النبى صلى الله عليه و آله

تزوج رسول الله صـلى الله عليه و آله بخمس عشـرة امرأة، ودخـل بثلاـث عشـرة منهن، وقبض عن تسع، فأما اللتان لم يـدخل بهما فعمرة والسـنى، وأما الثلاث عشرة اللاتى دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سورة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية، ثم أم عبـد الله عائشة بنت أبى بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت أبى سـفيان، ثم ميمونـة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويريـة بنت الحارث، ثم صـفية بنت حيى بن أخطب. والتى وهبت نفسـها للنبى صلى الله عليه و آله خولة بنت حكيم السلمى، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية، وريحانة الخندفية والتسع اللاتى قبض عنهن: عائشـة، وحفصـة، وأم سـلمة، وزينب بنت جحش، وميمونـة بنت الحارث، وأم حبيبـة بنت أبى سـفيان، وصـفية بنت حيى بن أخطب، وجويرية بنت الحارث، وسورة بنت زمعة(2).

1- (1) آداب الحرمين, ص 55.

2- (2) انظر: الخصال, الشيخ الصدوق, ص 419.

الفصل الرابع: فاطمة بنت محمد أم الحسنين عليهم السلام

اشارة

ص:225

مولدها المبارک

ولدت السیدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب علیهم السلام بمکة یوم الجمعة, العشرین من جمادی الآخرة, بعد المبعث بسنتین, کما قاله الشیخ الطوسی فی مصباح المتهجد. وفی روایة أخری سنة خمس من المبعث. وقال الکلینی وابن شهر آشوب: ولدت بعد المبعث بخمس سنین وهو المروی عن الباقر علیه السلام وهو المشهور بین أصحابنا(1).

وفی کشف الغمة عن ابن الخشاب فی موالید ووفیات أهل البیت علیهم السلام مرفوعاً عن الباقر علیه السلام أنّها ولدت بعد النبوة بخمس سنین وقریش تبنی البیت, ولعله اشتباه من الراوی أو سهو من النساخ فبناء الکعبة کان قبل النبوة لا بعدها ویدل علیه ما فی مقاتل الطالبیین أنها ولدت قبل النبوة وقریش تبنی الکعبة(2).

وروی الحاکم فی المستدرک وابن عبد البر فی الاستیعاب أنها ولدت سنة إحدی وأربعین من مولد النبی صلی الله علیه و آله. وفی الإصابة ولدت قبل البعثة بقلیل(3).

1- (1) راجع: أعیان الشیعة, السید محسن الأمین, ج 1 ص 347.

2- (2) راجع: موسوعة التاریخ الإسلامی, محمد هادی الیوسفی, ج 1 ص 347.

3- (3) راجع: المستدرک, ج 3 ص 162. الإصابة, ابن حجر, ج 8 ص 236.

وأكثر علماء أهل السنة تروى أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين(1). ولعله وقع اشتباه من الرواة بين كلمتى قبل وبعد, حيث إنّ الذى يستفاد من الأخبار والأحاديث التى وصلت إلينا من طريق أهل البيت عليهم السلام ولا يقبل الشک والتغيير أنّ فاطمة عليهاالسلام ولدت على فطرة الإسلام وبعد نزول الوحى على أبيها صلى الله عليه و آله خلافا لما فى بعض كتب العامة، فإليک بعض النصوص فى ذلک:

قال على بن الحسين عليهماالسلام فى حديث طويل: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه و آله من خديجة عليهاالسلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليهاالسلام(2).

وعن حبيب السجستانى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه و آله بخمس سنين، وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً(3).

وعن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ولدت فاطمة فى جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبى صلى الله عليه و آله، فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً(4).

وبالجملة كان زمان ولادتها عليهاالسلام أيام حكومة يزد جرد بن شهريار من ملوک العجم، الذى كان دار سلطنته قلعة الجولاء قرب بغداد دار السلام، وكان أمر سلطنته مستقرا فى تلک الأيام إلى أن انهزم فى عصر عمر من جيش الإسلام، ففر

1- (1) راجع: الإصابة, ابن حجر, ج 6 ص 12.

2- (2) مختصر بصائر الدرجات, الحسن بن سليمان الچلبى, ص 131.

3- (3) بحار الأنوار, المجلسى, ج 43 ص 9.

4- (4) دلائل الإمامة, ابن جرير الطبرى الشيعى, ص 79.

بعـد أن انهزم إلى بلاـد العجم، وقتـل بقلعـة هرات أو بنيشـابور أو غير ذلک على اختلاف الأقوال والروايات، كما سـيأتى, وكان آخر ملوک العجم.

وأمّا يوم ولادتها, فقد ولدت عليهاالسـلام يوم الجمعة وقت الصـبح أى فى آخر جزء من ليلة الجمعة، وهى الساعة الأخيرة التى هى أفضـل الساعات ومحل اسـتجابة الدعوات، ووجه اختصاص تولدها بتلک الساعة لعله أن تكون مستورة عن عيون الأجانب، وبها عليهاالسلام فسر قوله تعالى:(إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَـةٍ مُبارَكَـةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ * فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)1 , أى إنا أنزلنا نور فاطمة عليهاالسـلام فى ليلة الجمعة، أو أنزلنا نور الإمامـة فى فاطمة الزهراء عليهاالسـلام، وهى الليلة المباركة، فالضـمير فى (إِنّا أَنْزَلْناهُ) راجع إلى نور الإمامة، ولذا ورد اسـتحباب قراءة سورة القدر عشر مرات فى تلک الساعة من كل ليلة خصوصاً ليلة الجمعة، وليلة القدر أيضاً هى تلک الليلة المباركة(1).

كيفية ولادة فاطمة عليهاالسلام

هناک جملة من الإرهاصات والكرامات التى حصـلت متزامنة فى حال ولادتها وحال حملها فى بطن أمها وهذا يعبر عن السر الإلهى الذى شاءت حكمته تعالى أن يخرجه إلى المعمورة ويزهر به المشـرق والمغرب, فقد ورد عن المفضل ابن عمر، قال: قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليهاالسلام؟ فقال:

1- (2) راجع: اللمعة البيضاء, التبريزى الأنصارى, ص 227.

نعم، إن خديجة عليهاالسلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه و آله هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة عليهاالسلام لذلک، وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه و آله, فلما حملت بفاطمة كانت عليهاالسلام تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلک من رسول الله صلى الله عليه و آله، فدخل رسول الله صلى الله عليه و آله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة عليهاالسلام، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذى فى بطنى يحدثنى ويؤنسنى, قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرنى أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله تبارک وتعالى سيجعل نسلى منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه فى أرضه بعد انقضاء وحيه فلم تزل خديجة عليهاالسلام على ذلک إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبنى هاشم: أن تعالين لتلين منى ما تلى النساء من النساء، فأرسلن إليها أنت عصيتنا، ولم تقبلى قولنا، وتزوجت محمداً يتيم أبى طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجئ ولا نلى من أمرک شيئاً فاغتمت خديجة عليهاالسلام لذلک، فبينا هى كذلک، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنهن من نساء بنى هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزنى يا خديجة فإنا رسل ربک إليک، ونحن أخواتک، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهى رفيقتک فى الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليک لنلى منک ما تلى النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليهاالسلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق فى شرق الأرض ولا

غربها موضع إلا أشـرق فيه ذلک النور ودخل عشـر من الحور العين کل واحدة منهن معها طست من الجنة، وإبريق من الجنة، وفی الإبريق ماء من الکوثر، فتناولتها المرأة التی کانت بين يديها، فغسلتها بماء الکوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسک والعنبر، فلفتها بواحدة، وقنعتها بالثانية، ثم اسـتنطقتها فنطقت فاطمة عليهاالسـلام بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبی رسول الله سـيد الأنبياء، وأن بعلی سـيد الأوصـياء، وولدی سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن، وسمت کل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضـحکن إليها، وتباشـرت الحور العين، وبشـر أهل السـماء بعضـهم بعضاً بولادة فاطمة عليهاالسـلام، وحدث فی السماء نور زاهر لم تره الملائکـة قبل ذلک، وقالت النسوة: خـذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زکية ميمونة، بورک فيها وفی نسـلها، فتناولتها فرحة مستبشـرة، وألقمتها ثديها، فدر عليها، فکانت فاطمة عليهاالسلام تنمی فی اليوم کما ينمی الصبی فی الشهر، وتنمی فی الشهر کما ينمی الصبی فی السنة(1).

انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة

من جملـة الکرامات التی امتازت بها فاطمـة الزهراء عليهاالسـلام, أنها حظيت برعاية إلهية فی بدء تکوينها المادی (إضافة إلی ما حظيت به من کرامات عالية روحية), وهذا ما لم يحدُث عند أحد لا من الأنبياء ولا من الأولياء والصالحين فلم نسمع رعاية إلهية بهذا المستوی مطلقاً إلا فی بدء تکوين نطفة الزهراء عليهاالسلام, حيث اهتمت بها يد الغيب اهتماماً لا نظير له فی الوجود, وإليک ملخص ما روی فی

1- (1) الأمالی, الشيخ الصدوق, ص 690. الخرائج والجرائح, قطب الدين الراوندی, ج 2 ص 525.

ذلک من الفریقین: منها ما ورد, أنّ الله تعالی أمر رسول الله صـلی الله علیه و آله أن یعتزل أربعین صـباحاً یصوم النهار ویقوم اللیل، وبعث إلی خدیجـة بعمار بن یاسـر قال: قل لها: یا خدیجـة لا تظنی أن انقطاعی عنک هجرة ولا قلی، ولکن ربی أمرنی بـذلک، فلا تظنی إلا خیراً، وإنی فی منزل فاطمـة بنت أسد. فلما تم میقات ربه الأربعین هبط الأمین جبرئیل وقال: العلی الأعلی یقرئک السـلام وهو یأمرک أن تتأهب لتحیته وتحفته, فهبط میکائیل ومعه طبق مغطی بمندیل من سندس الجنة، فأکل النبی صلی الله علیه و آله منه شبعاً، وشرب من الماء، ومد یـده للغسل، فأفاض الماء علیه جبرئیل وغسل یده میکائیل وتمندله إسـرافیل، ثم قام النبی صـلی الله علیه و آله لیصـلی فأقبل علیه جبرئیل وقال: الصـلاة محرمة علیک فی وقتک، حتی تأتی خدیجة فتواقعها، فإن الله عز وجل آلا علی نفسه أن یخلق من صلبک فی هذه اللیلة ذریة طیبة, فوثب رسول الله إلی منزل خدیجة وواقعها. قالت خدیجة: والذی سـمک السـماء وأنبع الماء، ما تباعد عنی النبی صلی الله علیه و آله حتی حسست بثقل فاطمة فی بطنی(1).

وفی روایـة عن ابن عباس قال: کان النبی صـلی الله علیه و آله یکثر القبل لفاطمة، فقالت له عائشة: إنک تکثر تقبیل فاطمة؟ فقال صـلی الله علیه و آله: إنّ جبرئیل لیلة اسـری بی أدخلنی الجنة فاطعمنی من جمیع ثمارها فصار ماء فی صـلبی فحملت خدیجة بفاطمة، فإذا اشـتقت لتلک الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جمیع تلک الثمار التی أکلتها(2).

وأخرج الطبرانی, والهیثمی عن عائشة قالت کنت أری رسول الله صلی الله

1- (1) مستدرک سفینة البحار, الشیخ علی النمازی الشاهرودی, ج 8 ص 241.

2- (2) ذخائر العقبی, أحمد بن عبدالله الطبری, ص 36.

علیه وسلم یقبل فاطمة فقلت یا رسول الله إنی أراک تفعل شیئاً ما کنت أراک تفعله من قبل, فقال لی: یا حمیراء أنه لما کان لیلة أسری بی إلی السماء أدخلت الجنة فوقفت علی شجرة من شجر الجنة لم أرَ فی الجنة شجرة هی أحسن منها حسنا ولا أبیض منها ورقة ولا أطیب منها ثمرة, فتناولت ثمرة من ثمرتها فأکلتها فصارت نطفة فی صلبی فلما هبطت الأرض واقعت خدیجة فحملت بفاطمة, فإذا أنا اشتقت إلی رائحة الجنة شممت ریح فاطمة, یا حمیراء إن فاطمة لیست کنساء الآدمیین ولا تعتل کما یعتلون(1).

وروی الحاکم فی المستدرک بسنده عن سعد بن مالک قال: قال صلی الله علیه و آله: أتانی جبرائیل علیه السلام بسفرجلة من الجنة فأکلتها لیلة أسری بی فعلقت خدیجة بفاطمة فکنت إذا اشتقت إلی رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة(2).

من الأدلة علی عصمة فاطمة علیهاالسلام

هناک جملة من الآیات والروایات الدالة وبصراحة علی عصمة فاطمة الزهراء علیهاالسلام, ولا نرید أن نسهب فی الموضوع هنا, فقد تفردت لذلک کثیر من الکتب المختصة, (فقد وجدت فی مکتبة واحدة ما یقارب 360 کتاباً تتحدث عن حیاة وخصائص السیدة الزهراء علیهاالسلام) علی الرغم من أنّ عصمتها واضحة من خلال الآیات والروایات إلی کل ملتفت ونقی السریرة, قد نذکر بعض الأدلة علی عصمتها وعلی نحو الإجمال, فنقول:

1- (1) المعجم الکبیر, الطبرانی, ج 22 ص 401. مجمع الزوائد, الهیثمی, ج 9 ص 202.

2- (2) المستدرک, النیسابوری, ج 3 ص 156

أمّا الكتاب

قوله تعـالى:(إِنَّما يُرِيـدُ اللّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)1 , تشـمل هذه الآية المباركة فيمن تشـمل السيدة فاطمة الزهراء عليهاالسـلام بل هى محور الآيـة وأساسـها؛ لأنها نزلت فى أهل بيت النبوة, فإن المتأمل فى كلمات الآية يتوصل إلى أن المخاطبين بهذه الآية مطهرون معصومون من كل رجس، وفاطمة أحدهم. كما جاء عن ابن عساكر فى إسـناده إلى عمرة بنت أفعى، قالت: سـمعت أم سلمـة تقول: نزلت هـذه الآيـة فى بيتى:(إِنَّمـا يُرِيـدُ اللّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) . وفى البيت سـبعة: جبريل وميكائيل ورسول الله صـلى الله عليه وسـلم وعلى وفاطمـة والحسن والحسـين، قالت: وأنا على باب البيت، فقلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: إنّک على خير، إنک من أزواج النبى صـلى الله عليه وسلم، وما قال: إنک من أهل البيت(1). وغيرها من الروايات الكثيرة عند الفريقين والتى تعيّن شأن النزول بأهل البيت عليهم السلام المعصومين دون غيرهم.

تقريب الاستدلال بالآية

أولاً: تصدير الآية بأقوى أدوات الحصر على الإطلاق (إنما) مما يعنى أن هذا الأمر خاص بجماعة معينة محددة لا يتعداهم إلى غيرهم.

1- (2) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام, ابن عساكر ص 100.

وثانياً: يأتى البحث عن الإرادة الإلهية التى ذكرت فى الآية (إنما يريد الله) وهى إرادة المولى عز وجل:(إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)1 , فلا يمكن بحال تخلف إرادته تعالى.

وثالثاً: إنّ الرجس فى اللغة معناه كل ما يلوث الإنسان سواء كان لوثاً ظاهرياً أو باطنياً والذى يعبر عنه بالإثم, والرجس فى هذه الآية هو اللوث والنجاسة الباطنية لأن الابتعاد والطهارة من النجاسة الظاهرية وظيفة دينية عامة لجميع المسلمين وذلک لشمول التكليف للجميع ولا ـ خصوص لأهل البيت حتى ترد هذه الآية بحصرها وتوكيدها لنفى الرجس الظاهرى عن أهل البيت, إنما جاءت لبيان فضيلة لهم خصهم بها الله سبحانه وتعالى وأخبر عنها فى كتابه العزيز.

رابعاً: يأتى التأكيد (وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) وعليه أن الآية تجعلنا لا نشک لحظة واحدة فى عصمة أهل البيت الذين ذكروا فيها ومنهم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله فهى معصومة مطهرة من كل رجس ظاهرٍ وباطنٍ.

أما السنة

نذكر بعضاً مما قاله المصطفى فى ابنته ربيبة الوحى فاطمة الزهراء عليهاالسلام, مع أنّ النبى صلى الله عليه و آله حينما يتحدث عن فاطمة فإنه لا ينطلق من عاطفة الأبوة وهو القائل فيه البارئ عز وجل:(وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى. إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى)2 ,

وهو صلى الله عليه و آله فى عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطى أحداً أكثر مما يستحقه تبعاً لعاطفته وحتى لو كان ذلک الإنسان ابنته, لأننا لو قلنا بذلک لطعنا فى نبوته وكلماته القدسية التى نؤمن جميعاً بأنها حجة لا زيغ فيها ولا هوى. قال عبد الله بن عمرو ابن العاص: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله فنهتنى قريش وقالوا تكتب كل شىء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلک لرسول الله فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق(1). إن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لا ينطق إلا صدقاً وعدلاً فلنضع كلماته عن الزهراء نصب أعيننا ونحن نقرأ عن موقفها بعد وفاته ولا نترک للشيطان سبيلاً يتسلل منه؛ لأنّ فهمنا لهذه النقطة يمهد لنا السبيل لفهم موقف فاطمة عليهاالسلام.

أولاً: قول الرسول صلى الله عليه و آله لها, كما أخرجه الحاكم فى مستدركه, والطبرانى, والهيثمى وغيرهم:

«إن الله يغضب لغضبک ويرضى لرضاک»(2)، وهذا القول الصادر من الرسول صلى الله عليه و آله بحق فاطمة عليهاالسلام تلازمه العصمة؛ لأنه من المستحيل أن يناط غضب الزهراء بغضب الله سبحانه وهى غير معصومة؛ لأن القول بعدم عصمتها يعنى إمكانية وقوعها فى الزلل والخطأ وربما تغضب لغير الحق، والرسول صلى الله عليه و آله فى كلامه إطلاق بلا تقييد يعنى أن الزهراء عليهاالسلام لن تغضب إلا لشىء يغضب الله بسببه, ومن كان غضبه يعنى غضب الله فهو لن يفعل إلا الحق

1- (1) مسند أحمد, الإمام أحمد بن حنبل, ج 2 ص 192. سنن الدارمى, ج 1 ص 125.

2- (2) المستدرک, الحاكم النيسابورى, ج 3 ص 203. مجمع الزوائد, الهيثمى, ج 9 ص 203.

ولن يخطئ أو يميل إلى الباطل طرفة عين, وبالتالى يمثل غضبه الحق، وفى الواقع إن هذا الحديث يدلل أنّ للزهراء مكانة عظيمة لا تدرک بالعقول ولبيان هذه العظمة التى من تجلياتها عصمتها عليهاالسلام.

ثانياً: قول النبى صلى الله عليه و آله, (كما هو مسلم عند الفريقين من دون خلاف):

(فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها)(1), إنّ أذى الرسول يعنى أذى الرسالة، أذى القيم والمبادئ؛ لأنه صلى الله عليه و آله هو محور الحق بل هو الحق الذى يجب أن نقتبس منه، إن الرسول صلى الله عليه و آله يمثل الإرادة الإلهية وهو قطب الرحى الذى به يعرف الموحد من المشرک والكافر إذ أن الله تعالى غيب لا ندركه بعقولنا وأوهامنا والارتباط به تعالى يكون عبر رسله وأنبيائه؛ لذلک كان مبعث الأنبياء وتولية الأوصياء, ولذلک لا يكون الرسول إلا معصوماً حتى لا يفترق عن الحق لحظة واحدة وبالتالى تكون كل تصرفاته حق وأذيته تعنى التحدى للرسالة والإرادة الإلهية ولبيان هذه الحقيقة يقول القرآن الكريم:(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً)2 , وقد تقدم أن الرسول صلى الله عليه و آله عندما يتحدث عن شخص أو يدلى بأى حديث فمن منطلق مسؤوليته تجاه الرسالة وبالتالى يستبعد أى مجاملات أو تقريظ بلا حق، والمتفق عليه أن قول الرسول صلى الله عليه و آله وفعله وتقريره حجة, يعنى شرع نتعبد به قربة إلى الله تعالى. وقد قال صلى الله عليه و آله: فاطمة بضعة منى يعنى هى جزء لا يتجزأ من كيانه وروحه

1- (1) صحيح البخارى, ج 6 ص 158. صحيح مسلم, ج 7 ص 141. وغيرهم.

وهو كما قلنا محور الحق والشرع وبالتالى تكون الزهراء عليهاالسلام أيضا كذلك، لذلك جعل الرسول أذاها أذاه وكل شىء يريبها يريبه, وهو المعصوم الذى لا تميل به الأهواء ومن يكون جزءاً منه يؤذيه ما يؤذيه فهو أيضاً مؤهل أن يكون معصوماً. وبهذا التقريب نرى عصمة الزهراء عليهاالسلام جلية وواضحة فقط تحتاج إلى وجدان صاف سليم وعقل مستنير.

مكانة الزهراء عليهاالسلام

لم ترقَ امرأة إلى ما وصلت إليه فاطمة الزهراء عليهاالسلام ونالت السيادة المطلقة على النساء من لسان الوحى وتوسمت بهذا الشرف العظيم الذى يكشف عن الأبعاد والمؤهلات التى تتمتع بها فاطمة عليهاالسلام, فلقب سيدة نساء العالمين ليس نابعاً عن عفوية وإنما هو يحكى عن واقع فعلى تعيشه الزهراء عليهاالسلام, حيث طوت مراحل من الكمال يعجز لغيرها الوصول إليها. فقد أورد الترمذى فى سننه كتاب المناقب عن حذيفة قال: أتيت النبى صلى الله عليه و آله فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتى فقال: من هذا حذيفة؟ قلت: نعم قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ ثم قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علىَّ ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة(1).

وعن عائشة أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه و آله قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذى ولدها. وقالت: وكانت إذا دخلت

1- (1) سنن الترمذى, ج 5 ص 326.

على النبى قـام إليهـا وقبلهـا وأجلسـها فى مجلسه وكـان النبى صـلى الله عليه و آله إذا دخـل عليها قامت من مجلسـها فقبلته وأجلسـته فى مجلسها(1).

وكان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا سافر جعل آخر عهده فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة. وقد جاء فى مسند أحمد بن حنبل أنّه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم(2).

وأيضا عن النبى صـلى الله عليه و آله قال: إذا كان يوم القيامـة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسـكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق(3).

لا يخفى أنّ هذا غيض من فيض مع كثرة أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله حول بيان عظمة فاطمة عليهاالسلام مقارنة بما ورد فى حقها, ولكن هـذا القـدر يكفى للعاقل حتى يتعرف على الزهراء عليهاالسـلام التى أحاطتها العنايـة الإلهية من قبل ميلادها وكانت فى جنة الخلد هنالک كان المبدأ, كما فى رواية الإسـراء والجنة هى النهاية كما علمت وما بين الانطلاقة الأولى من الجنة والمنتهى, لذلک أوصى الرسول بفاطمة كثيراً وحذر الناس من غضبها الذى يعنى غضبه, بل وغضب الله عز وجل كما مرّ, وشهدت لها عائشة بأنها أصدق الناس لهجة فهى الصديقة, كما أن العناية الإلهية

1- (1) راجع: السنن الكبرى, النسائى, ج 5 ص 96.

2- (2) مسند أحمد, ج 2 ص 442.

3- (3) المستدرک, الحاكم النيسابورى ج 3 ص 153

كان لها الدور المباشـر فی صـياغة شخصية الزهراء فصار أذاها أذی الرسول الذی يعنی أذی الرسالة, ونزل الوحی يجلجل بالتطهير كما جاء فی آيـة التطهير, ورعايـة الرسول صـلی الله عليه و آله الخاصـة بفاطمة حتی أنّه عند قدومها يقبلها ويجلسـها فی مجلسه, وكذا العكس, ولا يخرج صـلی الله عليه و آله فی سـفر إلا أن يكون آخر من يودعه ابنته وأول من يسـلم عليه عندما يعود هی سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنـة، إذاً كل فعل تفعله هو فعل أهل الجنة وكل موقف تقفه هو موقف أهل الجنة ولو نظرت فی الجنة لرأيت نعيماً وملكاً كبيراً ويأتی المنادی غضوا أبصاركم حتی تجوز فاطمة وتسـتقر فی مقام محمود منه انطلقت وإليه تعود هذه المسـيرة المقدسة، وهذه العظمة ألا تدفعنا للوقوف إجلالاً وإعظاماً لشخصـية قدستها السماء وبارک مسيرتها أبوها صاحب رسالة السماء؟ لقد جسدت الزهراء تعاليم الوحی وسارت وفق هداه فكانت من الجنة إلی الجنة.

أكابر قريش تخطب فاطمة عليهاالسلام

لما كانت فاطمـة عليهاالسـلام ذات الشـرف والمجد الرفيع والصـفات الباهرة وهی تعيش فی كنف أبيها صـلی الله عليه و آله، فقد اتجهت الأنظار إليها، وكل يحدث نفسه بأن يحظی بالاقتران بها، لينال شـرف الانتساب إلی أشـرف خلق الله ويحظی بأفضل امرأة علی مرّ التاريخ، فهی أعظم امرأة فی شـرفها ودينها وكمالها ومكانتها عنـد بارئها. لذلک تقدم لخطبتها مجموعة من أكابر قريش ومن جملتهم الخليفة الأول والثانی كما روی الهيثمی فی الحـديث المسـند, عن أنس بن مالک قال: جاء أبو بكر إلی النبی صـلی الله عليه و آله فقعـد بين يديه فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتی،

وقـدمی فی الإسـلام، وأنی، وأنی... قـال: (ومـا ذاک؟). قـال: تزوجنی فاطمـة. قـال فسـکت عنه. فرجـع أبو بکر إلی عمر فقـال له: هلکت وأهلکت. فقال: وما ذاک؟ قال: خطبت فاطمة إلی النبی صـلی الله علیه و آله فأعرض عنی، فقال: مکانک حتی آتی النبی صـلی الله علیه و آله فأطلب مثل الذی طلبت، فأتی عمر النبی صلی الله علیه و آله فقعد بین یدیه فقال: یا رسول الله قد علمت مناصحتی وقدمی فی الإسلام وأنی، وأنی... قال: (وما ذاک؟). قال: تزوجنی فاطمة. فسکت عنه.

فرجع عمر إلی أبی بکر فقـال: إنه ینتظر أمر الله فیها. قم بنا إلی علی حتی نأمره یطلب مثل الـذی طلبنا. قال علی: فأتیانی وأنا أعالـج فسـیلاً لی، فقالا: إنا جئناک من عند ابن عمک بخطبة، قال: فنبهانی لأمر، فقمت أجر ردائی حتی أتیت النبی صلی الله علیه و آله فقعدت بین یدیه، فقلت: یـا رسول الله، قـد علمت قـدمی فی الإسـلام ومناصـحتی، وأنی، وأنی... قـال: (ومـا ذاک؟). قال: تزوجنی فاطمـة. قال: (وعنـدک شیء؟). قلت: فرسـی وبدنی. قال: (أما فرسک فلا بد لک منه، وأما بدنک فبعها) قال: فبعتها بأربع مئة وثمانین، فجئت بها حتی وضعتها فی حجره، فقبض منها قبضة، فقال: (أی بلال، ابعث ابتع بها طیباً). وأمرهم أن یجهزوها(1).

وذکر الیعقوبی فی تاریخه, تقـدم جماعة من المهاجرین لخطبتها إلی رسول الله صـلی الله علیه و آله, فلما زوّجها علیاً قالوا فی ذلک, فقال رسول الله: ما أنا زوّجته ولکن الله زوّجه(2).

1- (1) أنظر: موارد الظمآن, الهیثمی, ج 7 ص 170.

2- (2) أنظر: تاریخ الیعقوبی, ج 2 ص 41.

الله يأمر بتزويج فاطمة من على عليهما السلام

كما أنّ لفاطمة عليهاالسلام النصيب الأوفر من الرعاية الإلهية قبل مجيئها الى عالم الدنيا حسب ما أخبر عنه لسان الغيب مراراً وتكراراً, كذلک عاشت عليهاالسلام فى الدنيا برعاية الله وأمره ولم يترک موقف من مواقفها إلا وكللته القدرة بالقدسية والإحسان, ومن جملة ذلک زواجها الميمون من على بن أبى طالب عليه السلام, حيث تم أولاً بأمر من الله وقد أقيم لها حفل زفاف فى السماء قبل الأرض, كما تشير إلى ذلک عدة روايات, منها: عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أتانى ملک فقال يا محمد إنّ الله تعالى يقرأ عليک السلام ويقول لک إنّى قد زوجت فاطمة ابنتک من على بن أبى طالب فى الملأ الأعلى فزوجها منه فى الأرض(1).

وعن أنس رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه و آله فى المسجد إذ قال لعلىٍّ هذا جبريل يخبرنى أن الله زوجک فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملک وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثرى عليهم الدر والياقوت فنثرت عليهم الدر والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن فى أطباق الدر والياقوت فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة(2).

وأيضاً عن عمر بن الخطاب، أنه ذكر علياً، فقال صهر رسول الله صلى الله عليه و آله نزل جبرائيل على النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد، إن الله يأمرک أن تزوج فاطمة من على(3).

1- (1) ذخائر العقبى, أحمد بن عبد الله الطبرى, ص 31.

2- (2) ذخائر العقبى, أحمد بن عبد الله الطبرى, ص 31.

3- (3) شرح الأخبار, القاضى النعمان المغربى, ج 3 - ص 28.

وقد ذكر اليعقوبى, فى ذكر زواج فاطمة عليهاالسلام, قال: زوجها رسول الله من علىٍّ بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله، فلما زوجها علياً قالوا فى ذلک، فقال رسول الله: ما أنا زوجته ولكن الله زوجه(1).

وما جاء عن الخوارزمى: أنبأنى أبو العلا الحافظ الهمدانى، ثم عنعنه إلى الحسين بن على عليهماالسلام، قال بينا رسول الله صلى الله عليه و آله فى بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملک له عشرون رأساً، فى كل رأس ألف لسان، يسبح الله ويقدسه بلغة لا تشبه الأخرى، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبى صلى الله عليه و آله أنه جبرائيل، فقال يا جبرئيل؟ لم تأتنى فى مثل هذه الصورة قط قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثنى الله إليک لتزوج النور من النور فقال النبى صلى الله عليه و آله من ممن؟ قال: ابنتک فاطمة من على بن أبى طالب، فزوج النبى صلى الله عليه و آله فاطمة من على بشهادة جبرائيل وميكائيل وصرصائيل, قال: فنظر النبى صلى الله عليه و آله فإذا بين كتفى صرصائيل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على بن أبى طالب مقيم الحجة، فقال النبى صلى الله عليه و آله: يا صرصائيل منذ كم هذا كتب بين كتفيک؟ قال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثنى عشر ألف سنة(2). فهذه الروايات وغيرها لا يفهم منها إلا اعتناء السماء والغيب بهذه الشخصية العظيمة التى لا مثيل لها من النساء على وجه البسيطة, وأنّها سر من أسرار الله تعالى.

1- (1) تاريخ اليعقوبى, ج 2 ص 41.

2- (2) أنظر: المناقب, الموفق الخوارزمى, ص 340. وأيضا: الخصال, الشيخ الصدوق, ص 64, وغيرهم.

فلسفة زواج فاطمة من على عليهماالسلام

هـذا الموقف النبوى المرتبط بالمشـيئة الإلهيـة والوحى يلفت أنظارنا، ويلقى على أسـماعنا هـذه الأسـئلة المهمة لماذا لم يرخص لفاطمة عليهاالسـلام بتزويـج نفسـها؟ ولِمَ لم يرخص لرسول الله صـلى الله عليه و آله (وهو أبوهـا ونبيهـا) بتزويجهـا، والنـبى أولى بـالمؤمنين من أنفسـهم؟ ولماذا خص زواج فاطمـة عليهاالسـلام بهـذه الميزة؟ فلابد وأن يكون هناك سـر وحكمة إلهية، ترتبط بهذا الزواج. إن هذا السـر والاعـداد لم يكن غامضاً، وهـذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم وقرابة، فالأمر ذو علاقة بحياة هذه الأمة، والعلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة والإمامة، فشاء الله أن يزوج خيرة نساء هذه الأمة بخيرة رجالها.

فقد روى عن ابن عمير التميمى قال: دخلت مع عمى على عائشة فسـئلت أى الناس كان أحب إلى رسول الله صـلى الله عليه و آله؟ قالت: فاطمة، قيل من الرجال؟ قالت: زوجها(1).

وروى عن أبى الحمراء أنه قال: رابطت فى المدينة سـبعة أشـهر، فكان النبى صلى الله عليه و آله يأتى علياً وفاطمة كل غداة، فيقول: الصلاة، الصلاة،(إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)2 .

وروى عن ابن عباس قال: كنت أنا والعباس جالسـين عند رسول الله صلى الله عليه و آله، إذ دخل على بن أبى طالب فسلم، فرد عليه رسول الله السلام، وقام إليه وعانقه

1- (1) أنظر: اسُد الغابة, ابن الأثير, ج 5 ص 522.

وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحب هـذا؟ فقال رسول الله صـلى الله عليه و آله يا عم والله، لله أشـد حباً له منى، إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه، وجعل ذريتى فى صلب هذا(1). وعلى عليه السلام هو الذى قال رسول الله صلى الله عليه و آله أما ترضـى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى(2). وفاطمة عليهاالسلام هى التى قال لها النبى صلى الله عليه و آله: أما ترضـين أن تكونى سـيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة(3). هذه الرويات وغيرها تشـير إلى أنّ هناک تكافؤاً بين على وفاطمة عليهماالسلام له أبعاد غيبية رسمت فيها المشيئة, وألقيت الحجة.

مقدار مهر فاطمة

لم نجد هناک اختلافاً فى أنّ مهر فاطمة عليهاالسـلام هو غير درع على عليه السـلام, وإنما وقع الخلاف فى أنّه هل باعه واتى بثمنه, أو رهنه ثم فكه من حصـته من الغنائم, أو أرجعه له النبى صـلى الله عليه و آله بعد ذلک. كما يشـهد للأول, هو عندما جاء على عليه السلام خاطباً فاطمة سأله النبى صلى الله عليه و آله قائلا: فهل عندک شىء تستحلها به؟ فقلت: لا. فقال: ما فعلت بالدرع التى سلحتكها؟ فقلت: عندى، ولكنها - والذى نفسى بيده - لحطمية ما ثمنها إلا أربعمائة درهم. قال: قد زوجتكها (بها) فابعث بها. فكان ذلک صداق فاطمة(4).

1- (1) أنظر: ذخائر العقبى, أحمد بن عبد الله الطبرى, ص 67.

2- (2) أنظر: مسند أحمد, أحمد بن حنبل, ج 1 ص 170.

3- (3) أنظر: كنز العمال, المتقى الهندى, ج 12 ص 110.

4- (4) أنظر: كنز العمال, المتقى الهندى, ج 13 ص 683.

وقيل: باع درعه إلى عثمان بن عفان بأربع مئة وثمانين درهماً، فصبها بين يدى النبى صلى الله عليه و آله.

ويشهد للثانى ما رواه الدولابى بسنده عن الحارث (الهمدانى) عن على عليه السلام قال: خطب أبو بكر وعمر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فأبى رسول الله عليهما. فقال عمر: أنت لها يا على. فقلت: ما لى من شىء إلا درعى أرهنها. ولعله عليه السلام أرهنها وثيقة لاستدانته مبلغ المهر وأدى دينه بعد بدر من سهمه من غنائمها(1).

ويشهد للثالث, هو بعدما سأله النبى صلى الله عليه و آله عن المهر فقال: ما عندى يا رسول الله شىءٌ إلا درعى فزوجه رسول الله صلى الله عليه و آله على اثنتى عشرة أوقية ونش ودفع إليه درعه، فقال له رسول الله: هيئ منزلاً حتى تحول فاطمة إليه(2).

وكيف كان بعد أن قرت عين الزهراء بهذه الخطبة السعيدة، وزوج الله فاطمة علياً، أراد رسول الله، أن يعلن لعامة المسلمين هذا النبأ العظيم، فأمر أنس بن مالك أن يجمع فئة من الصحابة ليعلن عليهم نبأ تزويج فاطمة لعلى عليه السلام، قال أنس: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده كلهم، وأخذوا مجالسهم، ثم قال صلى الله عليه و آله: إن الله قد أمرنى أن أزوج فاطمة على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذاك، فقال عليه السلام: قد رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس بن مالك: فقال النبى صلى الله عليه و آله: جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً، قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب(3).

1- (1) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى, محمد هادى اليوسفى, ج 2 ص 100.

2- (2) راجع: إعلام الورى بأعلام الهدى, الشيخ الطبرسى, ج 1 ص 160.

3- (3) أنظر: مكارم الأخلاق, الشيخ الطبرسى, ص 207.

تاريخ زواج فاطمة عليهاالسلام

ذكر المؤرخون أن الزهراء عقدت لعلى عليهماالسلام لليلتين بقيتا من شهر صفر بعد الهجرة، وبعضهم قال: بعد سنة من الهجرة، وبعضهم قال: فى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وهو يقصد البدء بالسنة الثانية من المحرم، وجاء فى الكافى عن سعيد بن المسيّب قال: فقلت لعلى بن الحسين عليهماالسلام فمتى زوج رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمة من على عليهماالسلام فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين(1).

وأما بناء على عليه السلام بها أى الزفاف: فقد نقل الطبرى عن الواقدى بسنده عن الباقر عليه السلام قال: إن على بن أبى طالب بنى بفاطمة عليهاالسلام فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً. كما رواه الدولابى فى الذرية الطاهرة عن الصادق عليه السلام أما عن اليوم فقد عينه المفيد فى مسار الشيعة والطوسى فى المصباح باليوم الأول منه(2).

الملائكة تحضر زفاف فاطمة عليهاالسلام

إنّ زفاف فاطمة عليهاالسلام يختلف عن غيره, حيث حفته جملة من الكرامات وقد شارك فيه النبى صلى الله عليه و آله مع أفواج من الملائكة المقربين وغيرهم, فقد ورد عن أسماء بنت عميس(3) ، أنها قالت: كنت فيمن زفت فاطمة إلى على عليه السلام، فلما

1- (1) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 8 ص 340.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى, محمد هادى اليوسفى, ج 2 ص 211.

3- (3) ربما المراد هنا سلمى بنت عميس ليس أختها أسماء, لأنها كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب عليهما السلام، ولم تعد هى ولا زوجها إلا يوم فتح خيبر وذلك فى سنة ست من الهجرة،

دخلت بيتها اقبل رسول صـلى الله عليه و آله حتى دخل عليها، فـدعا بماء، فذكر اسم الله عليه، ثم شـرب منه، ومج من الماء فيما بين درع فاطمـة وبدنها، ثم مج منه أيضاً فيما بين سـربال على وبدنه ثم قال: اللهم أحفظ أهل البيت، وبارک فيهم وبارک عليهم، واجعلهم مباركين أين كانوا(1).

وعن الفضل بن دكين، باسـناده، عن عبد الله بن عباس، أنه قال لما زفت فاطمة إلى على عليهماالسـلام كان رسول الله صـلى الله عليه و آله قدامها، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وسبعون ألف ملک من خلفها يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر(2).

فاطمة المصداق الأكمل للزوجة وللأم الصالحة

لم تكن السـيدة الزهراء عليهاالسـلام كغيرهـا من النسـاء من أنّها امرأة عرفها التاريـخ بآدابها وأدبها وبطولاتها وعاشت حياتها ثم اندرسـت شخصـيتها وكـل معالمها, ولا يقال عنها شـيء فى صـفحات التاريـخ إلا أنّها بنت رسول الله وحليلـة أمير المؤمنين عليه السـلام, بل تبقى السيدة الزهراء عليهاالسلام قدوة ومنهاجاً للنساء فى شتى المجالات, فهى قدوة للبنت الرشيدة اللبيبة المطيعة لوالديها وأوليائها فعليها أن

1- (1) أنظر: شرح الأخبار, القاضى النعمان المغربى, ج 3 ص 28.

2- (2) أنظر: إقبال الأعمال, السيد ابن طاووس, ج 3 ص 92. وتاريخ بغداد, الخطيب البغدادى, ج 5 ص 211.

تنتهج من حياة الزهراء عليهاالسلام والتى ارتقت فيها كى تكون أمّاً لأبيها على لسان الوحى, كما تكون قدوة للمرأة الواعية المثقفة المؤمنة وقدوة للأم الكاملة وللزوجة الصالحة, فعلى المرأة الواعية أن تقرأ حياة الزهراء العلمية والسياسية والمعنوية كى تتخذ منها منهاجاً ترسم به مستقبلها ومستقبل الأمة, وعلى الأم أن تقرأ حياة الزهراء عليهاالسلام مع أولادها وكيف كانت تتعامل معهم كى تصبح أمّاً كاملة قد قدمت للأجيال من يُسعدها, وعلى الزوجة أيضاً أن تقرأ حياة السيدة فاطمة عليهاالسلام مع زوجها وكيف كانت غاية فى حسن التبعّل والاحترام المتبادل والمحبة الدائمة لاسيما فى تلك الظروف البسيطة والأليمة حيث ذكروا عندما انتقلت فاطمة عليهاالسلام إلى بيت على عليه السلام ذاک البيت البسيط لم يكن فيه شيء حتى من ضروريات ومستلزمات الحياة فأخذت تعتنى بشؤون منزلها وتدير حوائجها بالاعتماد على جهودها فلم يكن لديها خدم ولا عبيد ولا غير ذلک فكل حياتها كدح وجهاد, فقد كانت تطحن الشعير وتدير الرحى بيدها وتصنع أقراص الخبز بنفسها وتكنس البيت وتدير مستلزمات الأسرة وكان النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام يشاهدان كل ذلک منها ويشاركانها العناء, بل كانا يساعدانها فى أعمال المنزل, فقد ذكر التاريخ صوراً ولو أنّها قليلة من الحياة العائلية الفريدة التى كانت تعيشها فاطمة مع زوجها وأولادها, كما ورد عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من حملة الإبل فلما نظر إليها (بكى) وقال يا فاطمة تعجلى فتجرعى مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً, فأنزل الله (وَ لَسَوْفَ

يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضی)1 .

وأيضا دخل النبی صلی الله عليه و آله علی فاطمة وهی تطحن مع علی عليه السلام، فقال النبی صلی الله عليه و آله: لأيكما أعقب؟ فقال علی عليه السلام: لفاطمة؛ فإنها قد أعيت, فقامت فاطمة، فطحن النبی صلی الله عليه و آله مع علی لفاطمة(1).

وأيضا يذكر لنا التاريخ صورة أخری للزهراء عليهاالسلام فی معاناتها وعملها فی بيتها البسيط, فقد روی المجلسی رحمه الله بينما النبی صلی الله عليه و آله والناس فی المسجد ينتظرون بلالاً أن يأتی فيؤذن إذ أتی بعد زمان فقال له النبی صلی الله عليه و آله: ما حبسک يا بلال؟ فقال: إنی اجتزت بفاطمة عليهاالسلام وهی تطحن واضعة ابنها الحسن عند الرحی وهی تبكی، فقلت لها: أيما أحب إليک إن شئت كفيتک ابنک، وإن شئت كفيتک الرحی، فقالت: أنا أرفق بابنی، فأخذت الرحی فطحنت فذاک الذی حبسنی، فقال النبی صلی الله عليه و آله: رحمتها رحمک الله(2).

وغيرها من الروايات التی ترينا حياة الزهراء عليهاالسلام الاجتماعية مع زوجها وأولادها وجيرانها, ونحن لا نريد أن نأخذ ألفاظاً جامدة أو روايات فارغة وإنّما نقف عندها مقتبسين ومستلهمين الدروس والعبر, فعلی البنت والزوجة والأم أن تجعل الزهراء عليهاالسلام وسيرتها قدوة ومنهاجاً فی حياتها الزوجية والاجتماعية وغيرها كی تحظی بالسعادة الأبدية.

1- (2) أنظر: موسوعة الإمام علی بن أبی طالب عليه السلام فی الكتاب والسنة والتاريخ, محمد الريشهری, ج 9 ص 372.

2- (3) أنظر: مسند أحمد بن حنبل, ج 3 ص 151. وذخائر العقبی, أحمد بن عبدالله الطبری, ص 51.

كذبة بيضاء

بعد ما ثبتت أذية وغضب فاطمة عليهاالسلام فى الكتب المعتبرة والصحيحة عند القوم, بما فيها صحيح البخارى, حيث قال: عندما جاءت فاطمة تطالب بإرثها قال لها أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة, فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت(1). ولا ريب أنّ هذا يلزم منه غضب وأذية الرسول صلى الله عليه و آله ومن ثم أذية الله وغضبه؛ لأنّه ثبت أيضا فى الصحاح وغيرها, من آذى فاطمة فقد آذى النبى صلى الله عليه و آله, ومن أغضبها فقد أغضب النبى صلى الله عليه و آله كما جاء عنه فى هذا المجال كثير من الروايات من جملتها: فاطمة بضعة منّى من أغضبها فقد أغضبنى, (وفى صحيح مسلم يؤذينى ما آذاها)(2), وأذية النبى صلى الله عليه و آله وغضبه يلزم منها أذية الله وانتقامه بصريح الآية فى قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً)3 . فمن هذا وغيره لم يجدوا مفراً ومهرباً إلا افتعال وسيلة للهجوم كى يلتجئوا خلفها ويتحصنوا بها, حيث قالوا إنّ على بن أبى طالب عليه السلام خطب بنت أبى جهل فى حياة فاطمة عليهاالسلام وحينما وصل الخبر لفاطمة غضبت وتأذت, وهذا يعنى أنّ علياً قد أغضب وآذى فاطمة, ومن ثم يشمله الحديث فى أنّه قد آذى فاطمة, وكأن علياً أصبح حكراً للشيعة حتى

1- (1) أنظر: صحيح البخارى, البخارى, ج 4 ص 42.

2- (2) أنظر: صحيح البخارى, ج 4 ص 210. وصحيح مسلم, ج 7 ص 141.

ينقضوا به, ولم يكن خليفة وقدوة للمسلمين, ومن حسن الحظ أنّ هذه الرواية التى افتعلوها لا تنسجم مع الضوابط العامة سواء فى سندها أم دلالتها, حتى أن الصحابة ومن جملتهم ابن عباس أنكرها وقال فى محضر الخليفة الثانى هذه من الخواطر, بل حتى المنافقين والأعداء لم يتخذوها ذريعة للتشنيع والتهويل, بالإضافة إلى أنّ بطل هذه الأسطورة والراوى لها المسور بن مخرمة لم يتجاوز عمره الست سنوات حتى أخذوا يبررون هذا النقص الفنى الذى اتضح فيما بعد بأنّه وإن لم يكن محتلماً ولكنه عاقل, فتجاوزوا الخطوط الحمراء عندهم فى علم الرواية كى يمرروا هذه الأكذوبة على الأذهان والتاريخ ولو بالتخلى عن مبادئهم وضوابطهم, مع كل ذلک أنّ الروايات الواردة فى هذا الشأن مختلفة ومتناقضة. ولو سلمنا أن لها حظاً من الوجود ولو جدلاً فلماذا يتأذى النبى وكذا الزهراء من أمر قد شرعه الله وجعله من المستحبات, مع عدم دخول الولاية هنا حيث إنّه صلى الله عليه و آله يقول لست أحرم حلالاً ولا احل حراماً, فكيف ينهى على بالزواج بالثانية, ويأمر بطلاق فاطمة من على وعصمتها بيد زوجها لا غير, ولماذا اختار الله علياً زوجاً لفاطمة ولولاه لما كان لها كفءٌ فكيف يختار لها من يؤذيها وهو يعلم أنّه يؤذيها؟ وكيف يقدم على على أذية فاطمة وهو يعلم ما قال فيها الله ورسوله, بل كيف يقدم على معصية الله وهو يعلم أنّ الله حرّم عليه النساء فى حياة فاطمة عليهاالسلام كما سيأتى, وقد نص القرآن والسنة والعقل على عصمته, وما كان فى هذه المرأة بنت أبى جهل من خصوصيات وهى بنت الطلقاء حتى يقدم عليها على, كى يجعل النبى صلى الله عليه و آله يصعد المنبر وينشر الخبر على الناس من دون أن يواجه الإمام

علياً عليه السلام, وغيرها من الأسئلة التى لا تنتهى, لكن أريد أن اختم الكلام هنا, من أنّ النبى صلى الله عليه و آله الذى لا ينطق إلا عن الوحى قال بعلى عليه السلام ما لم يقله بغيره وكشف الله عنه أنّه نفس النبى صلى الله عليه و آله وطاعته طاعة النبى ومعصيته معصية النبى وطاعة ومعصية النبى صلى الله عليه و آله طاعة ومعصية الله, وقال الحق مع على وعلى مع الحق, وغيرها من الروايات الواردة عن النبى صلى الله عليه و آله بحق على عليه السلام وقد يصعب عدّها, وهى تؤكد أنّ علياً عليه السلام لا يعتريه الخطأ والزلل وكل فعله حق وعين ما أراده الله ورسوله, فلو سلمنا بهذه الأسطورة ألا يلزم من ذلک إما التوهين بالنبى صلى الله عليه و آله وأنّه أخطأ فى تقييمه للإمام على عليه السلام وهو مستحيل بعد ما ثبت أنّه لا ينطق إلا عن الله, وإمّا أنّ نكذب ونطرح كل هذه الروايات التى تكشف عن أبعاد على عليه السلام بل حتى الآيات التى كللت الإمام على عليه السلام بالعصمة فتكون المصيبة أعظم, فلا سبيل الى تمرير هذه الأسطورة لا من بعيد ولا من قريب. ونحن قد اختصرنا الرد هنا؛ لأن المسألة لا تستحق أكثر من ذلک من حيث جلاء كذبها وضعف متنها.

حرمة الزواج على على فى حياة الزهراء عليهاالسلام

اشارة

إنّ للسيدة الزهراء عليهاالسلام خصوصيات كثيرة سواء كانت فى المجال التكوينى من قبيل أنها لم ترَ دم حيض أو نفاس وغير ذلک, أم فى المجال التشريعى من قبيل حرمة الزواج عليها فى حياتها, كما أشار لذلک بعض الأعلام بقوله: الظاهر أنه لا خلاف بين المسلمين فى اختصاص هذا الحكم بفاطمة عليهاالسلام دون غيرها من أخواتها (أو ربائبه كما ثبت عندنا) وساير النساء، ولم يفت أحد من أهل العلم فيما أعلم بعدم جواز النكاح على ساير بنات رسول الله صلى الله عليه و آله, وليس هذا إلا لما

حازته عليهاالسلام من الفضلية والكرامة والدرجة الرفيعة عند الله تعالى، واختصاصها بفضائلها المشهورة، دون غيرها من النساء. ولو كان علة حرمة نكاح امرأة أخرى عليها، اجتماع بنت رسول الله صلى الله عليه و آله وبنت عدو الله مكاناً واحداً، لاشتركت معها فى هذا الحكم أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم، ولما يجوز نكاحهن من أبى العاص بن ربيع، وعتبة، وعتيبة ابنى أبى لهب فى حال كفرهم، بل لما يجوز نكاحهن بمن كان قبل الإسلام مشركاً كافراً(1).

والدليل على اختصاص الزهراء عليهاالسلام بهذا الحكم, أولاً: ما ورد عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

حرم الله النساء على على عليه السلام ما دامت فاطمة عليهاالسلام حية قال: قلت كيف؟ قال:

لأنها طاهرة لا تحيض(2).

وقال المجلسى رحمه الله أنّ هذا التعليل يحتمل وجهين: الأول أن يكون المراد أنها لما كانت لا تحيض حتى يكون له عليه السلام عذر فى مباشرة غيرها، فلذا حرم الله عليه غيرها رعاية لحرمتها. الثانى أن يكون المعنى أن جلالتها منعت من ذلک وعبر عن ذلک ببعض ما يلزمه من الصفات التى اختصت بها(3).

وثانيا: يمكن أنّ تكون الحرمة هنا من باب عدم وجود الكفء للسيدة الزهراء عليهاالسلام بما أنّها معصومة ليس لها عدل من النساء إطلاقاً, حيث لو رجعنا إلى فلسفة حرمة الزواج الدائم بالكافرة هو عدم كفئها للمسلمة فلا تستحق أن تكون

1- (1) أنظر: لمحات, الشيخ لطف الله الصافى, ص 264.

2- (2) تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسى, ج 7 ص 475.

3- (3) أنظر: بحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 43 ص 153.

عدلاً لها کی توزع بینهما الحقوق والأیام وغیر ذلک, فکذلک لا تکون للزهراء علیهاالسلام عدل ولو کانت مسلمة وهی سیدة نساء العالمین من الأولین والآخرین.

وهـذا بحـدّ ذاته یکون ردّاً قاطعاً علی أسـطورة بنت أبی جهل المتقـدم ذکرها فتکون سالبةً بانتفاء الموضوع, من حیث إنّ الزواج محرم علی علی علیه السـلام کحرمة غیره من المحرمات فکیف یجوز أن یقدم علی أمر قد شرع الله حرمته علی فرض وصول الحکم إلیه, وإن لم یکن قـد وصل إلیه فلا یؤاخـذ بشـیء من ذلک لا من جهـة النبی صـلی الله علیه و آله ولا من جهـة الزهراء علیهاالسـلام. وکیف کان قـد تنزلنا وتجارینـا مع القوم إلی أدنی المسـتویات التی لاـ ینبغی أن تقال وإلا علی بن أبی طالب علیه السـلام أجلُّ من کل ما یقال عنه وقـد وصـفه المولی تعالی أنّه نفس النبی صلی الله علیه و آله ووصفه النبی أنّه لا یعرفه إلا الله ورسوله.

إشکال وجواب

ذُکر عن محمـد بن أبی القـاسم أنّه قـال: هـذا (الخبر) من جملـة خبر الآحاد, وقـد قال الله تعالی:(فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ)1 ولا یجوز تحریم ذلک فی حق أحد إلا بسـنة قاطعة أو آیة محکمة(1). وذلک لأنّ القرآن قطعی الصدور, وهو یصرح بجواز الزواج من الثانیة وحتی الرابعة لکل المسلمین بما فیهم علی بن أبی طالب علیه السلام, وهذا الخبر الواحد, الذی یحرم

1- (2) أنظر: بشارة المصطفی, محمد بن علی الطبری, ص 381.

الزواج من على عليه السلام فى حياة الزهراء عليهاالسلام هو فى حد ذاته ظن ولكن الشارع جعله حجة فى المسائل الشرعية أو العقائد الثانوية, فعندما نقارن بينه وبين الآية تكون مقارنةً فى الحقيقة بين ظن ويقين, ولا ريب أنّ المسألة اليقينية تبقى ثابتة ولا تخصص أو تنسخ إلا بيقين آخر وليس بظن كما هو فى المقام.

والجواب

قد جاء عن بعض الأساطين أنّه لا يوجد خلاف بين أصحابنا فى جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد, نعم هناك خلاف فى المسألة عند أبناء العامّة منهم من ذهب إلى عدم جواز التخصيص والآخر الى جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد, ومنهم من توقف فى المسألة كالباقلانى(1).

وأمّا الدليل على جواز التخصيص, هو أنّ التخصيص للكتاب إنمّا هو فى الدلالة لا فى الصدور وهى ظنية أيضاً, فيكون رفع ظنى بظنى ليس رفع يقين بظنى كما توهم المستشكل. وإنّ شئت قلت: إنّه رفع يد عن قطعى بقطعى, بتقريب أنّ خبر الواحد بعد فرض حجيته وشموله للمقام يكون قطعى الحجية فقد رفعنا اليد عما هو قطعى الحجية وهو الكتاب بما هو قطعى الحجية وهو خبر الواحد.

بعبارة أوضح: أنّ العموم فى نفسه وإن كان شموله للمورد ظنياً من قبيل قوله تعالى:(وَ حَرَّمَ الرِّبا) شمول للربا بين الوالد وولده ظنى إلا أنّ أصالة العموم جعلت شموله لكل فرد من أفراده حجة قطعية معذرة لولا المخصص الذى جعل

1- (1) أنظر: غاية المأمول من علم الأصول, تقريرات بحوث السيد الخوئى, للشيخ محمد تقى الجواهرى, ج 2 ص 670. ومحاضرات فى أصول الفقه, تقريرات بحث السيد الخوئى, للفياض, ج 5 ص 309.

الشارع له الحجة كخبر الواحد, من قبيل قول أمير المؤمنين عليه السلام:

ليس بين الرجل وولـده ربا وليس بين السـيد وعبـده ربا(1). فهو حجـة قطعيـة, فيكون المقـام هنا وكـذا فى مسألتنا من قبيل العام والخاص القطعييّن, فـإنّ الخاص قرينـة على عـدم العموم فهو مقـدم عليه تقـدم القرينـة على ذيها. فعنـدما حصل عموم أفرادى فى الآيـة فى جواز أو اسـتحباب لكل الأفراد من الزواج بالثانيـة وحتى الثالثـة الى الرابعـة مع توفر الشـروط اللازمـة فى محلها خُص هذا العموم بحق على عليه السـلام فى حال حياة الزهراء عليهاالسـلام لوجود خصوصـية خاصـة فيها, وربما أشارت الروايـة الى هذه الخصوصـية وهى أنّها طاهرة أى معصومة ولا تحيض لا تعتريها النجاسات كما هو الحال فى النساء, فهى متكاملة من الناحية المعنوية والمادية.

مصحف فاطمة عليهاالسلام

من تراث فاطمة عليهاالسلام هو المصحف الخاص بها المعبر عنه فى لسان الروايات بمصحف فاطمة, وذلک بما أملته عليها الملائكة بإذن الله, كما فى المعتبرة فى الكافى: «أنّ ملكاً من الملائكة كان ينزل على الزهراء عليهاالسـلام بعد وفاة أبيها، ويسـليها ويحدثها بما يكون من الأمور، وكان على عليه السـلام يكتب ذلک الحـديث, فسـمى ما كتب, مصـحف فاطمـة عليهاالسـلام، فهو ليس قرآناً كما توهم، ولا كتاباً مشـتملاً على الأحكـام، فـإن هـذا التوهم مخالف للنصوص. ولا غرابـة فى حـديث الملائكـة مع الزهراء عليهاالسـلام فقـد ذكر القرآن أن الملائكة حدثت مريم ابنة عمران, كما فى قوله تعالى:(وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ

1- (1) الكافى, الكلينى, ج 5 ص 147.

عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ)1 , ومن المعلوم أفضلية الزهراء على مريم ابنة عمران، كما ورد فى النصوص المعتبرة، من أنّ مريم سيدة نساء عالمها، وأنّ فاطمة سيدة نساء العالمين.

عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة فى سنة ثمان وعشرين ومائة, وذلک أنى نظرت فى مصحف فاطمة عليهاالسلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه و آله دخل على فاطمة عليهاالسلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل الله إليها ملكاً يسلى غمها ويحدثها، فشكت ذلک إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلک وسمعت الصوت قولى لى فأعلمته بذلک فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلک مصحفاً, ثم قال أما إنه ليس فيه شىء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون(1).

وعن أبى عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال: له فالجامعة؟ قال: تلک صحيفة طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهى فيها، حتى أرش الخدش قال: فمصحف فاطمة عليهاالسلام؟ قال، فسكت طويلا ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها

1- (2) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 240.

ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فی ذريتها، وكان علی عليه السلام يكتب ذلک، فهذا مصحف فاطمة عليهاالسلام(1).

ولفظ المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتی تختص بنت المصطفی بقرآن خاص، وإنما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار. والمصحف: من أصحف، بمعنی ما جعل فيه الصحف، كما جاء فی لسان العرب, المصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف، والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما ذلک عن اللحيانی عن الكسائی, قال الأزهری: وإنما سمی المصحف مصحفاً لأنه أصحف أی جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، قال الفراء: يقال مِصحف ومُصحف كما يقال مِطرف ومُطرف، قال: وقوله مصحف من أصحف أی جمعت فيه الصحف وأطرف جعل فی طرفيه العلمان(2).

وعليه إنما سمی المصحف مصحفاً، لأنه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين, ولم يكن ذلک اللفظ علماً للقرآن فی عصر نزوله، وإنما صار علماً له بعد رحيل رسول الله صلی الله عليه و آله. قال السيوطی: روی ابن أشتة فی كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه فی الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السفر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف, قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف(3).

1- (1) الكافی, الشيخ الكلينی ج 1 ص 241.

2- (2) أنظر: لسان العرب, ابن منظور, ج 9 ص 186.

3- (3) أنظر: الإتقان فی علوم القرآن, السيوطی, ج 1 ص 146.

أسماء فاطمة عليهاالسلام

اشارة

إن للسيدة الزهراء عليهاالسلام أسماء نزلت من السماء، وتحت كل اسم أسرار كما نطقت بها الأخبار، ولكل منها جهة تسمية بل جهات سميت بها بذلک الاعتبار، ونحن نذكر قسماً منها, مع جملة من الأخبار الواردة فيها، ومرادنا من الأسماء هنا أعم من الاسم واللقب والكنية على نحو ما ورد فی الأخبار المروية.

سبب تسميتها بفاطمة

قد ورد فی سبب تسميتها بذلک أخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامة، فی أنها سميت بذلک؛ لأن الله تعالى قد فطم من أحبها من النار, وغيرها من الأسرار الكامنة تحت هذا الاسم المبارک.

كما عن الشعبی، عن ابن عباس، قال: لما ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله سماها المنصورة، فنزل جبرائيل، فقال: يا محمد، الله يقرئک السلام، ويقرئ مولودک السلام، وهو يقول: ما ولد مولود أحب إلى منها، وأنها قد لقبها باسم خير مما سميتها، سماها فاطمة، لأنها تفطم شيعتها من النار(1).

وعن أبی الحسن الرضا عليه السلام انّه قال: سميت فاطمة, فاطمة؛ لأن الله تبارک وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله يتزوج فی الأحياء، وأنهم يطمعون فی وراثة هذا الأمر من قبله، فلما ولدت فاطمة سماها الله تعالى فاطمة لما أخرج منها من ولدها، فجعل الوراثة فی أولادها، فقطع غير أولادها عما طمعوا،

1- (1) أنظر: ميزان الاعتدال, الذهبی, ج 3 ص 439.

فبهذا سميت فاطمة أى فطمت طمعهم وقطعت(1).

وروى يزيد بن عبد الملک عن الباقر علیه السلام قال: لما ولدت فاطمة علیهاالسلام أوحى الله عز وجل إلى ملک، فأنطق به لسان محمد صلى الله علیه و آله فسماها فاطمة، وقال: إنى قد فطمتک بالعلم، وفطمتک عن الطمث، ثم قال أبو جعفر علیه السلام: والله لقد فطمها الله تعالى بالعلم وعن الطمث فى الميثاق(2).

وفى رواية: أنّه قال رسول الله صلى الله علیه و آله: يا فاطمة أتدرين لم سميت فاطمة؟ فقال على علیه السلام: يا رسول الله لم سميت فاطمة؟ قال: لأنها فطمت هى وشيعتها من النار(3).

سبب تسميتها بالزهراء

هناک عدة روايات تكشف لنا سبب تسميتها بهذا الاسم, وانّه مقتبس من واقعٍ تتمتع وتتصف به الزهراء علیهاالسلام, كما ورد عن محمد بن عمارة، عن أبيه، قال: سألت الصادق علیه السلام عن فاطمة علیهاالسلام لم سميت زهراء؟ فقال علیه السلام: لأنها كانت إذا قامت فى محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض(4).

وعن العسكرى علیه السلام: سميت فاطمة زهراء لأنه كان نور وجهها يزهر لأمير

1- (1) أنظر: علل الشرائع, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 178.
2- (2) أنظر: الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 460.
3- (3) أنظر: علل الشرائع, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 179.
4- (4) معانى الأخبار, الشيخ الصدوق, ص 64.

المؤمنين عليه السلام من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرى(1). وفى خبر آخر أنّه حدث عند ولادتها فى السماء نور ظاهر لم تره الملائكة قبل ذلک(2).

وروى عن النبى صلى الله عليه و آله أنّى رأيت ليلة الإسراء امرأة فى الجنة فى غاية البهاء والجلالة قد بهر نورها جميع الموجودات، وهى جالسة على سرير من أسرة الجنة، وعلى رأسها تاج مكلل، وفى أذنيها قرطان يزهران لأهل الأرض والسماء، أحدهما من الزمردة الخضراء والآخر من الياقوتة الحمراء، فسألت جبرئيل عنها فقال: هذه بنتک فاطمة الزهراء، والتاج على رأسها هو على بن أبى طالب عليه السلام زوجها، والقرطان فى اذنيها الحسن والحسين عليهماالسلام ولداها(3).

وروى جابر عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: لم سميت الزهراء زهراء؟ فقال: لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرضين، وغشيت أبصار الملائكة، وخرت الملائكة لله تعالى ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نورى، أسكنته فى سمائى، خلقته من عظمتى، أخرجته من صلب نبى من أنبيائى، أفضله على جميع الأنبياء، واخرج من ذلک النور أئمة يقومون بأمرى، ويهدون إلى حقى، وأجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وصى نبيى(4).

1- (1) مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 3 ص 110.

2- (2) الأمالى, الشيخ الصدوق, ص 692.

3- (3) اللمعة البيضاء, التبريزى الأنصارى, ص 105.

4- (4) علل الشرائع, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 18.

سبب تسميتها بالصديقة

هذا الاسم معروف على لسان أهل البيت عليهم السلام وقد سماها به الله تبارک وتعالى إجلالاً وإكراماً لمقامها السامى ولما وصلت إليه من التصديق بكل ما آتاه الله ورسوله صلى الله عليه و آله. والصديقة صيغة مبالغة فى الصدق والتصديق أى أنها سلام الله عليها كثيرة الصدق، ولقد ورد فى كتب اللغة معنى التصديق والصدق حيث قيل: إن الصديق أبلغ من الصدوق، وقيل: إنه الكامل فى الصدق الذى يصدق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق، وقيل: إنه من لم يكذب قط، وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله(1).

وأياً كان منها معنى الصّديق فإن فاطمة الزهراء عليهاالسلام تنطبق عليها جميع الأقوال فهى سلام الله عليها كانت المداومة على التصديق بما يوجبه الحق جل وعلا- حيث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ولا يدخلها فى أى شىء من ذلک أى شک كان وكانت المصداق الأفضل مع أوليائه المعصومين, لقوله تعالى:(وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِکَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ)2 . وقوله تعالى:(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ)3 ، حيث فسرت كلمة صديقة فى هذا الآية المباركة بأنها تصدق بآيات ربها، ومنزلة والدها وتصدقه فيما أخبرها به، بدلالة قوله تعالى:(وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها

1- (1) أنظر: تاج العروس, الزبيدى, ج 13 ص 36.

وَ كُتُبِهِ وَ كـانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ)1 ، وقيل: لكثرة صـدقها وعظم منزلتها فيما تصـدق به من أمرها وعلى كل حال فإن فاطمة الزهراء عليهاالسـلام كانت الصديقـة الطيبة التى صدقت بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى وكانت المؤمنة بكل عقائدها الربانية والتى كانت تعمل على ضوء تلك العقائد والمعتقدات, ولقد جاءت الروايات الكثيرة لكى تؤكد على هذه الحقيقة الواضحة للزهراء عليهاالسلام فلقد ورد عن النبى صلى الله عليه و آله فى حديث طويل: يا على، إنى قد أوصـيت فاطمة ابنتى بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليک، فأنفذها، فهى الصادقة الصدوقة، ثم ضمها إليه وقبل رأسها، وقال: فداک أبوک يا فاطمة(1).

وعن مفضـل بن عمر قـال: قلت لأبى عبـد الله عليه السـلام: من غسل فاطمـة عليهاالسـلام؟ قال: ذاک أمير المؤمنين عليه السـلام، فكأنما استضـقت (اسـتفظعت) ذلک من قوله، فقال لى: كأنک ضـقت مما أخبرتک به، فقلت: قد كان ذلک جعلت فداک، فقال: لا تضـيقن فإنها صديقة لم يكن يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى؟(2). وكذلک قول رسول الله صلى الله عليه و آله إنه قال لعلى عليه السـلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتيهن أحـد ولا أنا أوتيت, صـهراً مثلى ولم أوت أنا مثلک، وأوتيت زوجـة صديقـة مثل ابنتى ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبک ولم أوت من صلبى مثلهما، ولكنكم منى(3).

1- (2) أنظر: الصراط المستقيم, على بن يونس العاملى, ج 2 ص 93. وبحار الأنوار, المجلسى, ج 22 ص 491.

2- (3) انظر: الكافى, الكلينى, ج 1 ص 460. ووسائل الشيعة, الحر العاملى, ج 2 ص 714.

3- (4) انظر: الغدير, المينى, ج 2 ص 312.

وعن أبی الحسن علیه السلام قال: إنّ فاطمة علیهاالسلام صدیقة شهیدة(1). وقال الصادق علیه السلام: وهی الصدیقة الکبری، وعلی معرفتها دارت القرون الأولی(2). وغیرها من الروایات التی تبین الأبعاد المعنویة لهذه الصفة التی تتمتع بها الزهراء علیهاالسلام.

سبب تسمیتها بالمبارکة

وهو من الأسماء التی وردت أیضاً عن لسان المعصوم علیه السلام لفاطمة الزهراء علیهاالسلام عند البارئ عز وجل، والظاهر من خلال سیرتها علیهاالسلام وما ترکت من ذریة طیبة من بعدها أن مسألة البرکة واضحة البرهان فی حیاتها الواقعیة، حیث نجد أن ذریة کل رسول من ولده وخصوصا الذکور إلا نبینا محمد صلی الله علیه و آله حیث کانت ذریته من ابنته المبارکة فاطمة علیهاالسلام، وهذا ما نجده من خلال المأثور الروائی فی حیاة الرسول وأهل بیته علیهم السلام. وعندما نراجع کتب اللغة لنری مدی انطباق معنی المبارکة أو البرکة علی حیاتها الشخصیة وما ترکته فی هذه الدنیا, فلقد ورد فی معنی کلمة البرکة هی النماء والزیادة، وعن الزجاج: المبارک ما یأتی من قبله الخیر الکثیر. وقیل: إن البرکة: هی النماء والسعادة والزیادة وقال الراغب: ولما کان الخیر الإلهی یصدر من حیث لا یحبس، وعلی وجه لا یحصی ولا یحصر, قیل: لکل ما یشاهد منه زیادة محسوسة هو مبارک فیه وفیه برکة(3).

1- (1) انظر: الکافی, الشیخ الکلینی, ج 1 ص 458.

2- (2) انظر: الامالی, الشیخ الصدوق, ص 668.

3- (3) انظر: تاج العروس, الزبیدی, ج 13 ص 515.

ولا شک ولا ریب ومن خلال استقراء حیاة فاطمة علیهاالسلام قبل وبعد وفاتها أنها هی الخیر الکثیر الذی ورد فیه قوله تعالی:(إِنّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ) ، ولقد انطبقت علیها هذه المعانی لکثرة برکتها علی رسول الله صلی الله علیه و آله وعلی أهل بیته وعلی شیعة أمیر المؤمنین، فأی برکة بعد رسول الله صلی الله علیه و آله مثل فاطمة والتی علی معرفتها دارت القرون الأولی، وأی برکة أکبر وأفضل من برکة فاطمة علیهاالسلام علی الشیعة وخاصة فی هذه الحیاة الدنیا حیث کانت الوعاء الأکبر للإمامة التی مثلت أفضل مصادیق الولایة الکبری وأی برکة أفضل منها عندما تأتی یوم القیامة وتخلص شیعتها ومحبیها من عذاب النار ولقد طفحت کتب السیرة والتاریخ دلالة علی کثرة برکة فاطمة الزهراء علیهاالسلام وکذلک الکتب الروائیة والکلامیة والتفسیریة حیث أظهرت من خلال طیات صفحاتها هذه الصفة الواردة فیها، وتصدیقاً لهذا الکلام تری فی العالم الیوم ذریة فاطمة الزهراء علیهاالسلام الذین هم ذریة رسول الله صلی الله علیه و آله منتشرین فی بقاع العالم، ففی العراق حوالی ملیون، وفی إیران حوالی ثلاثة ملایین، وفی مصر خمسة ملایین، وفی المغرب الأقصی خمسة ملایین، وفی الجزائر وتونس ولیبیا عدد کثیر، وکذلک فی الأردن وسوریا ولبنان والسودان وبلاد الخلیج والسعودیة ملایین، وفی الیمن والهند وباکستان والأفغان وجزر اندونیسیا حوالی عشرین ملیوناً، وقل أن تجد فی البلاد الإسلامیة بلدة لیس فیها أحد من نسل السیدة فاطمة الزهراء علیهاالسلام، ویقدر مجموعهم بخمسة وثلاثین ملیوناً، ولو أجریت إحصائیات دقیقة وصحیحة فلعل العدد یتجاوز هذا المقدار(1).

1- (1) انظر: الأسرار الفاطمیة, الشیخ محمد فاضل المسعودی, ص 401.

سبب تسميتها بالطاهرة

من الأسـماء الجميلة والتى تدل على معنى يصـبو إليه كل مؤمن, هو الطهارة الباطنية والظاهرية، حيث سـميت به فاطمة عليهاالسلام، وقد دلت عدة روايات فى هذا الباب على مدى طهارتها عليهاالسـلام, هذا بالإضافة إلى الشواهد الأخرى التى أيدت هذه المعنى، وأفضل دليل على طهارتها هو آيـة التطهير،(إِنَّما يُرِيـدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)1, فهى عليهاالسلام مطهرة نقية مبرأة من كل الأرجاس الظاهريـة والباطنيـة, وإليک بعض الأحاديث والشواهـد التى تدل على أنها طاهرة سواء الطهارة الظاهرية أو الباطنية, فقد ورد عن أبى جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: إنما سميت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله الطاهرة لطهارتها من كل دنس، وطهارتها من كل رفث، وما رأت قط يوماً حمرة ولا نفاساً(1).

وعن الصادق عليه السلام قال:

إن الله حرم النساء على على ما دامت فاطمة حية، لأنها طاهرة لا تحيض(2).

وقوله صـلى الله عليه و آله: ألا إن مسجدى حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته عليهم السلام على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(3).

و ما جاء فى غسلها ووصيتها عليهاالسلام قبل الوفاة، وهو أدل دليل وأقوى حجة على

1- (2) أنظر: مستدرک سفينة البحار, الشيخ على النمازى الشاهرودى, ج 6 ص 608. وبحار الأنوار, المجلسى, ج 43 ص 19.

2- (3) تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسى, ج 7 ص 175.

3- (4) انظر: السنن الكبرى, البيهقى, ج 7 ص 65.

أنها كانت طاهرة میمونة فی حیاتها وبعد مماتها، ولم یحدث الموت فیها رجاسة ولا دناسة، مع أنک تعلم أنه مما لا خلاف فیه تنجس البدن بعد الموت وبعد خروج النفس عنه، ولأجل ذلک لا بد أن یغسل المیت حتی یطهر بدنه وینظف جسمه، إلا أن سیدة النساء علیهاالسلام أوصت أن لا یکشفها أحد، وأن تدفن بغسلها قبل الوفاة.

روی أحمد بن حنبل فی مسنده عن أم سلمی (زوجة أبی رافع) قالت: اشتکت فاطمة شکواها التی قبضت فیها، فکنت أمرضها، فأصبحت یوماً کأمثل ما رأیتها فی شکواها تلک، قالت: وخرج علی لبعض حاجته، فقالت: یا أمة اسکبی لی غسلاً, فسکبت لها غسلاً، فاغتسلت کأحسن ما رأیتها تغسل، ثم قالت: یا أمة أعطینی ثیابی الجدد، فأعطیتها، فلبستها، ثم قالت: یا أمة قدی لی فراشی وسط البیت، ففعلت، واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت یدها تحت خدها، ثم قالت: یا أمة إنی مقبوضة الآن وقد تطهرت، فلا یکشفنی أحد، فقبضت مکانها. قالت: فجاء علی فأخبرته(1).

وقال الأربلی: واتفاقهما من طرق الشیعة والسنة علی نقله مع کون الحکم علی خلافه عجیب، فإن الفقهاء من الطرفین لا یجیزون الدفن إلا بعد الغسل إلا فی موضع لیس هذا منه, ولعل هذا أمر یخصها علیهاالسلام(2). نعم إنها علیهاالسلام کأبیها فی طهارتها کما تقدم عن الصادق علیه السلام إنه لما سئل: هل اغتسل علی حین غسل رسول الله صلی الله علیه و آله؟ قال: النبی طاهر مطهر ولکن اغتسل علی علیه السلام وجرت به السنة(3).

1- (1) انظر: مسند أحمد, الأمام أحمد بن حنبل, ج 6 ص 461.

2- (2) انظر: کشف الغمة, ابن أبی الفتح الأربلی, ج 2 ص 125.

3- (3) الحدائق الناضرة, المحقق البحرانی, ج 3 ص 231.

تسميتها بالراضية

من الأمور المهمة والتى تكون ذا أهمية كبيرة فى معرفة درجة أيمان الفرد المسلم مسألة الرضا عن الله تعالى، فمقام الرضا يحتاج إلى معرفة ويقين حتى يصل إليه الإنسان ويكون من الراضين بما قسم الله تعالى حتى يصل فى النهاية إلى مرحلة إيمانية عالية جداً، وكما ورد فى دعاء كميـل: (وتجعلنى بقسـمک راضـياً قانعـاً) أى أن الإنسـان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصـله إلى مقام الرضا منه جل وعلا فى كل ما يقسمه له سواء من خير أو بلاء أو غير ذلک، وعلى غرار هذا وردت عدة أحاديث مروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام: من جملتها ما جاء فى الحديث الشريف عن على بن الحسين عليهاالسلام أنّه قال:

الصبر والرضا عن الله رأس طاعـة الله، ومن صبر ورضـى عن الله فيما قضـى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلاـ ما هو خير له(1). لأنّ الله سـبحانه لا يختار لعبـده إلا ما فيه خيره ومصـلحته، وإن خفيت تلک المصـلحة على العبد لمحدوديته وقصوره عن الإحاطة بمصالحه ومفاسده.

وجاء فى حديث آخر عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل(2). من هنا يظهر مقام الزهراء عليهاالسلام العالى, حيث إنها كانت راضية عن الله تعالى بكل ما قدر لها من خير وبلاء، وبما قدر لها من مرارة الدنيا ومشقاتها ومصائبها وبلاياها, وهذا يظهر من خلال أبسط تأمل لحياتها وما

1- (1) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 2 ص 60.

2- (2) المصدر نفسه.

جرى عليها من الظلم والأذى, فمن خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهى كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدل على الرضا, وهذا ينم عن الحالة الإيمانية عند فاطمة عليهاالسلام.

تسميتها بالمرضية

وأيضاً لفاطمة عليهاالسلام اسم آخر يقاربه وهو (المرضية) والذى يظهر من خلال التأمل والتدبر فى السيرة الذاتية لها, أنه هناك احتمالان فى معنى كونها مرضية، أحدهما هو كون جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها مرضية عند الله تبارك وتعالى فهى رضى الله عنها ورضت عنه، فهى راضية مرضية راضية عن البارى عز وجل ومرضية بما وعد الله تبارك وتعالى عباده بالرضوان الأكبر. والاحتمال الآخر أنها عليهاالسلام كانت مرضية من جهة ما أعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التى بها فضلها على غيرها وكذلك، ومن خلال ما أعطاها تبارك وتعالى من الذرية ا لكثيرة حيث جعل منها الأئمة الهادين عليهم السلام، وكذلك هى مرضية عليهاالسلام من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى, وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأول أو الثانى، فإن فاطمة عليهاالسلام قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهى راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل:(يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. اِرْجِعِى إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِى فِى عِبادِى. وَ ادْخُلِى جَنَّتِى)1 .

ص:270

تسميتها بالمحدثة

ونقف هنا مع اسم آخر لفاطمة عليهاالسلام والذى نستفيده من خلال مراجعة جملة من الروايات, إن هذا الاسم ومن دون تحريک حرف الدال نحتمل فيه احتمالان: إما أن تكون الدال المشددة مكسورة, وأما أن تكون الدال المشددة فيه مفتوحة، وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الاسم أنّها عليهاالسلام كانت تحدث أمها خديجة عليهاالسلام وهى فى بطنها، وأيضا الملائكة, وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، كما ورد عندما سأل رسول الله زوجته خديجة أثناء دخوله عليها قائلاً لها مع من تتحدثين قالت: الجنين الذى فى بطنى يؤنسنى ويحدثنى(1). وعلى الاحتمال الثانى يكون معنى المحدثة هو أنها عليهاالسلام كانت تحدثها الملائكة وتؤنسها وخصوصاً بعد فقد أبيها رسول الله صلى الله عليه و آله, فقد ورد عن زيد بن على قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنما سميت فاطمة مُحدَّثَة؛ لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاک وطهرک واصطفاک على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتى لربک واسجدى واركعى مع الراكعين. فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلک سيدة نساء عالمک وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين»(2).

1- (1) روضة الواعظين, الفتال النيسابورى, ص 143.

2- (2) الأمالى, الشيخ الصدوق, ص 691.

سؤال وجواب

وهنا سؤال يطرح نفسه فى المقام وينقدح فى ألأذهان, وهو هل من الممكن أن تكون الملائكة تحدث بعض الناس لاسيما بعد رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث إنّ الوحى انقطع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله، وفى حالة كون تحديث الملائكة و إمكان وقوعه ولو على غير نحو الوحى هل يقع هذا مع فاطمة عليهاالسلام؟

وللإجابة: أنّ أدنى مراجعة للقرآن الكريم تفيدنا الجواب على هذه المسألة من إمكان وقوعها فى الأمم السابقة, باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين فى عرض الأشياء عليه, فنجد من خلال عدة آيات قرآنية ثبتت هذه الحقيقة, وهى أن الملائكة يمكن أن تتحدث مع البشر، وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التى تثبت هذه المسألة: منها: قوله تعالى: (وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ)1 .

ومنها قوله تعالى:(وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ)2 . فهذا صريح القرآن يثبت هذه الحقيقة الواضحة والتى لا يبقى معها شک, فمن هذا المنطلق يكون من باب أولى ثبوته بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين, إضافة إلى الروايات الخاصة بهذا المضمون.

سبب تسميتها بالبتول

اشارة

وهذا هو الاسم الآخر الذى يحكى عن الخصوصيات التى تحظى بها فاطمة عليهاالسلام وتشخصها عن غيرها سواء فى المجالات المادية أو المعنوية, كما بينته كثير من الروايات الواردة فى هذا الشأن, فقد سئل رسول الله صلى الله عليه و آله: لم قيل لها: البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل(1). وقيل تبتيل خلقها انفراد كل شىء عنها بحسنه لا يتكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابى: المبتلة من النساء: الحسنة الخلق، لا يقصر شىء عن شىء، لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامة(2).

وعن ابن الأثير: وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيح عليهاالسلام. وسميت فاطمة (البتول) لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى(3).

وورد عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: سميت فاطمة بتولاً لأنها تبتلت وتقطعت عما هو معتاد العورات فى كل شهر، ولأنها ترجع كل ليلة بكراً. وسميت مريم بتولا لأنها ولدت عيسى بكراً(4).

1- (1) راجع: شرح أصول الكافى, محمد صالح المازندرانى, ج 11 ص 342, والبحار, المجلسى, ج 14, ص 300.

2- (2) راجع: لسان العرب, ابن منظور, ج 11 ص 43.

3- (3) راجع: النهاية فى غريب الحديث, ابن الأثير, ج 1 ص 94.

4- (4) راجع: شرح احقاق الحق, السيد المرعشى, ج 5 ص 7.

وعن على عليه السلام قال: إن النبى صلى الله عليه و آله سئل: ما البتول؟ فإنا سمعناک يا رسول الله تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول التى لم تر حمرة قط، أى لم تحض، فإن الحيض مكروه فى بنات الأنبياء(1).

وعن عائشة قال: إذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه و آله، وكانت لا تحيض قط، لأنها خلقت من تفاحة الجنة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها، فاغتسلت وصلت المغرب وقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن ابنتى فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمث(2).

وروى عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت: (أى ولدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها دماً فى حيض ولا نفاس، فقال النبى صلى الله عليه و آله: أما علمت أن ابنتى طاهرة، لا يُرى لها دم فى طمث ولا ولادة(3).

دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟

بعدما وردت الروايات الصحيحة والصريحة فى تنزيه فاطمة عليهاالسلام من دماء الحيض والنفاس وأنها تختلف عن نساء عصرها فقد طهرها الله من كل النجاسات المادية والمعنوية فى كل الأحوال, فعلى ذلک ينبغى أن نسلط الضوء على مسألة جديرة بالاهتمام وهى أن دم النفاس أو دم الحيض التى تراه المرأة فى كل شهر من حين بلوغها إلى الخمسين من عمرها أو أكثر والذى يسمى بالعادة الشهرية

1- (1) علل الشرائع, الصدوق, ج 1 ص 181.

2- (2) راجع: شرح إحقاق الحق, السيد المرعشى, ج 10 ص 244.

3- (3) راجع: كشف الغمة, ابن أبى الفتح الأربلى, ج 2 ص 91.

هل هو نقص وعارض يعترى المرأة أو هو كمال بالنسبة للمرأة بحسب تركيبتها الفسيولوجية, وقبل الجوب يلزم أن نعرف حقيقة هذه الدماء (دماء الحيض) والحكمة من ورائها, فهى دماء فاسدة قد تخزّن فى الأوعية والأجهزة التى جعلها الله فى جسم المرأة ليكون ذلک الدم غذاءً للجنين فإذا لم يكن جنين فى رحم المرأة سال الدم إلى الخارج وربما انقلب إلى اللبن إذا كانت المرأة مرضعة. وأمّا طبيعة هذه الظاهرة فهى مؤذية ونقص بالنسبة للمرأة وقد صرح بذلک القرآن الكريم بقوله:(وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِى الْمَحِيضِ وَ لا ـ تَقْرَبُوهُنَّ حَتّى يَطْهُرْنَ)1 , لذلک ثبت أن دم الحيض مادة ضارة مؤذية فى جسم المرأة فلابد من خروجها لتنجو المرأة من أمراض وأعراض, وفى فترة العادة تعرض حوادث جسمية وروحية للمرأة تغير ملامحها ولون وجهها بل وأخلاقها ونفسيتها وأيضاً تشعر بالانفعال والخجل والانكسار وإن كان هذا الأمر خارجاً عن إرادتها واختيارها ولكنها تتألم بهذا الحادث الذى لا يحسن التصريح به لكل أحد وخاصة للرجال, وغير ذلک من السلبيات التى تلحق بالمرأة جراء الحيض والنفاس, ولهذا سقط عنها حكم الصلاة والصيام خلال فترة العادة وحرم عليها المكث بالمسجد والدخول إليه وغيرها من الأحكام.

ولكن الله تعالى كره لسيدة نساء العالمين أن تتلوث بهذه القذارات حيث أذهب عنها الرجس وطهرها تطهيراً, نعم إنّ الله قد جعل فى مخلوقاته قوانين وسنناً وجعل تلک المخلوقات خاضعة لتلک القوانين والسنن ولكن جعل أولياءه

فوق تلک القوانین والسنن فی ظروف خاصة لحکمة بالغة. من قبیل التناسل لا یمکن إلا بالتلقیح وانتقال نطفة الرجل إلی رحم المرأة وتطور النطفة إلی علقة ثم مضغة ثم عظام ثم خلق آخر إلی أن یکمل الجنین خلال ستة أشهر علی أقل تقدیر وتسعة أشهر کما هو الغالب, هذه سنة الله فی قانون التناسل, لکن هذه السنة والقانون ما کان خاضعاً بالنسبة لمریم علیهاالسلام عندما حملت بنبی الله عیسی علیه السلام فلم یمسسها بشر وحملت بولدها إلی أن جاءها المخاض فوضعت بعیسی علیه السلام وکل ذلک کان خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقط (1), وأیضا ما جری فی تعطیل هذا القانون بولادة زوجة نبی الله إبراهیم علیه السلام (سارة) حیث ولدت علی الکبر وکان هذا ما لا تسمح به العادة وأنه فوق القوانین والسنن الإلهیة (قالَتْ یا وَیْلَتی أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِی شَیْخاً إِنَّ هذا لَشَیْ ءٌ عَجِیبٌ. قالُوا أَ تَعْجَبِینَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَ بَرَکاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ)2 . وعلی غرار هذا تصدر المعجزات للأنبیاء والأولیاء عن طریق خرق العادة, فلا غرابة أن خرق الله العادة لسیدة النساء وجنبها هذا الأذی والنقص التی تحرم فیه من العبادة وغیرها.

کیفیة شهادتها

إضافة إلی کل الکرامات والفضائل التی حازت علیها فاطمة علیهاالسلام فقد نالت الشهادة فی خاتمة مطافها من حیاتها وهذه المنقبة لیس من السهل الوصول

1- (1) راجع: الکافی, الکلینی, ج 8 ص 332. مجمع البیان, الطبرسی, ج 6 ص 417.

والارتقاء إليها ولا يتسنى لكل أحد أن يتلبس بها إلا من حظا بالتوفيق والتسديد الإلهى, فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام فى سبب وفاتها عليهاالسلام قال: إنّ قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلک مرضاً شديداً، وكان على عليه السلام يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلک أسماء بنت عميس(1).

وذكر الجوهرى المتوفى سنة (323 ه -) بإسناده عن الحسن عليه السلام قال: فى يوم دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله يعدنها فقلن السلام عليک يا بنت رسول الله صلى الله عليه و آله كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكم, لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأى، وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون لا جرم قد قلدتهم ربقتها، وشنت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً، وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسى الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلک هو الخسران المبين، وما الذى نقموا من أبى الحسن، نقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره فى ذات الله... الخ(2).

وعن سليم بن قيس الهلالى قال: عندما حالت فاطمة عليهاالسلام بين القوم وبين على عليه السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط فماتت حين ماتت, وإن فى عضدها كمثل الدملج من ضربته(3).

1- (1) راجع: دلائل الإمامة, محمد بن جرير الطبرى, ص 134. وبحار الأنوار, المجلسى, ج 43 ص 170.

2- (2) راجع: السقيفة وفدک, الجوهرى, ص 120. ومعانى الأخبار, الشيخ الصدوق, ص 354.

3- (3) راجع: كتاب سليم بن قيس, تحقيق محمد باقر الأنصارى, ص 151.

وفی خبر آخر عندما حالت بینهم وبینه فاطمة عند باب البیت ضربها قنفذ بالسوط فماتت حین ماتت وأن فی عضدها کمثل الدملج من ضربته فألجأها إلی عضادة بیتها ودفعها فکسر ضلعها وألقت جنینها من بطنها فلم تزل صاحبة فراش حتی ماتت علیهاالسلام من ذلک شهیدة(1).

وقد ذکر الزرندی الحنفی, عن عمران بن دینار أن فاطمة لم تضحک بعد النبی صلی الله علیه و آله حتی قبضت لما لحقها من شدة الحزن علی أبیها صلی الله علیه و آله. (إلی أن یقول) وعن علی (رض) أنّ فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه و آله جاءت إلی قبر النبی صلی الله علیه و آله فوقعت علیه ثم أخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها علی عینیها وبکت وأنشأت تقول:

ماذا علی من شم تربة أحمد أن لا یشم مدی الزمان غوالیا

صبت علیّ مصائب لو أنها صبت علی الأیام صرن لیالیا(2)

وغیرها من الروایات التی تذکر وتؤکد الحالة المفجعة التی مرّت بها الزهراء علیهاالسلام فی حال شهادتها وما جری علیها, والحکم یبقی للقارئ الکریم ولکل إنسان منصف, ونحن نقتصر بهذا القدر فی ذکر شهادتها خوفاً من الإطالة.

فاطمة فی حالة الاحتضار

تتشرف الملائکة المقربون فی زیارة فاطمة علیهاالسلام عند نزع الروح وسکرات الموت وینقلون لها التحیة والسلام من الرفیق الأعلی, وهذا قلما یحدث إلا عند

1- (1) راجع: مجمع النورین, الشیخ أبو الحسن المرندی, ص 82.

2- (2) راجع: نظم درر السمطین, الزرندی الحنفی, ص 181. والشرح الکبیر, عبد الرحمن بن قدامة, ج 2 ص 430.

النوادر من الأنبياء والأولياء, فقد روى أنّه لما ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب عندها، وهى تفيق مرة ويغشى عليها أخرى من شدة المرض، وتجيل بصرها فى أولادها.

يقول الإمام على عليه السلام: إنها لما حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليک يا جبريل، السلام عليک يا رسول الله، اللهم احشرنى مع رسولک، اللهم اسكنى جنتک وفى جوارک ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربى، جبريل ورسول الله حاضرون عندى، وأبى يقول: القدوم إلينا, يقول على عليه السلام: فلما كانت الليلة التى أراد الله أن يكرمها ويقبضها إليه أخذت تقول: وعليكم السلام, يا بن عم، هذا جبريل أتانى مسلماً، وقال: السلام يقرئک السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده, اليوم تلحقين بالرفيق الأعلى وجنة المأوى ثم انصرف عنى ثم أخذت تقول: وعليكم السلام، وتقول: يا بن عم، هذا ميكائيل يقول كقول صاحبه, ثم أخذت ثالثا تقول: وعليک السلام، ثم فتحت عينيها شديداً وقالت: يا بن عم هذا والله الحق، عزرائيل نشر جناحه فى المشرق والمغرب، وقد وصفه لى أبى وهذه صفته ثم قالت: يا قابض الأرواح عجل بى ولا تعذبنى، ثم قالت: إليک ربى لا إلى النار، ثم غمضت عينيها، ومدت يديها ورجليها، وكأنها لم تكن حية قط (1).

فاطمة تفارق الحياة

الموت كما هو واضح يفاجئ الإنسان من دون أن يعرف زمانه ومكانه, إلا أولئک الذين خصهم الله بالمعرفة والعصمة فقد كانوا يعرفون مجارى الأمور ما

1- (1) دلائل الإمامة, محمد بن جرير الطبرى (الشيعى), ص 133. و بحار الأنوار, المجلسى, ج 43 ص 209.

ظهر منهـا ومـا خفى, ومن جملـة ذلک معرفتهم للآجال, حيث إنّ فاطمـة عليهاالسـلام كانت عالمـة بـدنو أجلها ومفارقـة أحبائها فقامت وتهيأت للقاء ربها وأبيها, حيث روى عن أسـماء أنّ فاطمة عليهاالسلام لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء: إن جبريل أتى النبى صلى الله عليه و آله (لما حضـرته الوفاة) بكافور من الجنة فقسـمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلى، وثلثاً لى، وكان أربعين درهما، فقالت يا أسـماء آتينى ببقية حنوط والدى من موضع كذا وكذا وضعيه عند رأسى، فوضعته, ثم قالت لأسماء حين توضأت وضوءها للصلاة، هاتى طيبى الذى أتطيب به، وهاتى ثيابى التى أصـلى فيها، فتوضأت ثم تسـجت بثوبها، ثم قالت: انتظرينى هنيئة وادعينى، فإن أجبتک وإلا فاعلمى أنى قدمت على أبى فأرسـلى إلى على. فانتظرت هنيئـة ثم نادتها، فلم تجبها، فكشـفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبلها، فبينا هى كـذلک إذ دخل الحسن والحسـين فقالا لها: يا أسـماء ما ينيم أمنا فى هـذه الساعـة، قالت: يا ابنى رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا أماه كلمينى قبل أن تفارق روحى بدنى، وأقبل الحسـين يقبل رجلها ويقول: أنا ابنک الحسـين كلمينى قبل أن يتصدع قلبى فأموت. قالت لهما أسـماء: يا ابنى رسول الله، انطلقا إلى أبيكما على فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسـجد رفعـا أصواتهما بالبكاء فقالا: قـد ماتت أمنا فاطمـة عليهاالسـلام فوقع على عليه السـلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بک أتعزى فبمن العزاء من بعدک؟ وأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الممات قليل

وإن افتقادی فاطم بعد أحمد دلیل علی أن لا یدوم خلیل(1)

وروی أیضا أنّه علیه السلام أنشأ قائلاً:

نفسی علی زفراتها محبوسة یا لیتها خرجت مع الزفرات

لا خیر بعدک فی الحیاة وإنما أبکی مخافة أن تطول حیاتی(2)

تشییعها وإعفاء قبرها

من الأدلـة القاطعة علی مظلومیة الزهراء علیهاالسـلام هو تشـییعها فی اللیل سـراً واعفاء قبرها, کی یبقی هذا الدلیل خالداً الی ظهور العدل علی ید المصـلح العالمی الموعود من قبل السـماء ولو کان غیر ذلک لجاز لأحد الأئمة علیهم السلام أن یهدی الناس الی قبرها ویرشدهم لزیارته والتبرک به ولکن شاءت الحکمـة الإلهیـة أن یکون خافیاً کی یکون دلیلاً علی مـدی مظلومیـة السـیدة فاطمة علیهاالسـلام للأجیال المتعاقبـة من جهـة, ومن جهـة أخری عدم اقتدار ید التحریف الی الإیهام والتعتیم علی ظلامة بنت رسول الله صـلی الله علیه و آله, وعلیه ذکره المؤرخون وأصحاب السّیر فی ذکر فاطمة حال وفاتها حیث قالوا: ارتفعت أصوات البکاء من بیت علی علیه السلام فصاح أهل المدینة صیحـة واحدة، واجتمعت نساء بنی هاشم فی دارها، فصـرخن صـرخة واحدة کادت المدینة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلی علی علیه السلام، وهو جالس، والحسن والحسین بین یدیه یبکیان، وخرجت أم کلثوم، وهی تقول: یا أبتاه یا رسول الله، الآن فقدناک حقاً لا لقاء بعده أبداً. واجتمع الناس فجلسوا وهم

1- (1) بیت الأحزان, الشیخ عباس القمی, ص 179.

2- (2) أنظر: مستدرک سفینة البحار, الشیخ علی النمازی الشاهرودی, ج 4 ص 73.

يضـجون، وينتظرون خروج الجنازة ليصلوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد اخِرَ إخراجها فى العشية. وأقبل أبو بكر وعمر يعزيـان علياً عليه السـلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسـبقنا بالصـلاة على ابنـة رسول الله صـلى الله عليه و آله, ولكن علياً غسـلها وكفنها هو وأسـماء فى تلك الليلـة ثم نادى: يا أم كلثوم، يا زينب، يا حسن، يا حسـين، هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء فى الجنة، وبعد قليل نحاهم أمير المؤمنين عليه السـلام عنها. ثم صلى على عليه السلام على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقـداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل. فلما هدأت الأصوات ونامت العيون ومضـى شـطر من الليل أخرجها أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها سراً وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، فدفنوها وعفوا تراب قبرها(1).

وروى الحاكم فى المسـتدرک عن عائشة أنّها قالت: دفنت فاطمة بنت رسول الله صـلى الله عليه و آله ليلاً ودفنها على ولم يشعر بها أبو بكر رضى الله عنه حتى دفنت وصلى عليها على بن أبى طالب رضى الله عنه(2).

ولها عليهاالسـلام وصـية فى ذلک جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صـلى الله عليه و آله: أوصت وهى تشـهد أن لاـ إله إلا الله وأن محمـداً عبـده ورسوله، وأن الجنـة حق، والنار حق، وأن الساعـة آتيـة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، يا على: أنا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله، زوجنى الله منک لأكون لک فى الدنيا

1- (1) الأنوار البهية, الشيخ عباس القمى, ص 62.

2- (2) المستدرک, الحاكم النيسابورى, ج 3 ص 162.

والآخرة، أنت أولى بى من غيرى، حنطنى وغسلنى وكفنى بالليل وصل على وادفنى بالليل ولا تعلم أحداً، وأستودعک الله وأقرأ على ولدى السلام إلى يوم القيامة(1).

الوداع الأخير

بعدما انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم، ونفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول التى تذكر به، وزوجته الودود التى عاشت معه الصفا والطهارة والتضحية، وتحملت من أجله الأهوال والصعاب, فأرسل دموعه على خديه، وحَوَّلَ وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: السلام عليک يا رسول الله، السلام عليک من ابنتک وحبيبتک وقرة عينک وزائرتک، والبائنة فى الثرى ببقعتک، المختار الله لها سرعة اللحاق بک، قَلَّ يا رسول الله عن صفيتک صبرى وضعف عن سيدة النساء تجلدى، إلا أن فى التأسى لى بسنتک، والحزن الذى حل بى لفراقک، موضع التعزى، ولقد وسدتک فى ملحودة قبرک، بعد أن فاضت نفسک على صدرى، وغمضتک بيدى وتوليت أمرک بنفسى. نعم، وفى كتاب الله أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله. أما حزنى فسرمد، وأما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبى أو يختار الله لى دارک التى أنت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله (بيننا)، وإلى الله أشكو، وستنبئک ابنتک بتظافر أمتک على، وعلى هضمها حقها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من عليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين. سلام عليک يا رسول الله، سلام

1- (1) الأنوار البهية, الشيخ عباس القمى, ص 61.

مودع لا ـ سئم ولا ـ قال، فإن أنصرف فلا ـ عن ملالة وإن أقم فلا ـ عن سوء ظنى بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن وأجمل. ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، وللبثت عنده معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سراً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله - يا رسول الله - المشتكى وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها ورحمة الله وبركاته(1).

تاريخ وفاتها

لا شک أنّ وفاتها عليهاالسلام كانت فى السنة الحادية عشرة من الهجرة؛ لأن النبى صلى الله عليه و آله حج حجة الوداع فى السنة العاشرة وتوفى فى أوائل السنة الحادية عشرة. واتفق المؤرخون على أن فاطمة عاشت بعد أبيها أقل من سنة، إلا أنهم اختلفوا فى يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً، فروى عن أبى بصير، عن الصادق عليه السلام قبضت فى جمادى الآخرة، يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه, سنة إحدى عشرة من الهجرة. وهو المختار. وبه قال الطوسى والطبرسيان والسيد بن طاووس والكفعمى. ويؤيده ما ورد أنها بقيت بعد أبيها خمسة وتسعين يوماً, وقريب منه ما روى أنها قبضت بعد ثلاثة أشهر من وفاة النبى صلى الله عليه و آله, أو مائة يوم, على التسامح فى زيادة خمسة أيام أو نقصها(2).

وروى أحمد ومسلم وابن سعد وغيرهم من الجمهور: عن عائشة أنها عاشت

1- (1) نهج البلاغة, ج 2 ص 182, الكافى, الشيخ الكلينى, ج 1 ص 459.

2- (2) راجع: موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام, لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم عليه السلام, ج 1 ص 150.

بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه و آله ستة أشهر(1). قال ابن سـعد: عن عروة أن فاطمة توفيت بعده صـلى الله عليه و آله بستة أشهر. قال محمـد بن عمر: وهو الثبت عنـدنا: وتوفيت ليلـة الثلاثـاء لثلاـث خلون من شـهر رمضان إحـدى عشـرة وهى ابنـة تسع وعشـرين سـنة أو نحوها(2). وأمّا الساعة التى توفيت فيها عليهاالسلام هى ما بين المغرب والعشاء, وقيل فى جوف الليل(3).

محل دفنها

تقدم أنّها عليهاالسـلام دفنت ليلاً وسراً وقد أعفى قبرها فليس من السهل أن يُشخّص قبرها ويتضح للعيان, فلذلک أختلف علماؤنا فى مكان دفنها ومحل قبرها, كما ذكره الشـيخ الطوسـى رحمه الله قال: إنّک تأتى الروضـة فتزور فاطمة عليهاالسـلام لأنّها مقبورة هناک، وقد اختلف أصحابنا فى موضع قبرها، فقال بعضهم: إنّها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: انها دفنت بالروضة، وقال بعضهم: إنّها دفنت فى بيتها، فلما زاد بنو أميـة فى المسـجد صارت من جملـة المسـجد، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين, والأفضل عنـدى (عند الشـيخ المفيد) أن يزور الإنسان من الموضعين جميعاً فإنه لا يضره ذلک, ويحوز به أجراً عظيماً، وأما من قال إنها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب(4).

1- (1) راجع: مسند أحمد, ج 1 ص 6. وصحيح مسلم, ج 2 ص 144. والطبقات الكبرى, ج 8 ص 23.

2- (2) راجع: الطبقات الكبرى, محمد بن سعد, ج 8 ص 28.

3- (3) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى, اليوسفى الغروى, ج 4 ص 152.

4- (4) تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسى, ج 6 ص 9.

وهذا بخلاف ما ذهب اليه الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: قبرها فی البقیع، وهو القبر الذی فیه ولدها الحسن علیه السلام(1).

استحباب زیارة فاطمة علیهاالسلام

اشارة

لا ریب أنّ للزهراء علیهاالسلام مکانة عظیمة عند الله ومحبة فی قلوب المؤمنین, ولو شاءت الحکمة أن یظهر قبرها لکان مزاراً أوسع مما یتصور ولا یقل شأنا عن غیره من المعصومین علیهم السلام, ومع أخفاء قبرها لا یسقط استحباب زیارتها کما کشفت عنه الروایات, وروی فی فضل زیارتها أکثر من أن یحصی.

فقد روی ابن یزید بن عبد الملک، عن أبیه، عن جده قال: دخلت علی فاطمة علیهاالسلام فابتدأتنی بالسلام، ثم قالت: ما غدا بک؟ قلت: طلب البرکة. فقالت: أخبرنی أبی وهو ذا، هو أنه من سلم علی ثلاثة أیام أوجب [الله] له الجنة. قال: فقلت لها: فی حیاته وحیاتک؟ قالت: نعم، وبعد موتنا(2).

أما زیارتها علیهاالسلام تقف علی قبرها أو علی أحد المواضع المحتملة وتقول: السلام علیک یا ممتحنة، امتحنک الذی خلقک قبل أن یخلقک، فوجدک لما امتحنک به صابرة، ونحن لک أولیاء ومصدقون، ولکل ما أتی به أبوک صلی الله علیه و آله، وأتی به وصیه علیه السلام مسلمون. ونحن نسألک اللهم إذ کنا مصدقین لهم أن تلحقنا بتصدیقنا لهم بالدرج العلیا لنبشر أنفسنا بأنا قد طهرنا بولایتهم علیهم السلام(3).

1- (1) المزار, الشیخ المفید, ص 177.

2- (2) تهذیب الأحکام, الشیخ الطوسی, ج 6 ص 10.

3- (3) المزار, الشیخ المفید, ص 177.

وذكرت زيارة أخرى

هو أن تقف وتقول: السلام عليک يا بنت رسول الله، السلام عليک يا بنت نبی الله، السلام عليک يا بنت حبيب الله، السلام عليک يا بنت خليل الله، السلام عليک يا بنت صفی الله السلام عليک يا بنت امين الله، السلام عليک يا بنت خير خلق الله، السلام عليک يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليک يا بنت خير البرية، السلام عليک يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليک يا زوجة ولی الله وخير الخلق بعد رسول الله صلی الله عليه و آله، السلام عليک يا أم الحسن والحسين سيدی شباب أهل الجنة، السلام عليک أيتها الصديقة الشهيدة, السلام عليک أيتها الرضية المرضية، السلام عليک أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليک أيتها الحوراء الإنسية، السلام عليک أيتها التقية النقية، السلام عليک أيتها المحدثة العليمة، السلام عليک أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليک أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليک يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلی الله عليک وعلی روحک وبدنک، اشهد انک مضيت علی بينة من ربک، وان من سرک فقد سر رسول الله صلی الله عليه و آله، ومن جفاک فقد جفا رسول الله صلی الله عليه و آله، ومن آذاک فقد آذی رسول الله صلی الله عليه و آله، ومن وصلک فقد وصل رسول الله صلی الله عليه و آله، ومن قطعک فقد قطع رسول الله صلی الله عليه و آله، لأنک بضعة منه وروحه التی بين جنبيه كما قال صلی الله عليه و آله، اشْهِدُ الله ورسله وملائكته أنی راضٍ عمن رضيت عنه وساخط علی من سخطت عليه ومتبرئ ممن تبرأت منه، موالٍ لمن واليت معادٍ لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت محب لمن أحببت وكفی بالله شهيداً وحسيباً وجازياً ومثيباً. ثم تصلی علی النبی والأئمة عليهم السلام إن شاء الله(1).

ص:287

1- (1) تهذيب الأحكام, الشيخ الطوسی, ج 6 ص 10.

من أزواج أمير المؤمنين

1 - خولة الحنفية

اشارة

هى السيدة خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن اللحم. وأمها أسماء بنت عمرو بن أرقم بن عبيد بن ثعلبة من بنى حنيفة(1). اختلف فى أمرها أنها سبيت أيام رسول الله صلى الله عليه و آله أم بعد وفاة النبى, فقد ذهب جمع من الأعلام (أمثال القطب الراوندى, والنووى, وابن عساكر وغيرهم) أنها كانت من سبى بنى حنيفة حين قتلهم خالد بن الوليد وقتل رئيسهم مالک بن نويرة وتزوج بامرأته من ليلته(2). وذلک بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله فى زمن خلافة أبى بكر. حتى أنّه لما قدم خالد, قال له عمر بن الخطاب: يا عدو الله قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته لأرجمنک، وفيه أن أبا قتادة شهد أنهم أذنوا وصلوا(3).

وقد أكثر أخوه متمم بن نويرة من بكائه ورثائه حتى ضربت بهما الأمثال, وقال متمم يخاطب ضرار بن الأزور قاتل أخيه بأمر خالد:

نعم القتيل إذا الرماح تناوحت بين البيوت قتلت يابن الأزور

ثم قال يخاطب خالداً:

أدعوته بالله ثم غدرته لو هو دعاک بذمة لم يغدر(4)

1- (1) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام, محمد بن سليمان الكوفى, ج 2 ص 48.

2- (2) سير أعلام النبلاء, الذهبى, ج 1 ص 378. وشرح مسلم, النووى, ج 1 ص 204.

3- (3) تاريخ الإسلام, الذهبى, ج 3 ص 36. أسد الغابة, ابن الأثير, ج 4 ص 296.

4- (4) مجمع الزوائد, الهيثمى, ج 6 ص 221.

وقيل: كان مُجّاعة بن مرارة الأسدى قد خطبها منهم فمنعوه منها, فحقد عليهم, فلما توفى النبى صلى الله عليه و آله واضطربت الأمور خرج مجّاعـة فى سـرية يطلب ثأره منهم, حتى اختلجها منهم ورجعوا من بلاد بنى عامر وقـد اسـتخرجوا معهم خولة ابنة جعفر(1). وقيل: أنّها سبيت فى أيام رسول الله صـلى الله عليه و آله، قالوا: بعث رسول الله صـلى الله عليه و آله علياً إلى اليمن، فأصاب خولـة فى بنى زبيـد، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدى كرب، وكانت زبيد سـبتها من بنى حنيفة فى غارة لهم عليهم، فصارت فى سـهم على عليه السلام، فقال له رسول الله صـلى الله عليه و آله: إن ولـدت منک غلاماً فسـمه باسـمى، وكنه بكنيتى، فولـدت له بعـد موت فاطمـة عليهاالسـلام محمداً، فكناه أبا القاسم(2).

وفى الإصابة: خولة بنت اياس بن جعفر الحافية والدة محمد بن على بن أبى طالب, رآها النبى صلى الله عليه و آله فى منزله فضحک ثم قال يا على أما انک تتزوجها من بعدى فتلد لک غلاماً فسمه باسمى وكنه بكنيتى وانحله(3).

من مآسى التاريخ

عنـدما ادخلوا السـبايا فى المسـجد وفيهن خولـة أم محمـد ابن الحنفيـة فجاءت إلى قبر رسول الله صـلى الله عليه و آله والتجأت به وبكت وقالت يا رسول الله أشكو إليک أفعال هؤلاء القوم سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون, ثم قالت أيها الناس لم سبيتمونا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله, فقالوا منعتم الزكاة, فقالت الأمر ليس على ما زعمت والأمر إنما كان كذا وكذا, وهب الرجال منعوكم فما

1- (1) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامى, اليوسفى الغروى, ج 4 ص 137.

2- (2) شرح نهج البلاغة, ابن أبى الحديد, ج 1 ص 244.

3- (3) الإصابة, ابن حجر, ج 8 ص 113.

بال النسوان المسلمات يسبين. ثم فقالت: ما بالكم يا معاشر العرب، تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم؟ فقيل لها: لأنكم قلتم: لا نصلى (ولا نصوم) ولا نزكى فقالت: ليس الأمر على ما زعمتم، والله ما قالها أحد من بنى حنيفة وإنّا نضرب صبياننا على الصلاة من التسع وعلى الصيام من السبع, وإنّا لنخرج الزكاة من حيث يبقى فى جمادى الآخرة عشرة أيام ويوصى مريضنا بها لوصية, والله يا قوم ما نكثنا ولا غيرنا ولا بدلنا حتى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا إنما قلنا: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يبعث كل سنة رجلاً يأخذ منا صدقاتنا من الأغنياء من جملتنا، يفرقها على فقرائنا فافعل أنت كذلك(1).

زواجها من أمير المؤمنين

اختار كل رجل منهم واحدة من السبايا, وجاء طلحة, وخالد بن عنان, ورميا بثوبين إلى خولة فأراد كل واحد منهما أن يأخذها من السبى, قالت: لا يكون هذا أبداً ولا يملكنى إلا من يخبرنى الكلام الذى قلته ساعة ولدت, قال أبو بكر: قد فزعت من القوم فكانت لم تر ذلك قبله فتكلم بما لا تحصيل له, فقالت والله إنّى صادقة, إذ جاء على بن أبى طالب عليه السلام فوقف ونظر إليهم وإليها وقال عليه السلام: اصبروا حتى أسألها عن حالها ثم ناداها يا خولة اسمعى الكلام, ثم قال عليه السلام: لما كانت أمك حاملة بك وضربها الطلق واشتد بها الأمر نادت اللهم سلمنى من هذا المولود فسبقت تلك بالنجاة, فلما وضعتك ناديت من تحتها لا إله إلا الله محمد رسول الله, عما قليل سيملكنى سيد سيكون له ولد منى, فكتبت أمك

1- (1) مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 2 ص 111.

ذلک الکلام فی لوح نحاس فدفنته فی الموضع الذی سقطت فیه, فلما کانت فی اللیلة التی قبضت أمک فیها أوصت إلیک بذلک, فلما کان فی وقت سبیکم لم یکن لک همٌّ إلا أخذ ذلک اللوح فأخذتیه وشددتیه علی عضدک الأیمن, هات اللوح فأنا صاحب ذلک اللوح وأنا أمیر المؤمنین وأنا أبو ذلک الغلام المیمون واسمه محمد, قال: فرأیناها وقد استقبلت القبلة وقالت إلهی أنت المتفضل المنان أوزعنی أن اشکر نعمتک التی أنعمت بها إلی ولم تعطها لأحد إلا أتممتها علیه, اللهم بصاحب من بیده التربة الناطق المنبئ بما هو کأس إلا أتممت فضلک علی, ثم أخرجت اللوح ورمت به إلیه فأخذه أبو بکر وقرأه عثمان فإنه کان أجود القوم قراءة وما ازداد ما فی اللوح علی ما قال علی علیه السلام ولا نقص, فقال أبو بکر: خذها یا أبا الحسن, ثم قالت: یا معاشر الناس، اشهدوا أنی قد جعلت نفسی له عبدة. فقال علیه السلام: لا بل قولی زوجة. فقالت: اشهدوا أنی قد زوجته نفسی کما أمرنی أهلی. فقال علیه السلام: قد قبلتک زوجة، فماج الناس. فبعث بها علی علیه السلام إلی بیت أسماء بنت عمیس فزینتها وتزوج بها وعلقت بمحمد وولدته(1).

وعن أبی سعید الخدری، قال: دخلت خولة المسجد وشرحت ما شرحت، ولم یکن علی علیه السلام حاضراً، وقد عرض علیها جماعة الصحابة، وکانت تسأل الرجل (عن) اسمه (حتی) (أتاها) رجل اسمه علی، فقالت له: من أنت؟ فقال: علی بن عبد الله الغرانی. فقالت: لو کنت ابن أبی طالب فإنی لا اسلم نفسی إلا إلیه، بذلک أمرنی والدی، فعند ذلک اعلم أمیر المؤمنین علیه السلام فجاء(2).

1- (1) الخرائج والجرائح, قطب الدین الراوندی, ج 2 ص 565. والأنوار العلویة, الشیخ جعفر النقدی، ص 437.

2- (2) مدینة المعاجز, البحرانی, ج 2 ص 219.

2 - أم البنين الكلابية

اشارة

هى السيدة فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر المعروف بالوحيد ابن كلاب بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أمها ثمامة بنت سهيل بن عامر ابن مالک بن جعفر بن كلاب(1).

والشاعر لبيد: هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى، عم حزام بن خالد بن ربيعة, الذى قال عنه النبى صلى الله عليه و آله: أصدق كلمة قالتها العرب، كلمة لبيد:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل(2)

أما كيفية زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم ابغ امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لى غلاماً فارساً, فقال له أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية, فإنه ليس فى العرب أشجع من آبائها ولا أفرس, فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس, وعثمان, وجعفر الأكبر, وعبد الله, قتلوا مع الحسين عليه السلام ولا بقية لهم إلا للعباس(3).

وكانت هذه السيدة الجليلة من الشخصيات المتألقة فى التاريخ الإسلامى, وتنتسب إلى أسرة لا نظير لها فى الشجاعة والشهامة والقتال. وقد ذكر أن آباءها من أشجع العرب وأثبتهم وأشدهم قتالاً وكانت أم البنين شاعرة مفوهة جليلة.

1- (1) العباس, المقرم,ص 125.

2- (2) مستدرک سفينة البحار, الشيخ على النمازى الشاهرودى, ج 9 ص 217.

3- (3) أعيان الشيعة, السيد محسن الأمين, ج 7 ص 429. مقاتل الطالبيين, أبو الفرج الأصفهانى,ص 7 ص 53.

أم البنين ترثى أولادها

ذكر المؤرخون أنّها كانت تخرج إلى البقيع فى كل يوم ترثيهم وتحمل ولد العباس عبيد الله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجى الندبة، من قولها رضى الله عنها, من جملة رثائها وشعرها هو:

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد

ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذى لبد

أنبئت أن ابنى أصيب برأسه مقطوع يد

ويلى على شبلى أما ل برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك فى يد يه لما دنا منه أحد

وقولها عليهاالسلام:

لا تدعونى ويک أم البنين تذكرينى بليوث العرين

كانت بنون لى أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم فكلهم أمسى صريعاً طعين

يا ليت شعرى أكما أخبروا بأن عباساً قطيع اليمين(1)

موقف من إيمانها

لما دخل بشير بن حذلم المدينة المنورة لينعى الحسين عليه السلام التقى بأم البنين

1- (1) أبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام, الشيخ محمد السماوى, ص 64.

(وهی أم العباس) فقال لها عظم الله لک الأجر بولدک عبد الله قالت له: أسألک عن سیدی ومولای الحسین. قال لها: عظم الله الأجر بولدک جعفر قالت له: أسألک عن سیدی ومولای الحسین. قال لها: عظم الله لک الأجر بولدک عثمان قالت له: أسألک عن سیدی ومولای الحسین قال لها: عظم الله لک الأجر بولدک العباس قالت له: أسألک عن سیدی ومولای الحسین. فقال:

یا أهل یثرب لا مقام لکم بها قتل الحسین فأدمعی مدرار

الجسم منه بکربلاء مضرج والرأس منه علی القناة یدار

فصاحت ولطمت خدها، وشقت جیبها ونادت: وا حسیناه وا سیداه، ثم أنشدت:

لا تدعونی ویک أم البنین تذکرینی بلیوث العرین(1)

لقد کانت السیدة أم البنین تکنُّ فی نفسها من المودة والحب للحسن والحسین علیهماالسلام ما لا تکنه لأولادها الذین کانوا ملء العین فی کمالهم وآدابهم, لقد قدمت أم البنین أبناء رسول الله صلی الله علیه و آله, علی أبنائها فی الخدمة والرعایة، ولم یعرف التاریخ أن ضرة تخلص لأبناء ضرتها وتقدمهم علی أبنائها سوی هذه السیدة الزکیة، والسیدة فاطمة بنت أسد الهاشمیة لرسول الله صلی الله علیه و آله، فقد کانت تری ذلک واجبا دینیا؛ لأن الله أمر بمودتهما فی کتابه الکریم، وهما ودیعة رسول الله صلی الله علیه و آله وریحانتاه، وقد عرفت أم البنین ذلک فوفت بحقهما وقامت بخدمتهما خیر قیام.

1- (1) المجالس الفاخرة فی مصائب العترة الطاهرة - السید شرف الدین - ص 245.

تاريخ وفاة أم البنين عليهاالسلام

اختلف المؤرخون فى تعيين زمـان وفـاة أم البنين عليهاالسـلام, فـذهب بعضـهم إلى أنّهـا توفيت فى الثـالث من جمادى الآخرة سـنة 61 للهجرة, بعد مقتل الحسين عليه السلام. ويفهم منه أنّ أم البنين توفيت بعد مقتل الحسين عليه السلام بلا فصل.

وذهب البعض الآخر إلى أنّها توفيت فى الثالث عشـر من جمادى الآخرة سـنة 64 للهجرة, وهناك روايـة تؤيد هذا الرأى بخصوص توقيت اليوم والشـهر دون السـنة, فقد ورد عن الأعمش قال دخلت على الإمام زين العابدين فى الثالث عشر من جمادى الآخرة وكان يوم الجمعة, فدخل الفضل بن العباس وهو باک حزين وهو يقول لقد ماتت جدتى أم البنين(1).

يقول السالكى يظهر أنّ المخبر الباكى هو الفضل, مع أنّ الفضل مات صـغيراً, وإنّ أهل السير يقولون إن إرث العباس صار إلى عبيد الله بن العباس, وإنّ نسـله منه فقط, فالصـحيح أنّه عبيدالله, إلا أن يقال الفضل مات بعد هذا الخبر, ثم انتقل الإرث إلى عبيدالله وهم ينظرون إلى النتيجـة, هى أنّ ارث العبـاس وصـل إلى أمه والى أبنـائه, وارث أخوة العبـاس وصـل إلى أمه وورثهـا أبناء العباس, ثم لـم يبقَ من الأبناء إلاّ عبيدالله وورث هو كل المال فهو الوارث بعدهم.

وكان عبيدالله بن العباس من العلماء ويوصف بالكمال والمروءة والجمال ومات وله خمس وخمسون سنة(2).

ص:295

1- (1) راجع: كتاب أم البنين, محمد على السالكى, ص 201.

2- (2) المصدر نفسه, ص 205.

وقبر أم البنين عليهاالسلام بالبقيع؛ لأنها لم تخرج إلى بلد آخر بعد مقتل الحسين عليه السلام فمدفنها فى المدينة وهو المشهور الآن(1).

3 - ليلى النهشلية

هى ليلى بنت مسعود بن جابر بن مالک بن ربعى بن سلم بن جندل بن نهشل ابن دارم بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

ولدت للإمام أمير المؤمنين عليه السلام محمداً الأصغر المكنى أبا بكر وعبيدالله, الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف(2). وقيل: قتل عبيد الله مع مصعب يوم المختار(3).

4 - أسماء بنت عميس الخثعمية

أسماء بنت عميس الخثعمية رضى الله عنها, هى أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه و آله, وأخت لبابة زوج العباس بن عبد المطلب, وأخت سلمى بنت عميس زوج حمزة, هاجرت مع زوجها جعفر بن أبى طالب عليه السلام إلى الحبشة, وأعقبت أسماء من جعفر بن أبى طالب الطيار ثمانية بنين, وهم عبد الله، وعون، ومحمد الأكبر، ومحمد الأصغر، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وحميد، وحسين, أما محمد الأكبر فقتل مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام بصفين. وأما عون ومحمد الأصغر فقتلا مع ابن عمهما الحسين عليه السلام يوم الطف, وأما عبد الله الأكبر فهو أحد أجواد

1- (1) راجع: كتاب أعمال الحرمين, بن الشيخ منصور المرهون, ص 191.

2- (2) الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 1 ص 354.

3- (3) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام, محمد بن سليمان الكوفى, ج 2 ص 49.

بنی هاشم الأربعة وهم: الحسن والحسین وعبد الله بن العباس وهو الرابع علیهم السلام. ولم یبایع رسول الله صلی الله علیه و آله طفلاً غیر هؤلاء الأربعة, ولد بأرض الحبشة, وله فی الجود أخبار کثیرة حتی لقب بقطب السخاء، حضر مع عمه صفین، وعقد له یوم الجمل علی عشرة آلاف، ولیس لجعفر عقب إلا منه. فلما قتل جعفر بن أبی طالب علیه السلام تزوجها أبو بکر فأولدت له محمداً حبیب علی علیه السلام ورببب حجره ووالیه علی مصر، قتله معاویة بن أبی سفیان, وللإمام علیه السلام عند قتل محمد بن أبی بکر خطبة موجودة فی النهج ولما مات أبو بکر، تزوجها أمیر المؤمنین علیه السلام فأولدت له یحیی بإجماع، واختلف فی عون بن علی بن أبی طالب فقیل إنه منها(1). وقیل: ولدت للإمام یحیی وعون. وقیل ومحمدا الأصغر(2).

وأسماء لها مقام عظیم عند الله وأهل البیت, وکانت من أولیات النساء اللآتی آمنَّ بالنبی صلی الله علیه و آله, وقد حظیت بمدحٍ علی لسان النبی صلی الله علیه و آله وأهل البیت حتی کانت من المبشرات بالجنة, کما روی عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السلام قال: سمعته یقول: رحم الله الأخوات من أهل الجنة، فسماهن أسماء بنت عمیس الخثعمیة، وکانت تحت جعفر بن أبی طالب, وسلمی بنت عمیس الخثعمیة وکانت تحت حمزة، وخمس من بنی هلال(3).

وذکر ابن الأثیر: أن عمر قال لها نعم القوم لولا أننا سبقناکم إلی الهجرة، فذکرت ذلک للنبی صلی الله علیه و آله فقال: بل لکم هجرتان: إلی أرض الحبشة وإلی

1- (1) الاحتجاج, الشیخ الطبرسی, ج 1 ص 125.

2- (2) شرح إحقاق الحق, السید المرعشی, ج 32 ص 675.

3- (3) الخصال, الشیخ الصدوق, ص 363.

المدينة(1). وكانت رفيقـة الزهراء عليهاالسـلام وصاحبتها وهى التى اقترحت عليها أن يضع جثمانها الطاهر فى التابوت وأعانت الإمام عليه السلام على غسلها, وكانت من رواة الحديث(2).

5 - أمامه بنت أبى العاص

وهى أمـامه بنت أبى العـاص بن الربيع بن عبـد العزى بن عبـد مناف القرشـية العبشـمية, وأمها زينب بنت رسول الله صـلى الله عليه و آله, وكانت زينب قد تزوجت أبا العاص قبل الإسـلام, وهو (أبو العاص) ابن أخت خديجة عليهاالسـلام, وزينب أنجبت ولدين هما: على الذى مات صـغيراً, وأمامه التى كان يحبها النبى صـلى الله عليه و آله ويلاطفها, وتزوجها الإمام على عليه السـلام بوصـية الزهراء عليهاالسلام إذ وصته أن يتزوجها, وقالت: إنها تكون لولدى مثلى(3).

وزوجها منه الزبير بن العوام؛ لأن أباها قـد أوصاه (أوصـى الزبير) بها, فلما جرح على عليه السـلام خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبـد المطلب أن يتزوجها بعـده, فلما توفى علىٌ عليه السـلام وقضت العـدة تزوجها المغيرة, فولدت له يحيى وبه كان يكنى, فهلكت عند المغيرة وبقيت عنده حدود الخمسين للهجرة(4).

1- (1) اسد الغابة, ابن الأثير, ج 5 ص 296.

2- (2) أنظر: موسوعة الإمام على, رى شهرى, ج 1 ص 111.

3- (3) أنظر: كتاب سليم بن قيس, ج 2 ص 870. وأسد الغابة, ابن الأثير, ج 5, ص 400.

4- (4) أنظر: أسد الغابة, ابن الأثير, ج 5, ص 400. وأعيان الشيعة, السيد محسن الأمين, ج 3 ص 473.

وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ علياً لما حضرته الوفاة قال لأمامه بنت أبى العاص إنى لا آمن أن يخطبک هذا الطاغية بعد موتى (يعنى معاوية) فإن كان لک فى الرجال حاجـة فقـد رضـيت لک المغيرة بن نوفل عشـيراً, فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها عليه ويبـذل لها مائة ألف دينار, فلما خطبها أرسـلت إلى المغيرة بن نوفل إنّ هذا قد أرسل يخطبنى, فإن كان لک بنا حاجة فأقبل, فأقبل وخطبها من الحسن بن على عليهماالسلام فزوجها(1).

1- (1) أنظر: الاستيعاب, ابن عبد البر, ج 4 ص 1789.

الفصل الخامس: شهربانو أم الإمام السجاد عليهما السلام

اشارة

ص:301

اسمها ونسبها

اشارة

أختلف المؤرخون وأصحاب السّير فی تشخيص اسمها عليهاالسلام, وأيضا فی نسبها, فالمشهور قالوا: هی شاه زنان, أو شهر بانو, كما مرّ ذكره فی صحيفة الزهراء عليهاالسلام... (إلی قوله) أبو محمد علی بن الحسين العدل أمه شهربانو بنت يزدجرد, بالإضافة إلی الشواهد التاريخية التی يأتی ذكرها. ومعنی شاه زنان أی ملكة النساء, وشهر بانويه أی ملكة المدينة. وقيل: سلامة، وقيل: غزالة، وقيل: خولة علی اختلاف الروايات, وقد ذكر المجلسی عن المبرد قال: كان اسم أم علی بن الحسين عليهماالسلام سلافة من ولد يزدجرد, معروفة النسب من خيرات النساء(1). وربما يعود اختلاف الروايات فی تسميتها إلی ما قيل: من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سألها يوماً عن اسمها، فقالت: شاه زنان, فقال عليه السلام: أنت شهربانو. وأظن هذا التغير الذی صدر من الإمام لأجل اختصاص الزهراء عليهاالسلام بذلک, كما سيأتی بيانه إن شاء الله.

أمّا أبوها: هو يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسری أبرويز بن هرمز بن انوش, روان الملک العادل، وكان يزدجرد آخر ملوک الفرس(2).

1- (1) بحار الأنوار, المجلسی, ج 46 ص 16.

2- (2) شرح أصول الكافی, مولی محمد صالح المازندرانی, ج 7 ص 236.

وقيل: هو يزدجرد بن شهريار ابن كسرى بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام حور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف وهؤلاء كلهم ملوك(1). وقيل: شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز...(2).

اكاذيب واهية فى نسب أم السجاد عليه السلام

ذكر ابن عنبة فى ذيل كلامه قولاً فى اختلاف نسب السيدة شهربانو, فقال قد منع البعض من انتساب أم الإمام السجاد عليه السلام إلى يزدجرد الذى هو أحد ملوك الفرس, حيث قالوا: إنّ كثيراً من النسابين والمؤرخين قالوا إن بنتى يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان. وقيل إن أم زين العابدين عليه السلام من غير ولده. وقد أغنى الله تعالى على بن الحسين عليهماالسلام بما حصل له من ولادة رسول الله صلى الله عليه و آله عن ولادة يزدجرد بن شهريار المجوسى المولود من غير عقد على ما جاءت به التواريخ، والعرب لا تعد للعجم فضيلة وإنْ كانوا ملوكاً ولو اعتدوا بالملك فضيلة لوجب أن يفضلوا العجم على العرب ويفضلوا قحطان على عدنان، ولكن ليس ذلك عندهم شيئاً يعتد به. وقد لهج بعض العوام وكثير من بنى الحسين عليه السلام بذكر هذه النسبة وقالوا: جمع على بن الحسين عليهماالسلام بين النبوة والملك وليس ذلك بشىء(3).

وقد تمسك شرذمة من أصحاب الضغائن والأحقاد من الشعوبيين والليبراليين فى ما ذكره ابن عنبة وقاموا بتوسعة الاشكال وتغيير حقائق التاريخ,

---

1- (1) المجموع, محيى الدين النووى, ج 10 ص 391.

2- (2) مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 3 ص 311.

3- (3) أنظر: عمدة الطالب, ابن عنبة ص 193.

فقـد حاولوا أنّ يجعلوا الحق كذباً والكذب حقاً, حيث قالوا إنّ أمّ الإمام السـجاد عليه السـلام ليست أَمَة, بل جعلوها بدلاً من ذلک عدنانية قرشـية تيمية, فقالوا إنّها الفاضـلة أم إسـحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمى. وعمدة ما اسـتندوا إليه هو ما ذكره صاحب عمدة الطالب (ابن عنبة) من أنّ الأمام السـجاد عليه السلام وأخته فاطمة بنت الحسين أم فاطمة بنت الحسين هى أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله هما أشقاء من نفس الأم, وعليه تكون هى أيضاً أم الأمام السجاد عليه السلام, وغير ذلک كما تقدم من كلام ابن عنبة(1).

والصحيح

إنّ ابن عنبـة فى أول كلاـمه بشـكل صـريح أثبت رأى المشـهور أنّهـا شـاه زنـان بنت يزدجرد, حيث قـال بنص عبارته: وقـد اختلف فى أمه فالمشـهور أنها شاه زنان بنت كسـرى يزدجرد بن شـهريار بن أبرويزد، وقيل إن اسـمها شـهربانو، قيل نهبت فى فتـح المـدائن فنفلها عمر بن الخطاب من الحسـين عليه السـلام وقيل بعث حريث بن جابر الجعفى إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام ببنتى يزدجرد بن شهريار فأخذهما وأعطى واحدة لابنه الحسين عليه السلام فأولدها على بن الحسين عليه السلام وأعطى الأخرى لمحمد بن أبى بكر فأولدها القاسم الفقيه ابن محمد بن أبى بكر فهما ابنا خالة، وقال ابن جرير الطبرى: اسـمها غزالة وهى من بنات كسرى. وقال المبرد: هى سلامة من ولد يزدجرد(2), هذا أولاً.

1- (1) انظر: كتاب كذبة فارسية يفضحها الحق العربى, عبد الحميد العلوجى.

2- (2) عمدة الطالب, ابن عنبة, ص 192.

وثانياً: أنّه (ابن عنبة) كان يتناول الموضوع من حيث الفخر بالأنساب ليس لغرض إثبات حقيقة تاريخية, فقال: إنه إذا كان للحسينيين فخر بولادة جدهم على زين العابدين عليه السلام من أحدى بنات كسرى فالفخر متحقق أيضاً للحسنيين لأن فاطمة بنت الحسين قد تزوجت من الحسن المثنى بن الإمام الحسن الزكى عليه السلام وولدت له أولاده الحسن المثلث وعبد الله المحض وإبراهيم وهى فيما يقال من أم على زين العابدين عليه السلام, وأنت ترى أنه لم يجزم بهذه الصلة الجديدة للحسنيين بل أستخدم عبارة (فيما يقال), ولم ينقل هذه الصلة أحد من المؤرخين قبل ابن عنبة فى عمدة الطالب ولا بعده، ولو كانت هذه الصلة معروفة لشاعت ونقلها العديد من المؤرخين ولكن ذلك لم يحدث.

وثالثاً: أنّ المستشكل نفسه قدذكر فى قائمة مصادر كتيبه (26) مصدراً لم يحتوِ أيٌّ منها على تصريح أو تلميح أو أشارة أو افتراض إلى أنّ أم السجاد عليه السلام عربية، بل الكتب التاريخية والتراثية متأرجحة بين كون أمّه امَة أو امَة من بنات كسرى.

رابعاً: أنّ الإمام الحسن بن أمير المؤمنين عليهماالسلام قد تزوج من أم إسحاق بنت طلحة فولدت له طلحة والحسين وفاطمة, ثم خلف على أم إسحاق بعد الحسن عليه السلام أخيه الحسين عليه السلام، وكلمة (خلف) تحتمل معنيين الأول أنّ الحسين عليه السلام تزوج أم إسحاق بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام والثانى أنّه عليه السلام تزوجها بعد طلاق أخيه عليه السلام لها، والمعنى الأول هو الأكثر شيوعاً واستعمالاً عند العرب لكلمة (خلف) إضافة الى ما أثبته المؤرخون, وكيف كان فإنّ الإمام الحسن عليه السلام

قد استشـهد سنة (50) ه – وزواج الإمـام الحسـين عليه السـلام من أم إسـحاق كان بعـد هـذا التاريـخ فيما نجـد أنّ ولادة الإمام على زين العابدين عليه السلام كانت عام (37) ه – وعليه فإنّ أم إسـحاق لا يمكن أنْ تكون أمّاً له لأنها حين ولادته كانت حليلـةً للأمام الحسن عليه السلام.

خامساً: أنّ الإمام محمداً الباقر عليه السـلام هو أول من جمع ولادة الحسن والحسين عليهماالسلام؛ لأن أباه الإمام علياً زين العابدين عليه السـلام قد تزوج من ابنة عمه أم عبدالله فاطمة بنت الأمام الحسن عليه السـلام وأمها أم إسـحاق بنت طلحة فولدت له أبنه الإمام الباقر عليه السلام، (كما سيأتى فى محله مفصلاً) فلو كانت ام إسحاق هى التى ولدت الإمام علياً زين العابدين عليه السلام بحسب مزاعم المستشكل لما جاز له أنْ يتزوج من فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام لأنها حينئذٍ ستكون أخته من جهة الأم.

سادسـاً: أنّ هنـاک وثيقـة تاريخيـة فى النصف الأـول للقرن الثانى الهجرى تشـير إلى أنّ أم الإمام على زين العابـدين عليه السـلام هى أَمَة وليست عربية كما زعم، وهذه الوثيقة إضافة إلى أنها قريبة من عصر الإمام على زين العابدين عليه السلام فقد وردت بلسان شخص بعيد عن شبهة التأثير الشـعوبى والدس الفارسـى, وهى رسالة كتبها الخليفة العباسى الثانى أبو جعفر الملقب بالمنصور, إلى محمد الملقب بالنفس الزكيـة بن عبـد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السـلام لما ثار الأخير عليه، وقـد ذكرها ابن خلدون فى تأريخه، جاء فيها: وما ولد قبلكم مولود بعد وفاة رسول الله صـلى الله عليه و آله أفضل من على بن الحسـين وهو لأم ولد (يقصد أَمَه) ولقد كان خيراً من جدک حسن بن حسن ثم ابنه محمد خير من أبيک وجدته أم

ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منک(1).

وهناک عشرات الکتب تاریخیة وحدیثیة لدی الفریقین تذکر أنّها أمة فارسیة بنت یزدجرد, ولکنّ العداء یعمی الأبصار والبصائر, حتی جعل شریعتی هو الآخر یطعن بروایة تذکر مقام وفضل السیدة شهربانو ویتخذها سبباً لنفی زواج شهربانویة بنت یزدجرد بالإمام الحسین علیه السلام, أو أنّها أم للإمام السجاد علیه السلام, ویحول الموضوع إلی مساجلات واهیة واستنتاجات باطلة لا تستند إلی أی دلیل ولا تعبر إلا عن مجموعة أوهام أراد من إظهارها التنفیس وإثارة النعرات الطائفیة والقومیة(2), فقد تناسی ما علیه الجمهور وغیرهم من ثبوت هذه الحقیقة فی تواریخهم وأحادیثهم, ولماذا لا تکون هذه الحملات الشعواء والاستنتاجات الفاسدة علی امَّهات الأئمة الباقین الذین کانت امَّهاتهم جواریَ أیضا وغیر عربیات, فهناک سبعة أئمة امَّهاتهم جوارٍ وغیر عربیات, أمثال أم الإمام الکاظم علیه السلام (حمیدة البربریة) فلِمَ لم یقال انّهم (الشیعة) احیوا البربر کما احیوا الدولة الساسانیة, أو لهم میول للبرابرة, وغیرها من التهاترات التی لا تستحق الإطالة والوقوف عندها.

وهکذا تتکشف الحقائق ویتضح الخطأ الذی وقع فیه البعض بادعائهم النسب العربی لأم السجاد علیه السلام, وأسأل الله أنّ یبعد الأمة الإسلامیة من هذه الأمراض الخطیرة التی تجرّ الویل للإسلام والمسلمین.

1- (1) تاریخ ابن خلدون, ابن خلدون, ج 4 ص 6.

2- (2) انظر: کتاب التشیع العلوی والتشیع الصفوی, الدکتور علی شریعتی, تحت عنوان: عروس المدائن فی المدینة, ص 124.

اشکال وجواب

وأمـا مـا ذکر من أنّ أباهـا کـان مولوداً من غیر عقـد؛ وهـذا ینـافی ما علیه اعتقاد الأمامیـة فی طهارة آباء المعصومین علیهم السـلام. فنقول باختصار: ثبت أن لکل قوم نکاحاً, کما جاء فی الحدائق عن أبی بصـیر قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: نهی رسول الله صلی الله علیه و آله أن یقال للإماء یا بنت کـذا وکذا، وقال: لکل قوم نکاح. أقول: فیه دلالة علی عدم جواز قذف أصـحاب الملل والأدیان والطعن فی أنسابهم بما خالف مقتضی شریعتنا إذا کان سائغاً فی شرایعهم، وعلیه تدل جملة من الأخبار(1).

ومنها, ما رواه فی التهذیب عن عبد الله بن سنان فی الحسن قال: قذف رجل رجلاً مجوسیاً عند عن أبی عبد الله علیه السلام فقال: مه، فقال الرجل: إنه ینکح أمه وأمته، فقال: ذاک عندهم نکاح فی دینهم(2).

وعن أبی بصـیر عن أبی عبد الله علیه السـلام قال: کل قوم یعرفون النکاح من السفاح فنکاحهم جائز(3). إلی غیر ذلک من الأخبار. مع أنّ دعواهم بعیدة عن الواقع ولم تکن ثابتة ومسلمة, وإنّما مجرد استیحاء وتوهم.

إضافة إلی ذلک یمکن أن یقال إنّها کانت فی أسرة محتشمة مراعیة لآداب العفّة ولو بحسب أعرافهم, کما یظهر ذلک من النصوص التاریخیة, منها: حین إدخالها علی الخلیفة الثانی فقد غطت وجهها وتأوهت...., کما سیأتی. وذلک

1- (1) الحدائق الناضرة, المحقق البحرانی, ج 24 ص 330.

2- (2) تهذیب الأحکام, الشیخ الطوسی, ج 7 ص 487. والکافی, الشیخ الکلینی, ج 5 ص 574

3- (3) . تهذیب الأحکام, الشیخ الطوسی, ج 7 ص 475.

يعكس لنا أنّها عاشت فی ظروف اسـرية واجتماعيـة مراعيـة قد أثرت بها وبسـلوكها. ومنها أيضاً ما كشف عنه الإمام علی عليه السـلام حين سألها قائلاً: ما حفظت عن أبيک بعـد وقعـة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله علی أمر ذلت المطامع دونه، وإذا انقضـت المـدة كان الحتف فی الحيلـة. فقال عليه السـلام: ما أحسن ما قال أبوک تذل الأمور للمقادير حتی يكون الحتف فی التدبير(1). فيظهر من سؤال الإمام عليه السـلام وتأييده واسـتحسانه لقول أبيها أنّ أباها من الشخصـيات ذات العلم والمكانة. وأيضا الرؤيا التی رأتها فی المنام من دخول النبی صلی الله عليه و آله وأهل البيت عليهم السلام دارهم لغرض خطبتها, كما سيأتی.

مقتل والدها يزدجرد

اشارة

ذكر ابن الأثير فی أحـداث سـنة إحـدی وثلاثين مقتل يزدجرد بن شـهريار, حيث قال: قـد اختلف الناس فی سـبب قتله, فقيل إنه هرب من كرمان فی جماعة يسـيرة إلی مرو ومعه خرزاد أخو رستم فرجع عنه إلی العراق ووصی به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزدجرد مالاً فمنعه فخافه أهل مرو علی أنفسـهم فأرسلوا إلی الترک يستنصروهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد ماشياً إلی شط المرغاب فأوی إلی بيت رجـل ينقر الأرحـاء فلما نام قتله، وقيل: بل بيته أهل مرو ولـم يستنصـروا بالترک فقتلوا أصـحابه وهرب منهم فقتله النقار وتبعوا أثره إلی بيت الذی ينقر الأرحاء فأخذوه وضـربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله. وأخرج يزدجرد من النهر وجعل فی تابوت وحمل إلی إصطخر فوضع فی ناووس هناک. وقيل إن

1- (1) الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 1 ص 302.

يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيئاً يسيراً فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم زائراً فحجبه بوابه ليستأذن له فضربه وشج أنفه وحمية لحجبه إياه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فلما نظر إليه أفظعه ذلک فرحل عن أصبهان من ساعته فأتى الرى فخرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها وقال له إن أنت لم تجبنى يومک هذا ثم أتيتنى بعد ذلک فلم أقبلک ولم أرک فلم يجبه. وقيل مضى من فوره ذلک إلى سجستان ثم سار إلى مرو فى ألف فارس، وقيل: بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثاً فطلب إليه دهقانه شيئاً فلم يجبه فجره برجله وطرده عن بلاده فسار إلى سجستان فأقام بها نحواً من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهم إلى العرب فسار إلى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه فى رؤسائهم فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوک الصين وملک فرغانة وملک كابل وملک الخرز يستمدهم وكان الدهقان يومئذ بمرو ماهوية أبو براز فوكل ماهويه بمرو ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد خوفاً من مكره فركب يزدجرد يوماً وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل وأومأ إليه أبوه أن لا يفعل ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد فأعلمه بذلک واستأذنه فى قتله وقال إن فعلت صفت لک الأمور بهذه الناحية فلم يأذن له. وقيل: أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهوية إلى صنجان ابن أخيه فبلغ ذلک ماهويه فعمل فى هلاک يزدجرد فكتب إلى نيزک طرخان يخبره أن يزدجرد وقع إليه

مفلولاً يدعوه إلى القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له إن فعل أن يعطيه كل يوم ألف درهم فكتب نيزک إلى يزدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقدم عليه بنفسه إن أبعد عسكره وفرخزاد عنه فاستشار يزدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى أن تبعد عنک أصحابک وفرخزاد وقال أبو براز أرى أن تتألف نيزک وتجيبه إلى ما سأل فقبل رأيه وفرق عنه جنده وأمر فرخزاد أن يأتى أجمة سرخس فصاح فرخزاد وشق جيبه وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبى براز به وقال يا قتلة الملوک قتلتم ملکين وقال أظنکم قاتلى هذا. ولم يبرح فرخزاد حتى کتب له يزدجرد بخط يده أنه آمن وأنه قد أسلم يزدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه وأشهد بذلک. وأقبل نيزک فلقيه يزدجرد بالمزامير والملاهى أشار عليه بذلک أبو براز فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزک ماشياً، فأمر له يزدجرد بجنيبة من جنائبه، فرکبها، فلما توسط عسکره توافقا فقال له نيزک فيما يقول زوجنى إحدى بناتک حتى أناصحک فى قتال عدوک. فسبه يزدجرد فضربه نيزک بمقرعته وصاح يزدجرد غدر الغادر وارکض منهزماً وقتل أصحاب نيزک أصحاب يزدجرد وانتهى يزدجرد من هزيمته إلى مکان من نواحى مرو فنزل عن فرسه ودخل إلى بيت طحان فمکث فيه ثلاثة أيام لم يأکل طعاماً فقال له الطحان أيها الشقى کل طعاماً فقد جعت. فقال لست أصل إلى ذلک إلا بزمزمة. وکان عند الطحان رجل يزمزم فکلمه الطحان فى ذلک ففعل وزمزم له فأکل فلما رجع المزمزم سمع بذکر يزدجرد فسأل عن حليته فوصفوه له فأخبرهم به وبحليته فأرسل إليه أبو براز رجلاً من الأساورة وأمره بخنقه وإلقائه فى النهر وأتى الطحان

فضـربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصـراف عنه قال له بعض أصـحابه إنى لأجد ريح مسک ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج فى الماء فجـذبه فإذا هو يزدجرد فسأله أن لا يقتله ولا يـدل عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له أعطنى أربعـة دراهم وأخلى عنک فلم يكن معه وقال إن خاتمى لا يحصـى ثمنه فخذه فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبر أنى سأحتاج إلى أربعة دراهم واضـطر إلى أن يكون أكلى أكل الهر فقـد رأيت ذلک ثم نزع أحـد قرطيه فأعطاه الطحان ليستر عليه وأرادوا قتله فقال ويحكم إنا نجـد فى كتبنا أنه من قتل الملوک عاقبه الله بالحريق فى الـدنيا فلا تقتلونى واحملونى إلى الدهقان أو إلى العرب فإنهم يسـتبقون مثلى. فأخذوا ما عليه من الحلى وخنقوه بوتر القوس وألقوه فى المـاء فجرى به المـاء حتى انتهى إلى فوهـة الرزيق فتعلق بعود فأخـذه أسـقف مرو وجعله فى تابوت ودفنه. وقيل: بل سار يزدجرد من كرمان قبل ورود العرب إليها نحو مرو على الطبسـين وقهسـتان فى أربعـة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائـدان يقال لأحـدهما براز وللآخر سـنجان وكانا متباغضـين، فسـعى براز بسـنجان حتى هم يزدجرد بقتله وأفشى ذلک إلى امرأة من نسائه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف يزدجرد فهرب أيضاً إلى رحى على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحى فأطعمه الطحان فطلب منه شـيئاً فأعطاه منطقته فقال إنما يكفينى أربعـة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان بفأس كان معه وأخذ ما عليه وألقى جيفته فى الماء وشق بطنه وثقله. وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصارى وقال قتل ابن شهريار وإنما شهريار

بن شـيرين المؤمنـة التى قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتنا مع ما نال النصارى فى ملک جده أنوشـروان من الشـرف فينبغى أن نحزن لقتله ونبنى له ناووساً فأجابوه إلى ذلک وبنوا له ناووساً وأخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها فى الناووس. وكان ملكه عشـرين سنة منها أربع سنين فى دعـة وست عشـرة سـنة فى تعب من محاربـة العرب إياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملک من آل أردشـير بن بابک وصـفا الملک بعده للعرب(1).

ما قاله البلاذرى فى مقتل يزدجرد

ذكر البلاذرى أنّ يزدجرد هرب من المدائن إلى حلوان، ثم إلى إصـبهان. فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند هرب من إصبهان إلى إصطخر. فتوجه عبد الله ابن بديل بن ورقاء بعد فتح إصـبهان لاتباعه فلم يقدر عليه. ووافى أبو موسـى الأشـعرى إصطخر فرام فتحها فلم يمكنه ذلک، وعاناها عثمان بن أبى العاصـى الثقفى فلم يقدر عليها. وقدم عبد الله بن عامر بن كريز البصـرة سـنة تسع وعشرين، وقد افتتحت فارس كلها إلا إصـطخر وجور، فهـمَّ يزدجرد بأن يأتى طبرستان. وذلک أن مرزبانها عرض عليه وهو بإصبهان أن يأتيها وأخبره بحصانتها، ثم بدا له فهرب إلى كرمـان، واتبعه ابن عامر مجاشع بن مسـعود السـلمى وهرم بن حيان العبـدى، فمضـى مجاشع فنزل بيمنـذ من كرمان، فأصاب الناس الدمق، وهلک جيشه فلم ينج إلا القليل، فسمى القصر قصر مجاشع. وانصرف مجاشع إلى ابن عامر. وكان يزدجرد جلس ذات يوم بكرمان، فدخل عليه مرزبانها فلم يكلمه تيهاً، فأمر

1- (1) أنظر: الكامل فى التاريخ, ابن الأثير, ج 3 ص 119.

بجر رجله وقال: ما أنت بأهل لولاية قرية فضلاً عن الملک، ولو علم الله فیک خیراً ما صیرک إلی هذه الحال. فمضی إلی سجستان، فأکرمه ملکها وأعظمه، فلما مضت علیه أیام سأله عن الخراج فتنکر له. فلما رأی یزدجرد ذلک سار إلی خراسان، فلما صار إلی حد مرو تلقاه ماهویه مرزبانها معظماً مبجلاً، وقدم علیه نیزک طرخان فحمله وخلع علیه وأکرمه، فأقام نیزک عنده شهراً، ثم شخص وکتب إلیه یخطب ابنته، فأحفظ ذلک یزدجرد وقال: اکتبوا إلیه إنما أنت عبد من عبیدی، فما جرأک علی أن تخطب إلیّ؟ وأمر بمحاسبة ماهویه مرزبان مرو، وسأله عن الأموال. فکتب ماهویه إلیّ نیزک یحرضه علیه ویقول: هذا الذی قدم مفلولاً طریداً فمننت علیه لیرد علیه ملکه، فکتب إلیه بما کتب. ثم تضافرا علی قتله. وأقبل نیزک فی الأتراک حتی نزل الجنابذ، فحاربوه، فتکافأ الترک ثم عادت الدائرة علیه، فقتل أصحابه ونهب عسکره. فأتی مدینة مرو فلم یفتح له، فنزل عن دابته ومشی حتی دخل بیت طحان علی المرغاب، ویقال إن ماهویه بعث إلیه رسله حین بلغه خبره فقتلوه فی بیت الطحان. ویقال إنه دس إلی الطحان فأمره بقتله فقتله، ثم قال: ما ینبغی لقاتل ملک أن یعیش. فأمر بالطحان فقتل. ویقال إن الطحان قدم له طعاماً فأکل، وأتاه بشراب یشرب فسکر، فلما کان المساء أخرج تاجه فوضعه علی رأسه، فبصر به الطحان فطمع فیه، فعمد إلی رحا فألقاها علیه، فلما قتله أخذ تاجه وثیابه وألقاه فی الماء. ثم عرف ماهویه خبره فقتل الطحان وأهل بیته وأخذ التاج والثیاب. ویقال إن یزدجرد نذر برسل ماهویه فهرب ونزل الماء. فطلب من الطحان فقال: قد خرج من بیتی. فوجدوه فی الماء. فقال: خلوا عنی

أعطكم منطقتی وخـاتمی وتاجی. فتغیبوا عنه. وسألهم شـیئاً یأکل به خبزاً فأعطاه بعضـهم أربعـة دراهم. فضـحک وقال: لقـد قیل لی إنک ستحتـاج إلی أربعـة دراهم. ثم إنه هجم علیه بعـد ذلـک قوم وجههم ماهویه لطلبه. فقال: لا تقتلونی واحملونی إلی ملک العرب لأصالحه عنی وعنکم. فأبوا ذلک وخنقوه بوتر، ثم أخذوا ثیابه فجعلت فی جراب، وألقوا جثته فی الماء(1).

تکامل صفاتها

إنّ اقترانها بالإمام الحسـین علیه السـلام, وتأهلها لأن تکون وعاءً للمعصوم دون غیرها, یکشف لنا بوضوح عن مـدی کمالها وبعـد إیمانها, بالإضافـة الی الروایات التی تتحـدث عن اهتمام یـد الغیب فی تربیتها واصـطفائها, فقد ورد عن جابر، عن أبی جعفر علیه السـلام قال: لما اقـدمت بنت یزدجرد علی عمر أشـرف لها عذاری المدینة وأشـرق المسـجد بضوئها لما دخلته، فلما نظر إلیها الخلیفة الثانی غطت وجهها وقالت: اف بیروج بادا هرمز... الخ(2). والکلام الذی نطقت به فارسی, مشتمل علی تأفیف ودعاء علی أبیها هرمز, تعنی لا کان لهرمز یوم فإن ابنته أسرت بصغر ونظر الیها الرجال.

وقیل: إن أمیر المؤمنین علیه السلام قد سماها مریم، وهذا ما یعطیها نفس المکانة. ویقال: سماها فاطمة، وکانت تدعی سیدة النساء(3).

1- (1) فتوح البلدان, البلاذری, ج 2 ص 387. وانظر: أیضا البدایة والنهایة, ابن کثیر, ج 7 ص 178.

2- (2) راجع: الکافی, الکلینی, ج 1 ص 467.

3- (3) بحار الأنوار, المجلسی, ج 46 ص 13.

ومن كلامه عليه السلام وقد سأل شاه زنان بنت كسرى حين أسرت: ما حفظت عن أبيک بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف فى الحيلة.

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوک تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف فى التدبير(1).

وأجاد الحر العاملى فى أرجوزته حين وصفها قائلاً:

أو أمه ذات العلى والمجد شاه زنان بنت يزد جرد

وهو ابن شهريار بن كسرى ذو سؤدد ليس يخاف كسرى(2)

على يغير اسمها

اهتم الأمام أمير المؤمنين عليه السلام فى أم السجاد عليهاالسلام كثير الاهتمام, وقد أمر فى عتقها مع جميع من معها من السبايا, ومن ثم وصى بها وقام بتغيير اسمها حيث قال عليه السلام لها: ما اسمک؟ فقالت: جهان شاه، فقال لها بل شهر بانويه(3).

فقوله عليه السلام: بل شهر بانويه كأنه عليه السلام غير اسمها للسنة، أو لأنه من أسماء الله تعالى, لما ورد فى الخبر فى النهى عن اللعب بالشطرنج إنه يقول مات شاهه وقتل شاهه والله شاهه ما مات وما قتل(4).

1- (1) الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 1 - ص 302.

2- (2) نقلاً عن: الأنوار البهية, الشيخ عباس القمى, ص 107.

3- (3) بصائر الدرجات, محمد بن حسن الصفار, ص 355.

4- (4) بحار الأنوار, المجلسى, ج 46 ص 10.

وجاء فی مجمع البحرین, أن بعض الشارحین قال: لا یخفی ما فی هـذا الحـدیث من الإغماض، والـذی یخطر فی البال: أن الشاه المذکور هنا عبارة عن شـیء یتقامر فیه یسـمی بهـذا الاسم یضاف إلی المتقامرین، فحین یقع النزاع بینهما ویرید الآخر إثبات ما یدعیه بالیمین یقول هـذا القول وهو فی الحقیقـة لا ینبغی أن یسـتعمل إلا فیمن له السـلطنة والغلبة، وهو الله تعالی. فعلی هذا ینبغی رفع شاهه فی قوله: (والله تعالی ذکره شاهه ما مات ولا قتل) علی أنه خبر مبتدأ محذوف أی هو شاهه لا غیر، فکیف ینسب إلیه الموت والقتل(1).

ویذهب بعض المؤرخین إلی أن أمیر المؤمنین علیه السـلام أبدل اسم شاه زنان ب - (شـهر بانویه) لئلا تشارک الزهراء علیهاالسلام لقبها، فإن شاه زنان تعنی فی العربیة: سیدة النساء، وقد خصت فاطمة الزهراء علیهاالسلام بلقب سیدة نساء العالمین.

کما یؤیده ما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السـلام قال: ما اسمک؟ قالت: شاه زنان قال: نه شاه زنان نیست، مگر دختر محمد صلی الله علیه و آله وهی سیدة النساء، أنت شهربانو وأختک مروارید بنت کسری قالت: آریه(2) (یعنی نعم).

والمراد من المعنی هنا أنّ الإمام علیه السـلام حینما سألها عن إسمها قالت اسمی شاه زنان أی سیدة النساء, قال علیه السلام لا لست سیدة النساء بل بنت محمد صـلی الله علیه و آله سـیدة النساء, أنت شـهربانو أی سـیدة المدینة. وهذا لا یقال فی العرف الفارسی إلا للمرأة ذات الشأن العظیم والمنزلة الرفیعة.

1- (1) أنظر: مجمع البحرین, الشیخ الطریحی, ج 2 ص 474.

2- (2) دلائل الإمامة, محمد بن جریر الطبری (الشیعی), ص 196.

رسول الله يخطبها للحسين عليه السلام

حظيت أم الإمام السجاد عليهاالسلام بتربية إلهية ومراعاة غيبية وهذا يعكس عن صفائها وطهارتها وما أعدها الله للمستقبل المنير, فقد كشفت الروايات جملة من الكرامات التى تلبست بها هذه السيدة الجليلة منها, اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام حيث قالوا: إنما اختارت الحسين عليه السلام لأنّها رأت فاطمة عليهاالسلام وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين، ولها قصة, وهى أنها قالت رأيت فى النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأن محمداً رسول الله صلى الله عليه و آله دخل دارنا وقعد مع الحسين عليه السلام وخطبنى له وزوجنى منه، فلما أصبحت كان ذلک يؤثر فى قلبى وما كان لى خاطر غير هذا، فلما كان فى الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله قد أتتنى وعرضت على الإسلام فأسلمت ثم قالت: إن الغلبة تكون للمسلمين، وإنک تصلين عن قريب إلى ابنى الحسين سالمة لا يصيبک بسوء أحد قالت: وكان من الحال أنى خرجت إلى المدينة ما مس يدى إنسان(1).

الرؤيا فى القرآن والسنة

من الظواهر التى يلاحظها الإنسان بكل أطيافه وباستمرار على مر التاريخ هى ظاهرة الرؤيا, وقد اهتمت بها أغلب الأمم, وإذا رجعنا الى الشريعة الإسلامية نرى أنّها تقسم الرؤيا على ثلاثة أقسام بحسب ما ورد من النصوص الشريفة, كما عن النبى صلى الله عليه و آله قال: الرؤيا ثلاثة: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان،

1- (1) أنظر: موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام, الشيخ هادى النجفى, ج 8 ص 385. وبحار الأنوار, المجلسى, ج 46 ص 11.

ورؤيا يحـدث بها الإنسان نفسه فيراها فى النوم(1). وأيضا ما ورد عن أبى عبـد الله عليه السـلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام(2).

وجدير بنا أن نلقى نظرة مختصرة ومقتضبة فى بيان حقيقة الرؤيا, فقد ذكروا أنّ العوالم ثلاثة:

الأوّل: عالَم الطبيعـة وهو العالم الـدنيوى الـذى نعيش فيه, والأشـياء الموجودة فيه صور ماديـة تجرى على نظام الحركـة والسـكون والتغير والتبدل, فالأشياء فى عالم الدنيا تحتوى على صور ومواد.

الثانى: عالم المثال, وهو فوق عالم الطبيعـة وجوداً وفيه صور الأشـياء بلا مادة, منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية وإليها تعود وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة.

الثالث: عالم العقل وهو فوق عالم المثال وجوداً وفيه حقائق الأشـياء وكلياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة وله نسـبة السـببية لما فى عالم المثال.

والنفس الإنسانيـة لتجردهـا لهـا مسانخـة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل, فإذا نام الإنسان وتعطل الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانخ لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان.

1- (1) عوالى اللئالى, ابن أبى جمهور الأحسائى, ج 1 ص 79.
2- (2) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 8 ص 90.

فان كانت النفس كاملـة متمكنـة من ادراک المجردات العقلية أدركتها واستحضـرت أسـباب الكائنات على ما هى عليها من الكلية والنورية وإلا حكتها حكايـة خياليـة بما تأنس بها من الصور والأشـكال الجزئية الكونية, كما نحكى نحن مفهوم السـرعة الكلية بتصور جسم سـريع الحركة ونحكى مفهوم العظمة بالجبل ومفهوم الرفعة والعلو بالسماء وما فيها من الاجرام السماوية والشجاع بالأسد إلى غير ذلک.

وان لـم تكن متمكنـة من إدراک المجردات على مـا هى عليهـا والارتقـاء إلى عالمها توقفت فى عالـم المثال مرتقيـة من عالـم الطبيعـة فربما شاهـدت الحوادث بمشاهـدة عللهـا وأسـبابها من غير أن تتصـرف فيهـا بشـىء من التغيير ويتفق ذلک غالبا فى النفوس السـليمة المتخلفة بالصدق والصـفاء وهذه هى المنامات الصـريحة, وربما حكت ما شاهدته منها بما عندها من الأمثلة المأنوس بها, ومن أمثلة هذا النوع من المنامات ما نقل أنّ رجلاً رأى فى المنام انّ بيده خاتما يختم به أفواه الناس وفروجهم فسأل ابن سيرين عن تأويله فقال إنک ستصير مؤذناً فى شهر رمضان فيصوم الناس بأذانک.

وقـد تبين أنّ المنامـات الحقـة تنقسم انقساماً أولياً إلى منامات صـريحة لـم تتصـرف فيها نفس النائم فتنطبق على ما لها من التأويل من غير مؤنة, ومنامات غير صـريحة تصـرفت فيها النفس من جهة الحكايا لأمثال والانتقال من معنى إلى ما يناسـبه أو يضاده وهذه هى التى تحتاج إلى التعبير بردها إلى الأصل الذى هو المشهود الأولى للنفس.

ص:321

ثم هذا القسم الثانى ينقسم إلى قسمين أحدهما ما تتصرف فيه النفس بالحكاية فتنتقل من الشىء إلى ما يناسبه أو يضاده ووقفت فى المرة والمرتين مثلاً بحيث لا يعسر رده إلى أصله, وثانيهما ما تتصرف فيه النفس من غير أن تقف على حدٍ كأن تنتقل مثلاً من الشىء إلى ضده ومن الضد إلى مثله ومن مثل الضد إلى ضد المثل وهكذا بحيث يتعذر أو يتعسر للمعبر أنّ يرده إلى الأصل المشهود, وهذا النوع من المنامات هى المسماة بأضغاث الأحلام ولا تعبير لها لتعسره أو تعذره(1).

والحاصل: إنّ المنامات ثلاثة أقسام كلية: وهى المنامات الصريحة ولا تعبير لها لعدم الحاجة إليه, وأضغاث الأحلام ولا تعبير فيها لتعذره أو تعسره, والمنامات التى تصرفت فيها النفس بالحكاية والتمثيل وهى التى تقبل التعبير.

الرؤيا الصادقة

الرؤيا الصادقة حقيقة ثابتة كما دلت عليها شواهد كثيرة من القرآن والسنة, وقد ذكر ذلک بشكل صريح فى القرآن الكريم فى منامات عديدة من الأنبياء وغيرهم, كما فى سورة الصافات (رؤيا النبى إبراهيم عليه السلام), وفى سورة يوسف أربعة منامات, أحدها ليوسف عليه السلام, واثنان للشابين الذين دخلا معه السجن, ورؤيا للملک يوم ذاک, وكانت هذه الأحلام والمنامات صادقة وقد تحقق تأويلها وتعبيرها فى الخارج.

1- (1) راجع: تفسير الميزان, السيد الطباطبائى, ج 11 ص 271.

وقد جاء فی سیرة النبی صلی الله علیه و آله أنّه رأی منامات وفسرها وکانت کما أخبر بها. والسیدة فاطمة علیهاالسلام رأت أباها فی المنام فی یوم وفاتها, فقال لها النبی صلی الله علیه و آله أنت اللیلة عندی, فتوفیت علیهاالسلام فی ذلک الیوم. وکذلک أمیر المؤمنین علیه السلام قبیل وفاته, وباقی الأئمة علیهم السلام.

ویمکن أن تقسم الرؤیا الصادقة علی عدة أقسام: منها, ما تکون تذکیر أو ناهیة وزاجرة عن فعل القبیح الذی ربما غفل عنه الإنسان فیریه رؤیة تزجره عن فعل تلک المعصیة, کما ورد عن الإمام الصادق علیه السلام: إذا کان العبد علی معصیة الله عز وجل وأراد الله به خیراً أراه فی منامه رؤیا تروعه فینزجر بها عن تلک المعصیة، وإن الرؤیا الصادقة جزءٌ من سبعین جزءاً من النبوة(1).

وفی هذا الصدد ینقل أنّ رجلا قال لعلی بن الحسین علیهماالسلام: رأیت کأنی أبول فی یدی. قال: تحتک محرم. فنظروا فإذا بینه وبین امرأته رضاع(2).

ومنها: ما تحکی عن المستقبل, وتکون لها دلالات مستقبلیة وتذکر أموراً لم تتحقق بعد, کما هو مذکور فی القرآن الکریم فی عدة مواضع, والتی منها, سجود الکواکب والشمس والقمر لیوسف علیه السلام, حیث فیه دلالة إلی نبوة یوسف علیه السلام فی المستقبل, ورؤیا عزیز مصر بأن سبع بقرات عجاف تأکل سبع بقرات سمان وقد فسرها نبی الله یوسف علیه السلام بما یجری فی المستقبل.

ومنها: ما یکون ضرباً من الإیحاء وهذا ما یخص الأنبیاء والأولیاء کما ورد

1- (1) راجع: الاختصاص, الشیخ المفید, ص 241.

2- (2) راجع: الطفل بین الوراثة والتربیة, الشیخ محمد تقی فلسفی, ج 1 ص 316.

فی القرآن الکریم عن لسان إبراهیم علیه السلام (قالَ یا بُنَیَّ إِنِّی أَری فِی الْمَنامِ أَنِّی أَذْبَحُکَ فَانْظُرْ ما ذا تَری قالَ یا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِینَ)1 , وعلی ذلک فالرؤیا التی یترتب علیها حکمٌ شـرعیٌّ أو أصل عقائدیٌّ وتکون حجة مستقلة هی للأنبیاء خاصة؛ لأنه نوع من أنواع الوحی.

نعم ربما یکون إیحاء لبعض الأولیاء ولو عن طریق المکاشفة أو مکالمة من عالم ما وراء الطبیعة, کما ورد عن أم نبی الله موسی علیه السلام فی قوله تعـالی:(وَ أَوْحَیْنـا إِلی أُمِّ مُوسـی أَنْ أَرْضِ عِیهِ فَـإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَـأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ وَ لا ـ تَخـافِی وَ لا ـ تَحْزَنِی إِنّـا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِینَ)2 , حیث ورد فی الروایات انّه کان رؤیا(1).

تطبیق الرؤیا فی المقام

ونقول من هـذا وذاک إنّ أم المعصوم علیهاالسـلام لا ـ تقـل شأنـاً عن أم موسـی علیهاالسـلام وغیرهـا, بـأن یحبوهـا الله عز وجل بالإیحاء والمکاشـفة والبشارة, لأن تکون وعاءً وحجراً لحجة الله علی خلقه وغیر ذلک, وعلیه کانت رؤیا السیدة شهر بانویه علیهاالسلام (أم السجاد علیه السـلام) أو رؤیا السـیدة نرجس علیهاالسـلام (أم الإمام المهدی علیه السـلام) رؤیا صادقة, بل تعتبر نوعاً من المکاشفة والمعاینة, فقد خطبها رسول الله صـلی الله علیه و آله فی عالم الرؤیا, ولقنتها الزهراء علیهاالسـلام الشهادتین حتی أسلمت, وبشرتها بزواجها من الحسین علیه السلام,

---

1- (3) راجع: تفسیر المیزان, السید الطباطبائی, ج 11 ص 268.

وهكذا الحال فى نرجس عليهاالسلام, فلا ينبغى الشک فى مطلق الرؤى والأحلام من حيث إنّه لا ينسجم مع العصر والنهضة العلمية, كما روج له الكثير من الذين حصروا أنفسهم فى بوتقة التجربة وعالم المادة ولم يكن لهم نصيب فى التعرف على ما وراء الطبيعة وعالم الغيب, مع أنّ الرؤيا شاهد قاطع على ذلک, فأمّ المعصوم عليه السلام لها الحظ الأوفر فى احتكاكها بالغيب واطلاعها على مجرى الأمور, وذلک بما تحويه من مؤهلات ومواهب وفضائل وغيرها.

موقف من عفافها وإيمانها

صحيح أنّها عاشت فى بيئة مترفة بعيدة عن التعاليم والقيم الإسلامية لكن لا يلزم منه انحرافها الخلقى وانحطاطها النفسى وما إليه؛ لأنّها كانت تحت الرعاية والتخطيط الإلهى, وكل المؤشرات تؤكد إيمانها وتوحيدها ولو على طريق الكتم والإخفاء, كما هو الحال فى أغلب الأسرة الهاشمية فى الجاهلية, أو زوجة فرعون حيث تحدث الله عنها بقوله:(وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِنْدَکَ بَيْتاً فِی الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِی مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ)1 , وغير ذلک كثير, لذلک نلاحظ الإمام علياً عليه السلام اهتم بها كثيراً وعندما أنحلها ابنه الحسين عليه السلام أو هى اختارته سارع فى الإشارة والتلميح إلى الأمر الذى خططت له السماء بقوله: احتفظ بها وأحسن إليها، فستلد لک خير أهل الأرض فى زمانه بعدک، وهى أم الأوصياء الذرية الطيبة. مع الحفاظ

والتشـدد الـذى كانت تعيشه داخل الأسـرة, لذلک ورد عن أبى الحسن على بن حماد العبدى بالبصـرة سـنة إحدى وتسـعين وثلاثمائة عن رجـاله أنّه قال: لما فتحت المـدائن وجمعت فى مسـجد رسول الله صـلى الله عليه و آله بالمدينـة الغنائم، وأحضـر عمر جميع المسـلمين ليقسـموها على مـا أوجبه الله، وعرضت السـبايا عليهم وهن متابعـات بينهم، أبرزت شـهربان بنت يزدجرد وهى مختمرة وعليهـا من ثياب الملوک شـملة، فقال عمر: احبسوا عنها الخمار فلا حرمة إلا للإسلام. فقال له على عليه السلام يجب لبنات الملوک أن تتميزن عن غيرهن. فقـال له عمر: أفيخرجن من السبى ويزول عنهن الرق؟ قال: [لا] ولكن لا يهتک خمرهن ويجعل الاختيار إليهن فيمن يملكهن. فأجاز عمر ذلـک وطيـف بهـا عليهم (وهم جلوس مجتمعون) ليقع اختيارهـا على من تملكهـا من المسـلمين، فلم تزل تتفحصـهم، ثم أشـارت إلى الحسـين عليه السـلام من بينهم، فحصـلت فى سهمه على ما أوجب من الفرض له، فولدت على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ثم حـدث أبو نصـر مهيـار بن أدبـار (وكـان من رؤساء المتصـرفين وعلماء المجوس المتأدبين) عن رجاله ومن أسـند من رواة الطائفـة إليه: إنّ شهربان حين طيف بها عند اقتسام الغنائم على كافة المسـلمين فى المسـجد لتختار من تكون من سـهمه منهم، وتسـير إلى من يحصل فى ملكه من جملتهم، ووقع اختيارها على الحسـين، وصارت فى قسمه، وتقدم لحملها إلى داره، قال لها عمر: أخبرينى عنک: قد عرض عليک كافـة المسـلمين، وفيهم أنا وأنا أميرهم، وما يتعـذر وجود الكهول والصـباح والشـبان والأوضاح فيهم، وكيف اخترت هـذا الفتى من بينهم؟ فقالت: الصدق أنجى وأرجى، كنت حين طيف بى

على الجماعـة (فأنا ألحظهم ليقع اختيارى على من يملكنى منهم) لا أرى أحـداً إلا يرمقنى بطرف حديـد ونظر شديد غير هذا الكهل وابنيه (وأشـارت إلى على عليه السـلام) فإنهم ما لحظونى ولا التفتوا إلىّ، فرأيت النزاهـة وشـرف الهمـة هناک، فبينت إليهم الاختيار، وعلمت أن المروءة ملـک لا يزول إذا زالت الممالک بنوائب الـدهر. فقال لها: أفلا اخترت أباه فهو أفضل منه، أو أخاه فهو كبيره؟ فقالت: نزعت نفسـى إلى [...] سنا لحداثته، ورغبت مع الشرف والعفاف فيما يرغب فيه أمثالى, فأعجبه ذلک منها وأثنى هو والجماعة الخير عليها(1).

زمان سبيها

اختلف المؤرخون فى زمان سبى السـيدة شـهربانو وفى أى عهد من الخلفاء كان, ولكنّ المشـهور كما عليه كثير من المؤرخين هو فى زمن خلافة عمر بن الخطاب كما جاء فى وفيات الأعيان وغيره, حيث قالوا: إنّ الصـحابة رضـى الله عنهم لما أتوا المدينة بسبى فارس فى خلافة عمر بن الخطـاب رضـى الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السـبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً, فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه إن بنات الملوک لا يعاملن معاملة غيرهم من بنات السوقة, فقال كيف الطريق إلى العمل معهن, قال يُقَومنَ ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن, فقُومنَ وأخـذهنّ على رضـى الله عنه فـدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسـين وأخرى لمحمد بن أبى بكر وكان ربيبه(2). وهناک

1- (1) أنظر: العقد النضيد والدر الفريد, محمد بن الحسن القمى, ص 145.

2- (2) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, ابن خلكان, ج 3 ص 267.

روايات تفيد أنّه ترک لهن الخيار من بين الحاضرين فاختارت السيدة شهربانو الإمام الحسين عليه السلام.

ولكن جاء فی العيون عن الرضا عليه السلام أن عبد الله بن عامر لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ل - (يزدجرد بن شهريار) ملک الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما للحسن عليه السلام والأخرى للحسين عليه السلام فماتتا عندهما نفساوين، وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعلی بن الحسين عليهماالسلام فكفله بعض امَّهات أولاد أبيه(1).

وقيل: جاءوا بها مع أختها كيهان بانو من حدود فارس فی خلافة عثمان بن عفان فأراد أن يبيعهما، قال له علی عليه السلام لا يعامل فی بنی الملوک معاملة سائرهم. فتزوج الحسين شهربانو، فولدت له علياً الأصغر، وتزوج محمد بن أبی بكر كيهان بانو، فولدت له القاسم. حتی قالوا: انظر إلى بركة العدل حيث جعل الله - تبارک وتعالى - الأئمة المهديين من نسل الحسين عليه السلام من بنت يزدجرد المنتسب إلى كسری أنوش (روان الملک العادل) دون سائر زوجاته(2).

وهناک قول ثالث كما جاء فی الإرشاد إنّها سبيت فی عصر خلافة الإمام علی عليه السلام حيث قال: ولی أمير المؤمنين عليه السلام حريث بن جابر الحنفی جانباً من المشرق، فبعث إليه ابنتی يزدجرد بن شهريار بن كسری فنحل ابنه الحسين عليه السلام(3).

ويمكن أن يرجح أنّ سبيها فی عهد خلافة عثمان, أو زمن خلافة أمير

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 136.

2- (2) راجع: ينابيع المودة لذوی القربی, القندوزی, ج 3 ص 152.

3- (3) راجع: الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 2 ص 137.

المؤمنين عليه السلام إذ أنّ أسر أولاد يزدجرد الظاهر أنّه كان بعد قتله أو استئصاله، وذلک کان فی زمن عثمان, وإن أمکن أن یکون بعد فتح القادسیة أو نهاوند أخذ بعض أولاده هناک قبل مقتله وکانت من جملتهم شهربانو. وأیضاً یلاحظ علی المشهور من أنّ ولادة الإمام السجاد علیه السلام کانت سنة (38 ه -) فإذا فرضنا أنّها سبیت فی خلافة عمر بن الخطاب کما علیه المشهور فیلزم منه أنّها بقیت بدون حمل إلی ما یقارب عشرین سنة وهو عادة بعید, فالأرجح أن نقول إنّها سبیت فی خلافة عثمان أو علی علیه السلام.

ولکن هـذا أیضـاً لیس دلیلاً ـقطعیـاً, حیث یمکن أنّ تتأخر المرأة عن الحمل سـنین متعـددة کما ثبت ذلک فی القرآن الکریم من أنّ زوجة إبراهیم علیه السلام سارة تأخرت الی ما بعد الیأس, وأیضاً کانت الفاصلة بین أولاد فاطمة بنت أسد عشر سنین, وربما الجمیع اطلع علی أنّ بعض النساء تأخر بهن الحمل إلی فترة طویلة فی مثل هذه الأیام التی اتسـمت بالتطور العلمی لاسـیما فی المجال الصـحی والتناسلی وما إلیه.

علی ینظر إلی المستقبل

من المسـلمات عنـد کل المسـلمین أنّ الإسـلام لا یختص بقومیـة واحـدة أو فئة خاصة وإنما هو یعم کل البشـر کما عبّر عن ذلک القرآن الکریم فی قوله تعالی:(شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی

وَ الْفُرْقانِ)1 فهو نداء عام للناس جميعاً فی کل زمان ومکان لإخراجهم من الظلمات إلی النور فی دار الدنیا والآخرة, فعلیه أنّ تُتخذ خطوات تسـهل دخول الناس إلی هذا المرفأ الکریم, فالمرونة والعفو عن الغیر من السـجایا التی تطمع الغیر فی الإقرار والتسـلیم, فترک الإمام موقفاً لاسـیما مع بنات ملوک الفرس ربما کان أحد العوامل فی دخولهم الإسـلام وإخلاصهم فیه, لذلک ذکر المؤرخون أنّه لما ورد سبی الفرس إلی المدینـة أراد عمر بن الخطاب (علی القول إنّها سبیت فی زمن خلافـة عمر بن الخطاب) بیع النساء وأن یجعل الرجال عبیداً فقال له أمیر المؤمنین علیه السـلام: إن رسول الله صلی الله علیه و آله قال: أکرموا کریم کل قوم، فقال عمر: قد سمعته یقول: إذا أتاکم کریم قوم فأکرموه وإن خالفکم, فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام هؤلاء قوم قد ألقوا إلیکم السلم ورغبوا فی الإسلام ولابد أن یکون لی فیهم ذریة، وأنا اشهد الله وأشـهدکم أنی قـد أعتقت نصـیبی منهم لوجه الله تعـالی، فقـال جمیع بنی هاشم: قـد وهبنا حقنا أیضاً لک، فقال: اللهم اشـهد أنی قد أعتقت ما وهبوا لی لوجه الله، فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقنا لک یا أخا رسول الله، فقال: اللهم اشـهد إنّهم قد وهبوا لی حقهم وقبلته وأشـهدک أنی قد أعتقتهم لوجهک، فقال عمر: لم نقضت علیَّ عزمی فی الأعاجم؟ وما الذی رغبک عن رأیی فیهم، فأعاد علیه ما قال رسول الله صـلی الله علیه و آله فی إکرام الکرماء فقال عمر: قـد وهبت لله ولک یا أبا الحسن ما یخصـنی وسائر ما لم یوهب لک، فقال أمیر المؤمنین علیه السلام اللهم اشهد علی ما قالوه وعلی عتقی إیاهم(1).

1- (2) مستدرک الوسائل, المیرزا النوری, ج 11 ص 132. و الغارات, إبراهیم بن محمد الثقفی, ج 2 ص 825.

شهربانويه تختار الحسين عليه السلام زوجاً

لم يكن اختيارها للحسين عليه السلام فى معزل عن التخطيط والإرادة الإلهية, بل هى اقترنت به فى عالم الأرواح والغيب (كما تقدم) قبل حضورها واختيارها له فى عالم المادة والأجساد وهذا يعبر عن ارتباط الغيب فى زواجها للحسين عليه السلام, فقد ذكروا هناك رهط من قريش وغيرهم كانوا حاضرين وكانت لهم المكانة والإمرة وقد رغبوا فى زواجها لكن اعترضهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: هن لا يكرهن على ذلك ولكن يخيرن ما اخترنه عمل به، فأشار جماعة إلى شهر بانويه بنت كسرى فخيرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور فقيل لها: من تختارين من خطابك؟ وهل أنت ممن تريدين بعلاً؟ فسكتت فقال أمير المؤمنين قد أرادت وبقى الاختيار، فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه و آله كان إذا أتته كريمة قوم لا ولى لها - وقد خطبت - يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل؟ فإن استحيت وسكتت جعل إذنها صماتها وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا لم يكرهها على ما تختاره، وإن شهر بانويه أريت الخطاب فأومأت بيدها واختارت الحسين بن على عليهماالسلام، فأعيد القول عليها فى التخيير فأشارت بيدها، وقالت: هذا إن كنت مخيرة، وجعلت أمير المؤمنين عليه السلام وليها، وتكلم حذيفة بالخطبة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟ فقالت: شاه زنان بنت كسرى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت شهر بانويه وأختك مروارید بنت كسرى قالت: آريه(1).

1- (1) الغارات, إبراهيم بن محمد الثقفى, ج 2 ص 825. جامع أحاديث الشيعة, السيد البروجردى, ج 20 ص 152.

شهربانو وعاء للمعصوم

اشارة

حازت هذه السيدة الجليلة بهذه المفخرة العظيمة حتى أصبحت وعاءً وأمّاً للإمام المعصوم عليه السلام, وهذا مما لا يتسنى لكل امرأة إلا أنّ تُصطفى وتُعد من قبل السماء, حتى تكون الوعاء السالم والصالح المناسب لهذا المخلوق العظيم, وهذا الحكم من الاصطفاء والإعداد الإلهى لا يجب فى مجرد الزوجة, حيث إنّ الأُم تختلف عن الزوجة بشكل جوهرى ولذلك ذكر القرآن أنّ هناك زوجات لبعض الأنبياء عليهم السلام كُنَّ خائنات فى عدم تمسكهن بخط النبوة والهدى الإلهى, كما جاء فى قوله تعالى:(ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلاَ النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ)1 , مع أنّه لم نجد أى انحراف أو غيره لأُم من الأنبياء أو الأوصياء بل نجد العكس من أنّها قد أُعدت من الناحية الروحية والنفسية والجسدية كى تكون وعاءً صالحاً لأشرف مخلوقات أهل زمانه, وربما السبب فى ذلك لأنّ للأُم أثراً تكوينياً على الجنين بخلاف مجرد الزوجة فإنّها لا تؤثر تكويناً على الزوج ولا ـ يلزم من انحرافها آثارٌ سلبية تكوينية على الزوج وإنما يرجع عليها فقط, أمّا الأم الكافرة والملوثة أو حتى الضعيفة روحياً ومعنوياً ترجع بآثارها على جنينها وأسرتها, فشرط الطهارة والنقاء فى امَّهات الأنبياء والأئمة أمر ثابت ولا غبار عليه بخلاف زوجاتهم عليهم السلام, وعندما

نرجع الى أم الإمام السجاد عليهاالسلام نجد أنّها حظيت باهتمام ورعاية إلهية على الصعيد المادى والروحى, كما جاءت فى ذلک عدة روايات, منها ما روى عن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: لما قدمت ابنة يزدجرد ابن شهريار آخر ملوک الفرس وخاتمتهم على عمر، وأدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة، وأشرق المجلس بضوء وجهها، ورأت عمر فقالت: آه بيروز باد هرمز، فغضب عمر وقال: شتمتنى هذه العلجة, وهمَّ بها, فقال له على عليه السلام: ليس لک إنكار على ما لا تعلمه، فأمر أن ينادى عليها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز بيع بنات الملوک، ولكن أعرض عليها أن تختار رجلا من المسلمين حتى تتزوج منه، وتحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن، فقال عمر: أفعل، وعرض عليها أن تختار فجالت فوضعت يدها على منكب الحسين عليه السلام, فقال أمير المؤمنين عليه السلام: چه نام دارى أى كنيزک, يعنى: ما اسمک يا صبية؟ قالت جهان شاه، فقال بل شهر بانويه، قالت: تلک أختى قال: راست گفتى, أى صدقت ثم التفت إلى الحسين فقال: احتفظ بها وأحسن إليها، فستلد لک خير أهل الأرض فى زمانه بعدک، وهى أم الأوصياء الذرية الطيبة، فولدت على بن الحسين زين العابدين عليهماالسلام(1).

سؤال وجواب

ربما يقال إنّ الإسلام نهى عن تزويج الأمة مع أنّنا نلاحظ أنّ أغلب امَّهات الأئمة المعصومين من الإماء؟ كما سيأتى أنّ ستة أئمة إضافة إلى أم الإمام

1- (1) راجع: الكافى, الكلينى, ج 1 ص 467.

السجاد عليه السلام امَّهاتهم إماء, نعم إنّ الزواج بالإماء إنما يجوز لمن يعانى من ضغط شديد بسبب شدة غلبة الغريزة الجنسية عليه ولم يكن قادراً على التزوج بالحرائر من النساء، وعلى هذا الأساس لا يجوز الزواج بالإماء لغير هذه الطائفة.

فيمكن أن تكون فلسفة هذا الحكم فى أن الإماء خاصة فى تلك العهود لم يحظن بتربية جيدة، ولهذا كنّ يعانين من نواقص خلقية ونفسية وعاطفية، ومن الطبيعى أن يتخذ الأطفال المتولدون من هذا الزواج صفة الأُمَّهات ويكتسبوا خصوصياتهن الخلقية، ولهذا السبب طرح الإسلام طريقة دقيقة لتحرير العبيد تدريجاً حتى لا يبتلوا بهذا المصير السيئ، وفى نفس الوقت فسح للأرقاء أنفسهم أن يتزوجوا فيما بينهم.

والجواب

هذا الموضوع لا ـ يتنافى مع وضع بعض الإماء اللائى حظين بوضع استثنائى وخاص من الناحية الخلقية والتربوية وغيرهما، فالحكم المذكور أعلاه يرتبط بأغلبية الإماء، وكون بعض امَّهات الأئمة من أهل البيت النبوى عليهم السلام من الإماء هو من هذه الجهة كما سيتضح.

وأمّا الظروف السياسية والاجتماعية التى ألجئتها الى هذا الحال من الأسر والرق لا ـ يقلل من شأنها ولا يؤثر فى ذاتها وكيانها بل تبقى بكمالها وبعدها المعنوى, وربما تكون هذه الظروف الأليمة التى واجهتها سبباً فى اعدادها وترقيها, إضافة إلى حفظها من أيدى الغاشمين.

ص:334

فلسفة أكثر امَّهات الأئمة جوارِ

اشارة

إن مما يدعو إلى الالتفات ويثير التساؤل هو أن أكثر امَّهات الأئمة عليهم السلام جوار من غير العرب، فأم كل من السجاد والكاظم والرضا والجواد والهادى والعسكرى والحجة عليهم السلام امَّهات أولاد، وقعن فى الأسر، واقترن بهنّ الأئمة عليهم السلام, مع أنّه لا يغيب عن بالنا ما يجرى فى سوق العبيد والجوارى، مضافاً إلى أن مسألة الإمامة ليست من المسائل العادية، فإنّها تستوجب الحيطة والحذر فى كل ما يرتبط بولادة الإمام المعصوم عليه السلام وتربيته ونشأته، وكما أنّ الأب ينبغى أن يكون فى أعلى درجات الكمال الممكن، فكذلک الأم وعلى ذلک قامت الأدلة. وهذا البحث جدير بالعناية والدراسة.

والسؤال الذى يواجهنا, هو ما هو السر فى اختيار الأئمة للجوارى من دون الحرائر العربيات من البيوتات الرفيعة ذات المنزلة الاجتماعية؟

ولماذا يقترن الأئمة عليهم السلام بالجوارى ليلدن لهم أفضل الأولاد والبنات؟

وللإجابة عن ذلک لابد أن نسلط الأضواء على بعض المفاهيم العامة والركائز الأساسية ذات الصلة بما نحن فيه لنخرج من خلالها بما يرفع الغموض والإبهام عن هذه المسألة.

والذى يظهر من خلال دراسة بعض المفاهيم العامة والقواعد الأساسية أن وراء اختيار الأئمة عليهم السلام الجوارى أسباباً أهمها ثلاثة.

الأول: التربية الإلهية لأم المعصوم

إن ممـا لاـ شک فيه أن أئمـة أهل البيت عليهم السـلام – كما نعتقـد وعليه قامت الأدلـة – قـد أوتوا العلم بحقائق الأمور والأشـياء ومعرفة مـداخلها ومخارجها، ومنها العلم بأحوال الناس وخصوصـياتهم، وقد ورثوا ذلک عن رسول الله أو أطلعهم الله تعالى عليه لنفوذ بصائرهم، وصـفاء نفوسـهم وطهارة ذواتهم، ولما كان الأمر يتعلق بالإمامـة ومنصب الولاية فلا بد من اختيار الوعاء الطاهر، والأصل الزاكى، والحجر العفيف الـذى سـيكون حاملاً وحاضـناً لولى الله، وخليفته على العباد، والحجة على الخلق، ويعد ذلک من المسـلمات البديهية فى عقيدة الشـيعة الإمامية، وإنما وقع اختيار الأئمة عليهم السـلام على هؤلاء الجوارى من دون سائر النساء لعلمهم عليهم السـلام بأنهن قد جمعن شرائـط الاقتران بالمعصوم وصـلاحيتهن للأمومـة التى سـتنجب الإمام المعصوم, إذ كما يشترط أن يكون الآباء طاهرين مطهرين فكـذلک الحال بالنسـبة للأُمَّهات. وقد تقدم مدى تأثير الأم على ولدها، فإن لعامل الوراثة مدخلاً كبيراً فى التكوين الخلقى المنعكس على الولد من قبل أبويه لاسـيما الأم، لـذلک نلاحظ أنّ الإمام عليه السـلام قد يختار واحدة بعينها من دون سائر الجوارى اللاتى عرضن للبيع، وقد تكون غير صالحة – بحسب المعايير المادية – للبيع والشراء إلا أن الإمام عليه السلام لا يختار غيرها، بل تذكر المصادر كما سيأتى ذكرها أن هذه الجاريـة المعينة من قبل الله قد جعلت للإمام فقد تمتنع عن الاستسـلام لأى مشترٍ يتقدم لشـرائها حتى يكون الذى يشتريها هو الإمام عليه السلام، مع أنها فى ظروف لا تملک

من أمرها شيئاً، الأمر الذى يؤكد على أن هناك تخطيطاً إلهياً متقناً لأن تكون هذه المرأة قرينة للإمام عليه السلام وقد أعدها الله تعالى لتصبح أمّاً ووعاءً للمعصوم. ويدل على ذلك ما تقدم من تحرك السماء نحو إيصال أم الإمام السجاد عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام ولم تتعدَ بالاختيار غيره.

ولو رجعت القهقرى ولاحظت كيف جعل الله إسماعيل ابن إبراهيم عليهم السلام فى بطن هاجر التى هى من الجوارى كما قيل قبطية من مصر أهداها لسارة أحد ملوك مصر(1), والذى ينحدر منه عن طريق هاجر نسب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله, فقد ذكر أنّ نبى الله إبراهيم عليه السلام بقى فترة طويلة بلا ذرية مع زوجته سارة, ثم أشار عليها أن تبيع له هاجر تلك الجارية لتى حظيت بتربية إلهية وأعدت لأن تكون وعاءً للمعصوم نبى الله إسماعيل عليه السلام, وقد ذكرها القرآن وعظّمها وجعلها سبباً لإيجاد بعض السنن الإلهية والتى منها السعى بين الصفا والمروة, وقد دفنها ابنها إسماعيل عليه السلام مقابل البيت العتيق, بإزاء الركنين العراقى والشامى, والذى يسمى اليوم بحِجر إسماعيل عليه السلام, وقد حجّر عليها لئلا يطأ الناس قبرها, تقديراً لها واحتراماً, ومن ثم هو دفن فيه وتبعه مجموعة من الأنبياء عليهم السلام, كما ورد ذلك عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل دفن أمه فى الحجر وحجر عليها لئلا يوطأ قبر أم إسماعيل فى الحجر(2). وعنه أيضا قال: الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل(3).

1- (1) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامى, اليوسفى, ج 1 ص 85.

2- (2) الكافى, الشيخ الكلينى, ج 4 ص 210.

3- (3) المصدر نفسه.

ومن بعض الطرائف التى تـذكر عن زيـد بن على الشـهيد مع هشام بن عبد الملك حينما قال له, بلغنى أنّک تذكر الخلافة وتتمناها ولسـت هناک وأنت ابن أمة؟. فقال له زيد: إن الأُمَّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسـماعيل (هاجر) أمة لأم إسحق (سارة)، فلم يمنعه ذلک أن بعثه الله نبياً وجعله أباً للعرب وأخرج من صـلبه خير الأنبياء محمداً صلى الله عليه و آله، وأخرج من إسحق القردة والخنازير وعبدة الطاغوت(1).

الثانى: محاربة الطبقية والعرقية

إنّ من أعظم الركائز التى قام عليها الدين هو إلغاء الفوارق الطبقية بين أبنائه والمنتسبين إليه، وقد أكد القرآن الكريم فى آياته، والرسول الكريم فى سـيرته على ذلک، وكانت النظرة إلى جميع الناس على أساسٍ من التساوى ونبـذ الفوارق العرقيـة والنسبيـة، وأن المعيار فى التفاضل بين الناس هو مقدار ما يتحلى به الإنسان من الإيمان والتقوى ومكتسـباته الشخصية كما أشار إليه سبحانه فى قوله (يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْنـاكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)2 . ليس لأحـد على أحد فضل إلا بالتقوى وليس للعنصر العربى فضل على سواه، وليس لسواه فضل عليه، وليس ثمة ما يميز أحدهما على الآخر إلا مقدار قربه من الله تعالى، أو بعده عنه، ولذا رفع الإسلام من شأن سلمان الفارسى الأصل حتى غدا ينسب إلى أهل بيت

1- (1) أنظر: تاريخ الكوفة, السيد البراقى, ص 381. وأعيان الشيعة, السيد محسن الأمين, ج 7 ص 115.

العصمة فقال صلى الله عليه و آله:

سلمـان منا أهل البيت(1) ، ووضع الإسـلام أبا لهب العربى الأصل والقرشـى النسب، وهو عم النبى حتى غـدا من أشـد الناس عـداوة لله ولرسوله، ونزل فيه قرآن يتلى, قوله تعالى:(تَبَّتْ يَدا أَبِى لَهَبٍ وَ تَبَّ * ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ * سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ)2 .

وقد اتخذ هذا المنهج القويم صوراً وأشـكالاً مختلفة، لتثبيت هذه القاعدة، حتى تكون هى المنطلق والأساس فى تقييم الأشخاص، وسعى سعياً حثيثاً بالقول تارة، وبالفعل أخرى، لبيان أن الإنسان لا يقعد به نسـبه، ولا يعيقه عنصـره، أو صـنفه، عن تسنم أرفع الدرجات، إذا كانت على وفق مـا يريـد الله ورسوله, كما فى قوله تعالى:(رَبُّهُمْ أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)3 . ولم يكن الأمر يقتصـر على القضايا الرئيسـية ذات الأهميـة القصوى، بل كانت تشـمل الشؤون الجانبية الأخرى، فما كان النبى يفاضل بين أحد من المسـلمين فى العطاء – مثلاً –، وكان يرى أن المال مال الله والناس عباد الله، وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام الذى أتخذ هذه السيرة النبويـة منهاجاً له، يقتفى خطى النبى فى تطبيقها على المسـلمين معتبراً نفسه واحـداً منهم، وأنهم جميعاً أخوة فى الدين، حتى أصـبح هذا المبدأ أحد الأسس التى مهدت السبيل أمام كثير من الناس للالتحاق بهذا الدين والسير فى ركابه.

1- (1) شرح أصول الكافى, صالح المازندرانى, ج 7 ص 7.

روی الکلینی بسنده عن حنان، قال: سمعت أبی یروی عن أبی جعفر علیه السلام قال: کان سلمان جالساً مع نفر من قریش فی المسجد، فأقبلوا ینتسبون، ویرفعون فی أنسابهم حتی بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرنی من أنت؟ ومن أبوک؟ وما أصلک؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله، کنت ضالاً فهدانی الله عز وجل بمحمدٍ، وکنت عائلاً فأغنانی الله بمحمدٍ، وکنت مملوکاً فأعتقنی الله بمحمدٍ، هذا نسبی، وهذا حسبی، قال: فخرج النبی وسلمان (رضی الله عنه) یکلمهم، فقال له سلمان: یا رسول الله ما لقیت من هؤلاء، جلست معهم فأخذوا ینتسبون، ویرفعون فی أنسابهم حتی إذا بلغوا إلی قال عمر بن الخطاب: من أنت؟ وما أصلک؟ وما حسبک؟ فقال النبی: فما قلت له یا سلمان؟ قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، کنت ضالاً فهدانی الله عز ذکره بمحمدٍ، وکنت عائلاً فأغنانی الله عز ذکره بمحمدٍ، وکنت مملوکاً فأعتقنی الله عز ذکره بمحمدٍ، هذا نسبی، وهذا حسبی، فقال رسول الله: یا معشر قریش إن حسب الرجل دینه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله عز وجل:(إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ)1 ثم قال النبی صلی الله علیه و آله لسلمان: لیس لأحد من هؤلاء علیک فضل إلا بتقوی الله عز وجل، وإن کانت التقوی لک علیهم فأنت أفضل(1).

ولو أن هذا المبدأ أخذ مجراه کما أراد الله تعالی ورسوله، وکما سعی أمیر

1- (2) الکافی, الکلینی, ج 8 ص 181.

المؤمنين عليه السلام وأبناؤه المعصومون عليهم السلام لتطبيقه، لما احتجنا إلى حروب الفتوحات التى يعتبرها البعض إحدى إنجازات الإسلام الكبرى. وما يدرينا فلعل ما يحيق بالمسلمين من خصومهم من الكيد والعدوان إنما هو عمل انتقامى واقتصاص مما جرى فى سالف الزمان من حروب الفتوحات إذ تركت حقداً دفيناً تتوارثه الأجيال، حتى إذا أمكنتهم الفرصة للانتقام شنوا حروباً لا هوادة فيها على الدين والأخلاق وبأساليب مختلفة. وكانت هذه السياسة طامة كبرى حرفت مسار الإسلام عن طريقه المستقيم، وأصبح الذين يرون أنفسهم من سادة القوم أن الاقتران بالجوارى عارٌ لا يليق بالأشراف. ويدل على ذلک ما ورد من معاتبة عبد الملک بن مروان للإمام زين العابدين عليه السلام، واعتراضه عليه حين تزوج بإحدى الجوارى، فقد روى الكلينى بسنده عن يزيد بن حاتم، قال: كان لعبد الملک بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن على بن الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوجها، فكتب العين إلى عبد الملک، فكتب عبد الملک إلى على ابن الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد بلغنى تزويجک مولاتک، وقد علمت أنّه كان فى أكفائک من قريش من تمجد به فى الصهر، وتستنجبه فى الولد، فلا لنفسک نظرت، ولا على ولدک أبقيت، والسلام. فكتب إليه على بن الحسين عليه السلام أما بعد، فقد بلغنى كتابک تعنفنى بتزويجى مولاتى، وتزعم أنّه كان فى نساء قريش من أتمجد به فى الصهر، واستنجبه فى الولد، وأنه ليس فوق رسول الله مرتقى فى مجد ولا- مستزاد فى كرم، وإنما كانت ملک يمينى خرجت متى أراد الله عز وجل منى بأمر التمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكيا فى دين الله فليس

يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وتمم به النقيصة، وأذهب به اللؤم فلا لؤم على امرءٍ مسلم، وإنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام. فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان، فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليک على بن الحسين عليه السلام، فقال: يا بنى لاـ تقـل ذلـک، فـإنّه ألسن بنى هاشم التى تفلق الصـخر، وتغرف من بحر، إن على بن الحسـين عليه السـلام يا بنى يرتفع من حيث يتضـع الناس(1). وفى رواية أخرى عندما أعتق الإمام السـجاد عليه السلام جارية له وتزوجها, كتب إليه عبد الملک بن مروان يعيره بذلک, فكتب إليه الإمام عليه السـلام قد كان لكم فى رسول الله أسوة حسـنة قد أعتق رسول الله صلى الله عليه و آله صفية بنت حيى وتزوجها وأعتق زيد بن حارثـة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش(2). وعرض بعض المحققين صوراً من هذه السـياسة الهوجاء التى اتبعها الحكام فى احتقار كل من هو غير عربى فقال: لقد أمر الحجاج أن لا يؤم فى الكوفة إلا عربى، وقال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربى. كما طرد غير العرب من البصـرة والبلاد المجاورة لها، واجتمعوا يندبون: وا محمدا و أحمدا، ولا يعرفون أين يذهبون، ولا عجب أن ترى أهل البصـرة يلحقون بهم ويشتركون معهم فى نعى مـا نزل بهم من حيف وظلم, بـل لقـد قالوا: لا يقطع الصـلاة إلا حمار، أو كلب، أو مولى. وقـد أراد معاويـة أن يقتل شـطراً من الموالى عنـدما رآهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلک. وتزوج رجل من الموالى بنتاً من أعراب بنى سـليم، فركب محمد بن بشير الخارجى إلى المدينة، ووواليها يومئذٍ إبراهيم بن هشام بن

1- (1) الكافى, الكلينى, ج 5 ص 345.

2- (2) راجع: الطبقات الكبرى, محمد بن سعد, ج 5 ص 214.

إسماعيل، فشكى إليه ذلک، فأرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مائتى سوط، وحلق رأسه وحاجبه ولحيته، فقال محمد بن بشير فى جملة أبيات له:

قضيت بسنة وحكمت عدلا ولم ترث الخلافة من بعيد

ولم تفشل ثورة المختار إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، فتفرق العرب عنه لذلک. ويقول أبو الفرج الأصفهانى: كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية إذا جاء العربى من السوق ومعه شىء ورأى مولى دفعه إليه فلا يمتنع. بل كان لا يلى الخلافة أحد من أبناء المولدين الذين ولدوا من امَّهات أعجميات(1).

وذكر أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام قوله: الحق أن الحكم الأموى لم يكن حكماً إسلامياً يسوى فيه بين الناس، ويكافئ المحسن عربياً كان أو مولى ويعاقب المجرم عربياً كان أو مولى، وإنّما الحكم فيه عربى، والحكام خدمة للعرب، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية(2). ولما كان أهل البيت عليهم السلام هم أئمة الدين، أرادوا إظهار فساد هذه السياسة بإجراء عملى، وبدأوا بأنفسهم، وهم وإن لم يعطوا الفرصة ليمارسوا دورهم فى تطبيق تعاليم الدين إلا أنهم لا يتخلون عن أداء وظيفتهم مهما أمكن، لذلک اختاروا امَّهات الأولاد الجوارى - مع ملاحظة سائر الشرائط - ليثبتوا أن لا فرق بين أحد من الناس، وأن ما وضع من الامتيازات لبعض دون بعض لم تكن بحسب المقاييس

1- (1) راجع: حياة الإمام الرضا عليه السلام السيد جعفر المرتضى, ص 27.

2- (2) ضحى الإسلام, ج 1 ص 187.

الإلهيـة، وإذا كـانت الظروف قـد قهرت بعض أولئـک النسـوة فأصـبحن يبعن فى أسواق الرقيق فلاـ يعنى ذلـک أنهن خاليـات من الشـرف والفضـيلة، بل قد يكون العكس صـحيحاً، فرب جارية أحاطتها العناية الإلهية لتكون قرينة للعصـمة وأمّاً للمعصوم، وهذا ما حدث بالنسـبة إلى امَّهات بعض الأئمـة عليهم السـلام. ولا يقاس بعـد ذلک فضل هـذه الجوارى والإماء اللاتى أصـبحن أوعيـة لحمل الإمامة بأى امرأة أخرى ممن لم تحظ بهذا الشرف العظيم, وإن كانت من أرقى البيوتات العربية بحسب الظاهر.

الثالث: الإسلام لكل الناس

اشارة

إن مما لا شک فيه أنّ رسالة النبى المصـطفى صلى الله عليه و آله هى الخاتمة الناسخة لجميع الرسالات السابقة وهى الشاملة لكافة البشر، فلا دين بعد دين الإسـلام،(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْـلامُ)1 ولاـ نبى بعـد النبى محمـد صـلى الله عليه و آله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها, وذلک من البديهيات المسلمة التى لا مجال للنزاع فيها، وأيدت ذلک الأدلة والبراهين.

وقـد اقتضت الحكمـة الإلهيـة أن يبقى هذا الدين محفوظاً وإن رحل النبى إلى الرفيق الأعلى، وقد أوكلت مهمة حفظ الدين إلى ذرية النبى صلى الله عليه و آله وعـترته، وهم وراث علمه ومقـامه الأئمـة الإثنـا عشـر أولهم أمير المؤمنين عليه السـلام، وآخرهم الحجـة بن الحسـن العسكرى عليه السلام، وعلى ذلک قامت الأدلة والبراهين أيضا.

ص:344

ونتيجة ذلک أنه کما أن نبوة النبی عامة شاملة، فکذلک إمامة الأئمة علیهم السلام عامة وشاملة، ومعنی ذلک أن إمامة الأئمة علیهم السلام لیست مقتصرة علی مجتمع معین أو عنصر معین، أو فئة من الناس معینة، فکما أن النبی بعث للأبیض والأسود علی السواء، فکذلک إمامة الأئمة علیهم السلام لکافة الناس.

ومن هنا یتضح لنا وجه آخر فی اقتران بعض الأئمة بنساء غیر عربیات, بل من قومیات أخری کالفارسیة أو الرومیة أو غیرهما، کما أوردت الروایات الدالة علی ذلک. فإن أم الإمام السجاد علیه السلام کانت من أصل فارسی، وکانت أم الإمام الکاظم علیه السلام من أشراف الأعاجم، وکانت أم الإمام الرضا علیه السلام من أهل المغرب، وکانت أم الإمام الجواد علیه السلام من أهل النوبة من قبیلة مارية القبطیة أم إبراهیم ابن رسول الله، وکانت أفضل نساء زمانها، وأشار إلیها رسول الله بقوله: بأبی ابن خیر الإماء النوبیة الطیبة، وکانت أم الإمام الهادی علیه السلام مغربیة، ولم یکن لها مثیل فی الزهد والتقوی، وکانت أم الإمام الحسن العسکری فی بلدها من الأشراف فی مصاف الملوک، وکانت أم الإمام الحجة بنت قیصر ملک الروم، وأمها من ولد الحواریین، وتنسب إلی وصی المسیح شمعون کما سیأتی کل ذلک مفصلا فی محله.

والذی نود أن نشیر إلیه فی هذا الوجه أن الإمامة لما کانت عامة وأن الإمام إمام لکل الناس علی شتی اختلاف أعراقهم وأصولهم انحدر بعض الأئمة من جهة امَّهاتهم من أصول غیر عربیة لیکون ذلک علامة بارزة علی عالمیة إمامتهم، وشمولها لجمیع أهل الأرض، وأن لکل من السلالات البشریة طرفاً یوصلها بهذا

الدين الإلهى العظيم، وتلك حكمة بالغة ولطف عام لكل البشر، وأما العروبة فليس لها خصوصية فى حد ذاتها من حيث هى وإنما المدار فى الأول والأخير التقوى.

احتمال يفرض نفسه

ولعل هناك سرّاً آخر ينطوى تحت هذا الوجه قد تكشف عنه الأيام, نورده كاحتمال ليس إلا، إذ لا نملك دليلاً قاطعاً عليه، وإن كان فى نفسه غير بعيد.

وحاصله: أنّ الإمام المهدى الموعود به على لسان النبى صلى الله عليه و آله، ونطق بذلك القرآن الكريم، وأكدت عليه الروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام سيكون له الشأن العظيم فى إعلاء كلمة الله تعالى، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وسيقوم بأداء مهمته فى أغلب أحواله بشكل طبيعى، وإن كان يأتى بالمعجزة والكرامة تأييداً من الله تعالى، ولا شک أن تلک مهمة شاقة كما شرحتها الروايات والآيات.

وإذا كانت أم الإمام المهدى عليه السلام تنحدر من سلالة أحد أوصياء عيسى ابن مريم عليهماالسلام فما يدرينا: لعل فى ذلک تمهيداً وتسهيلاً لإنجاز مهمة الإمام عليه السلام فى خضوع النصارى والكفار وتسليمهم له نظراً إلى أن أجداده لأمه منهم، فيحرک فى نفوسهم الجانب العاطفى للرحم القائمة بينه وبينهم، الأمر الذى يختصر عليه كثيراً من الأمور وينجزها فى سهولة ويسر. على أن ذلک أحد أسباب اللطف العام بأولئک النصارى حيث يكونون على مقربة من الهداية والنجاة.

أنا ابن الخيرتين

اشارة

يكشف الإمام السجاد عليه السلام عن أصالة نسبه من الطرفين كما روى عنه عليه السلام أنّه كان يقول أنا ابن الخيرتين, يعنى جده محمداً صلى الله عليه و آله وعلياً عليه السلام وكسرى, فهو ابن خيرة العرب والعجم(1). ولم يقل ذلک للبذخ والفخر ولكن بياناً للواقع, وكأنه نظر إلى قول جده رسول الله صلى الله عليه و آله كما جاء فى المناقب وغيره:

إنّ لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس(2). ولقد أحسن أبو الأسود الدؤلى بقوله:

وإنّ وليداً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم

وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله لتلدن لک منها خير أهل الأرض، فولدت على بن الحسين عليه السلام وكان يقال لعلى بن الحسين عليه السلام: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس(3).

ولو لم تكن أمه عليه السلام بهذا المستوى من الفخر والسمو لكانت مندوحة ليزيد ابن معاوية فى توهين وذم الإمام السجاد عليه السلام لاسيما فى المساجلات التى دارت بينهم فى الشام, وعادة الأعداء يتربصون الثغرات كيف ما كانت للنيل من الطرف الآخر, وقد لاحظنا كيف كان توهين هشام بن عبد الملک لزيد بن على عليه السلام, حيث قال له إنّک ابن أمة كيف تروم الى الخلافة, فلم يذكر لنا التاريخ أن عُيّر الإمام

1- (1) راجع: المصدر نفسه.

2- (2) مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 3 ص 305.

3- (3) راجع: الكافى, الكلينى, ج 1 ص 467.

السجاد عليه السلام بسبب أمّه لا من يزيد ولا من غيره فهذا يعبر بلا ريب من أنّ أمه عليه السلام من النساء العارفات الفاضلات ذات المكانة العالية فى جميع الأصعدة, وقد كشف عن ذلک المعصوم الذى ينطق عن واقعٍ لا يشوبه أدنى شک بقوله أنا ابن الخيرتين.

من كلام المغرضين

ذكروا أن من أسباب دخول الفرس للتشيع إصهار الحسين عليه السلام إلى الفرس؛ لأنّه تزوج ابنة يزدجرد وهو أحد الملوک الساسانيين واسمها شاه زنان فولدت له على بن الحسين الذى اجتمعت فيه الخواص الوراثية للأكاسرة وخواص الإمامة من آبائه كما يقول صاحب تاريخ الإسلام: إن زواج الحسين بن على بشهر بانواه إحدى بنات يزدجرد آخر ملوک الأسرة الساسانية، وان الفرس كانوا يرون فى أولاد الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، وهذا الشعور الوطنى يفسّر تعلق الفرس بعلى من جهة وظهور المذهب الشيعى من جهة أخرى(1).

وفى ذلک تقول سميرة الليثى معقبة على رأى أرنولد توينبى فى انتشار الإسلام بين الفرس, الذى أدى إلى انتشار الإسلام هو زواج الحسين من شاه بانو إحدى بنات يزدرجرد وقد رأى الفرس فى أولاد شاه بانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين(2).

فزواج الحسين على رأى هؤلاء أحد العوامل التى أدت إلى انتشار التشيع لأهل البيت عليهم السلام عند الفرس.

1- (1) تاريخ الإسلام, لحسن إبراهيم, ج 1 ص 222.

2- (2) الزندقة والشعوبية, ص 56.

والجواب عليه

إنّ من القواعـد المسـلم بها أنّ حكم الأمثال فيما يجوز أو لا يجوز واحد، وبناء على هذا فإنّ العلة التى ذكرها هؤلاء فى اعتناق التشـيع من قبل الفرس وهى إصـهار الحسـين عليه السـلام للفرس موجودة عنـد عبـد الله بن عمر بن الخطاب، وعنـد محمد بن أبى بكر، فقد تقدم أنّ الصـحابة لما جاؤوا بسبى فارس فى خلافـة الخليفـة الثانى كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فأخـذهن على, فـدفع واحـدة لعبـد الله بن عمر, وأخرى لولـده الحسـين, وأخرى لمحمـد بن أبى بكر، فأولـد عبـد الله بن عمر ولـده سالماً، وأولد الحسـين زين العابدين, وأولد محمد ولده القاسم, فهؤلاء أولاد خالة وأُمَّهاتهم بنات يزدجرد(1).

وهنـا نسأل إذا كانت العلـة فى دخول الفرس للتشـيع هى مصاهرة الحسـين عليه السـلام للفرس فلماذا لا تطرد هـذه العلـة فيتسـنن الفرس لاصهار عبد الله بن عمر لهم ومحمد بن أبى بكر كذلك؟ مع أن العلة هنا أقوى وآكد حيث يجتمع اثنان بالاصهار وليس واحداً كما هى فى الحسـين عليه السـلام, وكل من محمد وعبد الله أبناء خليفة كما كان الحسين ابن خليفة. بالإضافة لذلك إن كلاً من يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وأمه شاه فرنـد بنت فيروز بن يزدجرد ومروان بن محمـد آخر خلفاء بنى أميـة أمه أم ولد من كرد إيران فلماذا لا تطرد العلة هنا أيضـاً وبـالعكس لمـاذا لا يميل العرب السـنة لأهل البيت الـذين امَّهاتهم عربيـة فى حين نجـد قسـماً من العرب يبغض أهل البيت كالنواصـب مثلا(2).

1- (1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, ابن خلكان, ج 3 ص 267. تاريخ المذاهب الإسلامية ج 1 ص 40.

2- (2) انظر: هوية التشيع, الشيخ أحمد الوائلى, ص 76.

مأساتها فی کربلاء

ذکر بعض المؤرخین أنّ السیدة شهر بانویه کانت حاضرة فی معرکة کربلاء مع زوجها الحسین علیه السلام وأهل بیته, فقد ورد فی کلام طویل عن حال خروج الحسین علیه السلام وأهل بیته إلی کربلاء, إلی قوله... ثم خرج شاب آخر وهو یقول: تنحوا عنی یا بنی هاشم, تنحوا عن حرم أبی عبد الله علیه السلام، فتنحی عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعلیها آثار الملوک، وهی تمشی علی سکینة ووقار، وقد حفت بها إماؤها، فسألت عنها؟ فقیل لی: أما الشاب فهو زین العابدین ابن الإمام الحسین علیهماالسلام، وأما ألامرأة فهی أمه شاه زنان بنت الملک کسری, زوجة الإمام الحسین علیه السلام، فأتی بها وأرکبها علی المحمل، ثم ارکبوا بقیة الحرم والأطفال علی المحامل(1).

وأیضا التقطت لنا عدسة التأریخ ذکرها فی کربلاء فی حال براز بنی هاشم الی القتال حیث قال: وخرج غلام من خباء من أخبیة الحسین علیه السلام وفی اذنیه درتان فاخذ بعود من عیدانه وهو مذعور فجعل یلتفت یمیناً وشمالاً وقرطاه یتذبذبان فحمل علیه هانی بن ثبیت الحضرمی فضربه بالسیف فقتله, فصارت أمّه شهر بانویه تنظر إلیه ولا تتکلم کالمدهوشة(2).

کما وجاء فی المناقب عن ابن آشوب قال: ثم تقدم علی بن الحسین

1- (1) أنظر: موسوعة کلمات الإمام الحسین علیه السلام, لجنة الحدیث فی معهد باقر العلوم علیه السلام ص 362.

2- (2) أنظر: لواعج الأشجان, السید محسن الأمین, ص 181.

الأكبر عليه السلام وهو ابن ثمان عشرة سنة، ويقال ابن خمس وعشرين، وكان يشبه رسول صلى الله عليه و آله خَلقاً وخُلقاً ونطقاً وجعل يرتجز... الى أن قال: فطعنه مرة بن منقذ العبدى على ظهره غدراً فضربوه بالسيف، فقال الحسين: على الدنيا بعدك العفا، وضمه إلى صدره وأتى به إلى باب الفسطاط، فصارت أمه شهر بانويه وهى تنظر إليه ولا تتكلم، فبقى الحسين وحيداً وفى حجره على الأصغر فرمى إليه بسهم فأصاب حلقه، فجعل الحسين يأخذ الدم من نحره فيرميه إلى السماء فما يرجع منه شىء... الخ(1).

ومن هنا نلاحظ أنّ بعض المحققين المعاصرين اتخذ من هذا النص التاريخى شاهداً على جهاد الإمام السجاد عليه السلام فى كربلاء بين يدى والده عليه السلام, حيث قال: من المعلوم أنّ أم على الشهيد هى ليلى العامرية أو برة بنت عروة الثقفى (كما يراه ابن شهر آشوب) والمعروف أن (شهر بانويه) هى أم على بن الحسين عليه السلام، فلابد أن يكون قد سقط من عبارة مناقب شهرآشوب ذكر مبارزة على بن الحسين السجاد عليه السلام، وبهذا يكون شاهداً على ما نحن بصدده.

(قال) ومن المحتمل أن تكون العبارة مقدمة على موضعها فى مقتل على الأصغر الذى ذكره ابن شهرآشوب بعد هذا النص المنقول، لأن ابن شهرآشوب ذكر أن أُم على السجاد هى أم على الأصغر شهربانو رضى الله عنها(2).

فعلى هذا أنّ السيدة شهر بانويه شاهدت المآسى والآلام سواء فى أحداث

1- (1) أنظر: مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 3 ص 257.

2- (2) أنظر: جهاد الإمام السجاد ع, السيد محمد رضا الجلالى, ص 43.

الطف من استشـهاد زوجها الحسـين عليه السـلام وأهل بيته وأصحابه وما جرى عليها من ترويع وعطش وما إليه, أم فى حال سبيها مع ابنها السـجاد عليه السـلام من بلد الى بلد وإدخالها فى مجلس الى مجلس ولا تُعرف عاقبة مصيرهم, مع رؤيتها ابنها فى حالٍ يرثى له وهو يُؤمر بقتله بين حين وآخر, وهذا مما لا يقل مأساة عن أحداث الطف وما جرى فيه.

زمان وفاتها

لم نلحظ اهتماماً فى تتبع سـيرتها ومزاياها من قبل المؤرخين وأصـحاب السـير إلا من القلائل لاسـيما من بعض المحدثين, لذلک حصل اختلاـف وخلط فى تحديـد زمان وفاتها عليهاالسـلام, فمنهم ذكروا أنّها عليهاالسـلام توفيت قبل واقعـة الطف, بل فى حال نفاسـها بالإمام السـجاد عليه السـلام, كما جاء فى العيون عن سـهل بن القاسم النوشجانى، قال: قال لى الرضا عليه السلام بخراسان: إنّ بيننا وبينكم نسباً، قلت: وما هو أيها الأمير؟ قال: إن عبـد الله بن عامر بن كريز لما افتتـح خراسان أصاب ابنتين ليزدجر بن شـهريار ملک الأعاجم فبعث بهما إلى عثمان بن عفان فوهب إحـديهما للحسن عليه السـلام والأخرى للحسـين عليه السـلام فماتتا عندهما نفساوين وكانت صاحبة الحسـين عليه السـلام نفست بعلى بن الحسـين عليهماالسلام فكفل علىٌّ عليه السلام بعض امَّهات ولد أبيه فنشأ وهو لا يعرف أُمّاً غيرها, ثم علم أنّها مولاته فكان الناس يسـمونها أمه وزعموا أنّه زوج أمه ومعاذ الله إنما زوج هذه على ما ذكرناه وكان سـبب ذلک أنه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل فلقيته أمه هذه فقال: لها إن كان فى نفسک من هذا الأمر شىء فاتقى وأعلمينى فقالت: نعم فزوجها فقال الناس زوج على بن

الحسين عليه السلام أمّه. وقال لى عون قال لى سهل بن القاسم: ما بقى طالبى عندنا إلا كتب عنى هذا الحديث عن الرضا عليه السلام(1).

وأمّا الروايات التى تدل على اهتمام الإمام السجاد عليه السلام فى برّ أمّه (كما سيأتى ذكرها) فالمراد من أمّه - هنا - أم ولد كانت تحضنه فكان يسميها أمّاً، وأمّا أمّه شهر بانويه فقد توفيت فى نفاسها به كما تقدم، فكفلته بعض امَّهات ولد أبيه، فنشأ لا يعرف أمّاً غيرها، ثم علم أنّها مولاته وكان الناس يسمونها أمه.

وعليه يكون زمان وفاة السيدة شهر بانو معلوم على هذا القول من خلال ولادة الإمام السجاد عليه السلام, فقد ولد عليه السلام فى المدينة أو الكوفة فى الخامس من شعبان سنة ست أو سبع أو ثمان وثلاثين, فكما يكون هذا اليوم أو الأيام القريبة منه تاريخ لولادة الإمام السجاد عليه السلام فكذلک يكون تاريخ لرحيل أمّه السيدة شهر بانو.

ولكن منهم قال إنّها بقيت حية وشهدت أحداث عاشوراء, كما جاء فى الأخبار التى تقدم ذكرها فى حضورها كربلاء, بالإضافة إلى الروايات التى كانت تبين لنا حال احترام وبرّ الإمام السجاد عليه السلام لأمّه.

منها: ما روى أنه قيل له عليه السلام: إنک أبر الناس وأوصلهم إلى الرحم فكيف لا تؤاكل أمک؟ قال: إنّى أكره أن تسبق يدى إلى ما سبقت عينها إليه فأكون عاقا لها(2).

وفى رواية وكان ابنها شديد البر بها, كما ذكره أبو العباس الفاضل الحافظ

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 135.
2- (2) الخصال, الشيخ الصدوق, ص 518.

يرفعه، قال: ما أكل على بن الحسين عليه السلام مع أمّه فاكهة إلا وهى مغطاة خشية أن تمتد يده إلى ما مدت إليه عينها(1).

محل قبرها

لم يـذكر التأريـخ لنا مكان قبرها, ولكن يمكن أن نثبت ذلک من خلال ولادتها للإمام زين العابدين على القول فى أنّها ماتت فى نفاسـها به عليه السـلام فإذا كانت قـد ولـدته فى المدينـة كما هو المشـهور فلا ريب من أنّ يكون قبرها بالمدينـة فى البقيع, أما لو قلنا ولدته فى الكوفة وذلک لأنّه ولد فى أواخر حياة جده أمير المؤمنين وقد عاصـره سـنتين ومع أنّ الأمام كان فى الكوفة بعدما تحولت العاصـمة الإسـلامية من المدينة إلى الكوفة وكان الخليفة آنذاک وقد كان الحسن والحسـين عليهما السلام معه كما هو ثابت, ولم يوجد خبر أن الحسين عليه السلام ذهب إلى المدينـة أو اسـتقر هناک, فعليه يكون قبرها بالكوفـة؛ لأنّ ولادة الإمام زين العابـدين عليه السـلام فى الكوفة وهى ماتت فى حال نفاسـها به كما تقدم, وأمّا على القول الثانى من أنّها ماتت بعد أحداث الطف, فأيضاً يكون أقرب الأقوال من أنّ قبرها فى المدينة؛ لأنّها بقيت مع ابنها السجاد عليه السلام وهو لم يفارق مدينة جده, بل استقر فيها إلى أن وافاه الأجل وقد دفن فيها.

ولكن هناک قول ثالث ضـعيف تعارف عليه الناس إلى زماننا هـذا من أنّ قبرها فى طهران عاصـمة الجمهورية الإسـلامية الإيرانية ولها مزار يقصده الناس وتطلب حوائجها وهو إلى اليوم معلوم لقاطنيها, ولكن لم نعثر على دليل يثبت

1- (1) المجدى فى أنساب الطالبين, على بن محمد العلوى, ص 93.

ذلک لا من التاریخ ولا من غیره, إلا أنّ الناس یقولون هذا قبر أمّ الإمام زین العابدین علیه السلام والله العالم, نعم قد ذکر البعض أنّ جماعة تعتقد أنّ السیدة شهربانو بقیت علی قید الحیاة إلی ما بعد أحداث کربلاء سنة (60) للهجرة ومن ثم جاءت نحو إیران وفیها توفیت ودفنت قریب من شهر ری(1).

السجاد یزوج حاضنته

کان الإمام السجاد علیه السلام یدعو خدمه کل شهر ویقول: إنی قد کبرت ولا أقدر علی النساء فمن أراد منکن التزویج زوجتها، أو البیع بعتها، أو العتق أعتقتها، فإذا قالت إحداهن: لا، قال: اللهم اشهد حتی یقول ثلاثاً، وإن سکتت واحدة منهن قال لنسائه: سلوها ما ترید، وعمل علی مرادها(2). ومن جملة هذه النسوة حاضنته التی کان الناس یسمونها أمه حتی زعموا أنّه زوج أمه, أو التی کانت ترعاه وتخدمه بشکل مباشر حتی عرفت کأمّه, هذا مع غض النظر عن صحة وثبوت هذه القصة, وکان سبب تزویج حاضنته أنّه واقع بعض نسائه ثم خرج یغتسل فلقیته أمة (حاضنته) هذه فقال: لها إن کان فی نفسک من هذا الأمر شیء فاتقی وأعلمینی فقالت: نعم فزوجها فقال الناس زوج علی بن الحسین علیه السلام أمّه حتی أن بعض ملوک بنی أمیة (عبد الملک بن مروان) أرسل إلیه یعاتبه فی ذلک، ولم تکن أمّه إنما کانت حاضنته. ولم یکن أهل المدینة یرغبون فی نکاح الجواری حتی ولد علی بن الحسین فرغبوا فیهن.

1- (1) أنظر: مادران جهارده معصوم علیهم السلام, أحمد أمیر بور, ص 163.

2- (2) الأنوار البهیة, الشیخ عباس القمی, ص 116.

من أزواج الحسين عليه السلام

1 - ليلى (أم على الأكبر)

اشارة

ليلى بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالک بن کعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقیف. یکنی بأبی مرة. فعروة بن مسعود الثقفی زعیم من زعماء العرب وسید ممن ساد قومه فأحسن السیادة, وهو رابع من أربعة من العرب سادوا قومهم, کما ورد ذلک عن النبی صلی الله علیه و آله فی قوله: «أربعة سادة فی الإسلام: بشر ابن هلال، وعدی بن حاتم، وسراقة المدلجی، وعروة بن مسعود الثقفی(1). وهو أحد الرجلین العظیمین الذی قالت قریش فیهما, حیث بالغوا به وتطرفوا إذ عظّموه تعظیماً علی حساب النبی صلی الله علیه و آله لیجعلوا منه شخصیة تضاهی النبی الأعظم کما حکی القرآن عن ذلک بقوله:(وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ)2 , والقریتان هما مکة والطائف.

نعم کان شخصیة مرموقة لکن أبی أن یکون انتهازیاً کغیره من المرتزقة, بل کان شجاعاً وجریئاً وقد صمم علی أن یدعو قومه للإسلام بعدما أسلم وأحسن علی ید الرسول صلی الله علیه و آله عندما اتبع أثره من الطائف وأدرکه قبل دخوله مکة فقد ذکروا: «لما انصرف رسول الله صلی الله علیه وسلم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب حتی أدرکه قبل أن یصل إلی المدینة فأسلم وسأل رسول الله صلی الله علیه وسلم أن یرجع إلی قومه بالإسلام فقال له رسول الله صلی الله علیه

1- (1) میزان الاعتدال, الذهبی, ج 2 ص 422.

وسلم إن فعلت فإنهم قاتلوک فقال يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم محبباً مطاعاً فخرج يدعو قومه إلى الإسلام فاظهر دينه رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف على قومه وقد دعاهم إلى دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله(1).

وفى لفظ آخر: أنّه رضى الله تعالى عنه قدم الطائف عشاءً فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام نصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يغشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله, فقيل له قبل أن يموت ما ترى فى دمک فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله إلى فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أنّ يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم(2).

وقد قال فى حقه النبى صلى الله عليه و آله: إنّ مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه(3). حيث دعى قومه إلى الله فقتلوه, فهنا ذكر النبى صلى الله عليه و آله حسن عاقبته وخاتمة مطافه إلى الحق تعالى.

كما قد شبَّهه صلى الله عليه و آله بالمسيح ابن مريم عليه السلام فى صورته حيث قال صلى الله عليه و آله: عرض علىّ الأنبياء عليهم السلام فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ورأيت

1- (1) راجع: الاستيعاب, ابن عبد البر ج 3 ص 1066.

2- (2) راجع: السيرة الحلبية, الحلبى, ج 3 ص 241.

3- (3) راجع: السيرة النبوية, ابن كثير, ج 4 ص 54.

إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه و آله(1).

وأمّا أمها: فهى ميمونة بنت أبى سفيان صخر بن حرب ابن أمية, أى أنّ أبا سفيان يُعد جداً لليلى, ولكن شوائب أمية لم تمس من ليلى أو تؤثر فيها, فهى من سلالة الأمجاد والمكارم من آل مسعود, فقد ترك أبوها فى نفسها آثار الهدى والإيمان والاستقامة على الدين الحنيف إلى أن أصبحت عضواً مميزاً فى العائلة الهاشمية.

وقد ولدت ليلى للإمام الحسين عليه السلام علياً الأكبر أول شهيد من بنى هاشم يوم عاشوراء, ولقد استمد الشهيد (على الأكبر) أمجاده من جهة الأب سادة قريش وزعماء العرب، ومن جهة الأم من مفاخر العرب ثقيف.

حضور ليلى فى كربلاء

هناك جملة من النصوص والقرائن تؤكد وجود ليلى (أم على الأكبر) فى كربلاء, وكلامنا هنا ليس من باب الادعاء حتى يلزمنا الإتيان بالبينة, بل هذا يلزم الطرف الآخر الذى يدعى عدم وجودها فى كربلاء؛ لأن من المسلم والثابت أنّ الحسين عليه السلام وأهل بيته ونساءه (شاء الله أنّ يراهن سبايا)(2) وصحبه حلّوا فى كربلاء وجرى ما جرى, فمن أنكر حضورها معهم يلزمه البينة؛ لأنه أصبح مدّعيّاً وحينئذٍ تلزمه البينة, ومع الأسف إنّ الذين أدعوا عدم وجودها وحضورها فى كربلاء لم يبرهنوا لا من بعيد ولا من قريب, نعم صادروا بقولهم: لم يذكر

1- (1) راجع: الاستيعاب, ابن عبد البر, ج 3 ص 1067.

2- (2) راجع: مختصر بصائر الدرجات, الحسن بن سليمان الحلى, ص 132. وغيره كثير.

المؤرخون ليلى فى كربلاء, وربما تنزّل البعض وقال: ولم يذكر أحد فى السير المعتبرة حياة ليلى أم الأكبر يوم الطف فضلاً عن شهودها(1). ولا أدرى هل هذا يعتبر دليلاً يثبت فيه ما ذهبوا إليه؟ وحتى لو سلمنا أنهم استقرأوا واطلعوا على كل كتب التاريخ والسيرة والحديث والأنساب وغيرها من الأولين والآخرين فهو لا يكون دليلاً على إثبات المدعى الذى ذهبوا إليه؛ لأنّ عدم ذكر التاريخ لها لا يلزم منه بالضرورة عدم وجودها فى كربلاء, حتى لو قلنا إنّه ذكر بعض نساء الحسين عليه السلام وبناته, لأنّ إثبات الشىء لا ينفى ما عداه, حيث لم نجد ملازمة إطلاقاً, مع أنّ التاريخ لم يعط اهتماماً إلى ذكر المرأة على مرّ التاريخ, لاسيما وأنّ نساء أهل البيت عليهم السلام يتمتعن بالعفّة والحشمة ومهما أمكن يبتعدن عن الأنظار وغيرها, وربما يتعذر على الحاضرين أن يميزوا بينهن أو يعرفوا أسماءهنَّ إلا أن يستعينوا بأقرب الناس إليهن. ومع هذا كله فقد ذكر التاريخ حضورها فى كربلاء ومشاركتها المآسى والآلام مع زوجها عليه السلام وأولادها وكانت جزءاً من الثورة الحسينية فى المبادئ والأهداف والعواطف, ونذكر ذلك كى تقرّ به عين القارئ الكريم مراعين الاختصار والإيجاز؛ لأنّه ليس مورد بحثنا.

من الأدلة على حضور ليلى فى كربلاء

إضافة إلى ما تقدم فقد ذكروا عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الرحيل إلى كربلاء أمر بحمل نسائه معه فكانت كل امرأة يركبها ابنها أو المقرب لها المحمل

1- (1) راجع: نفس المهموم, الشيخ عباس القمى, ص 167. وقاموس الرجال, المحقق التسترى, ج 7 ص 422. والملحمة الحسينية, العلامة الشهيد مطهرى, ج 1 ص 18.

ومن جملـة هـذه النسوة ليلى حيث أركبها ابنها على الأكبر, كما قال الراوى... ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع، ومعه امرأة، وقد حفت بها إماؤها، فأركبها ذلک الغلام المحمل، فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لى: أما الغلام فهو على الأكبر ابن الحسـين عليه السلام، والامرأة أمه ليلى زوجة الحسين عليه السلام(1).

وأيضاً جاء ذكرها فى جملة النساء اللاتى وقفن وشاهدن أبناءهنَّ فى كربلاء, حيث قال: على بن الحسـين عليهما السـلام فإن أمه ليلى واقفة تدعو له فى الفسطاط على ما روى فى بعض الأخبار، وتراه يقطع وتنظر إليه(2).

وأيضاً ورد عن حكيم بن داود, عن سلمة, قال حدثنى أيوب بن سليمان بن أيوب الفزارى, عن على بن الحزوّر, قال: سمعت ليلى وهى تقول: سمعت نوح الجن على الحسين بن على عليه السلام وهى تقول:

يا عين جودى بالدموع فإنما يبكى الحزين بحرقة وتفجع

يا عين ألهاک الرقاد بطيبه من ذكر آل محمد وتوجع

باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم بين الوحوش وكلهم فى مصرع(3)

ولا أقل نستفيد من هذا النص, أنّها باقية على قيد الحياة إلى ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وهناک روايات وردت فى حال مصرع على الأكبر والعزاء له تحتوى قرائن

1- (1) راجع: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام, لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم عليه السلام, ص 362.
2- (2) راجع: أبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام, الشيخ محمد السماوى, ص 224.
3- (3) كامل الزيارات, جعفر بن محمد بن قولويه, ص 192.

جلیـة من أنّ المراد من المرأة التی خرجت ونادت وبکت هی أمه لیلی, نـذکر واحدة منها وهی ما جاء عن حمید بن مسـلم والذی هو أحد الذین حضـروا المعرکة ونقلوا أخبارها ویعتبر فی اللسان المعاصـر صُحفی أو مراسل أو شاهد عیان مع غض النظر عن طبیعة انتمائه, فقال حمیـد بن مسـلم: فکأنی أنظر إلی امرأة خرجت مسـرعة کأنها الشـمس الطالعـة تنادی بالویل والثبور، وتقول: یا حبیباه یا ثمرة فؤاداه، یا نور عینـاه؟ فسـألت عنهـا فقیـل: هی زینب بنت علی علیهماالسـلام وجاءت وانکبت علیه فجاء الحسـین علیه السـلام فأخـذ بیـدها فردها إلی الفسـطاط وأقبل علیه السـلام بفتیانه وقال: احملوا أخاکم، فحملوه من مصـرعه فجاؤوا به حتی وضـعوه عنـد الفسـطاط الـذی کانوا یقاتلون أمامه(1).

والملاحظ هنا أنّ التعبیر ب - (یا ثمرة فؤاده) یشـیر إلی أنّها تنـدب ولـدها ولیس ابن أخیها؛ لأنّ ثمرة الفؤاد تـدل علی الولد, سواء فی لسان الأحـادیث أم فی اللغـة, کما ورد عن جابر، عن أبی جعفر علیه السـلام قال: دخل رسول الله صـلی الله علیه و آله علی خدیجـة حین مات القاسم ابنها وهی تبکی فقال لها: ما یبکیک؟ فقالت: درت دریرة فبکیت، فقال: یا خدیجة أما ترضـین إذا کان یوم القیامة أن تجیئی إلی باب الجنة وهو قائم فیأخذ بیدک فیدخلک الجنة وینزلک أفضـلها وذلک لکل مؤمن، إنّ الله عز وجل أحکم وأکرم أن یسـلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم یعذبه بعدها أبداً(2). وغیرها من الروایات التی تفسر ثمرة الفؤاد بالولد. وقد جاء فی اللغة کما فی تاج العروس أنّ الولد ثمرة القلب. وفی الحدیث: إذا مات ولد العبد قال الله لملائکته: قبضتم

1- (1) راجع: أبصار العین فی أنصار الحسین, الشیخ محمد السماوی, ص 224.

2- (2) راجع: الکافی, الشیخ الکلینی, ج 3 ص 218.

ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. قيل للولد: ثمرة لأن الثمرة ما ينتجه الشجر، والولد ينتجه الأب. وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى:(وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَ مْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ) أى: الأولاد والأحفاد(1). وعليه نقول ربما اشتبه الأمر على الراوى فى تعيين اسم المرأة لاسيما فى ساحة الوغى حيث يصعب التأكيد على الجزئيات, بالإضافة إلى ما تقدم من عدم تمييز ومعرفة نساء أهل البيت عليهم السلام, مع أنهن محجوبات عن أنظار الناس حتى فى حال معركة الطف, فيصعب تشخيصها ومعرفتها لا من الراوى ولا من غيره, ولعل اطلاق اسم السيدة زينب فى الجواب لكونه كان هو المعروف والمتداول لدى الجميع, فعلى هذا ليس من البعيد أنّ المراد بالمرأة هنا هى أمّه ليلى. والمحصل من كل ما تقدم أنّ حضور السيدة ليلى فى كربلاء وبقائها على قيد الحياة الى ما بعد ذلك أمر ثابت ولا غبار عليه.

2 - الرباب (أم عبد الله الرضيع)

هى الرباب بنت امرء القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم ابن جناب بن كلب. وكان امرء القيس زوج ثلاث بناته فى المدينة من أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، المحياة بنت أمرء القيس للإمام على عليه السلام وسلمى بنت أمرء القيس للإمام الحسن عليه السلام, والرباب بنت أمرء القيس للإمام الحسين عليه السلام, فكانت الرباب عند الحسين عليه السلام وولدت له سكينة وعبد الله الرضيع الذى كان من جملة الشهداء فى الطف. وأمها, هند الهنود بنت الربيع بن مسعود ابن مصاد بن حصن بن كعب، كانت من خير النساء وأفضلهن.

1- (1) راجع: تاج العروس, الزبيدى, ج 6 ص 150.

والرباب هی التی یقول فیها أبو عبد الله الحسین علیه السلام

لعمرک إننی لأحب دارا تحل لها سکینة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالی ولیس لعاتب عندی عتاب(1)

وقال ابن عساکر هی التی أقامت علی قبر الحسین علیه السلام حولاً, ثم قالت:

إلی الحول ثم اسم السلام علیکما ومن یبک حولاً کاملاً فقد اعتذر

وسکینة اسمها آمنة أو أمیمة وإنما سکینة لقب لقبتها أمها الرباب بنت امرئ القیس, ولما توفی الحسین خطبت الرباب وألح علیها فقالت ما کنت لأتخذ حموا بعد ابن رسول الله علیه السلام فلم تتزوج وعاشت بعده سنة لم یظلها سقف بیت حتی بلیت وماتت کمداً وکانت من أجمل النساء وأعقلهن(2).

وقال المسعودی والإصبهانی والطبری وغیرهم: إن الحسین لما آیس من نفسه ذهب إلی فسطاطه فطلب طفلاً له لیودعه، فجاءته به أخته زینب، فتناوله من یدها ووضعه فی حجره، فبینا هو ینظر إلیه إذ أتاه سهم فوقع فی نحره فذبحه قالوا: فأخذ دمه الحسین علیه السلام بکفه ورمی به إلی السماء وقال: اللهم لا یکن أهون علیک من دم فصیل، اللهم إن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلک لما هو خیر لنا: وانتقم لنا من هؤلاء الظالمین، فلقد هون ما بی أنه بعینک یا أرحم الراحمین قالوا: فروی عن الباقر علیه السلام: أنه لم تقع من ذلک الدم قطرة إلی الأرض(3).

1- (1) راجع: مقاتل الطالبیین, أبو فرج الاصفهانی, ص 59.

2- (2) راجع: تاریخ مدینة دمشق, ابن عساکر, ج 69 ص 120.

3- (3) راجع: حاشیة مقتل الحسین علیه السلام, ابو مخنف الأزدی, ص 172.

محتويات الكتاب

الإهداء 4

مقدمة اللجنة العلمية 7

المقدمة 10

التمهيد 15

آثار الأم على الجنين 15

دور الأم 16

الصفات الوراثية 19

الصفات الوراثية السلبية 24

الآثار الوراثية لشرب الخمر 25

الأرحام الطاهرة 28

آثار الأرحام الملوثة 31

اختيار الزوجة 34

ص:364

طهارة امَّهات الأئمة 36

من آثار الحمل بالمعصوم 40

أسماء المعصومين وأُمَّهاتهم فى صحيفة الزهراء عليهاالسلام 41

إهمال التاريخ لأُمَّهات الأئمة عليهم السلام 43

الفصل الأول 49

آمنة بنت وهب أم النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم 49

النسب الطاهر 51

نبذة عن أبناء كلاب 53

تقرش قريش 56

الكمالات العالية للسيدة آمنة 57

طهارتها وإيمانها بالله 61

مكر اليهود فى إطفاء النور المحمدى 64

موقف من بسالة عبدالله 67

يمكرون ويمكر الله 68

زواج السيدة آمنة من عبد الله 70

وهب يرغب فى تزويج عبد الله 70

فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة 72

عقد القران بين عبدالله وآمنة 73

وفاة زوجها عبد الله ورثاؤها عليه 75

آمنة وعاء نور النبى الخاتم 76

شغف النساء بنور النبى صلى الله عليه و آله 79

الرواية الأولى 80

الرواية الثانية 80

الرواية الثالثة 81

الجمع بين الروايات 82

الصحيح 83

مشهد من إيمان عبدالله 84

عملية اغتيال فاشلة 85

إرهاصات فى حملها وولادتها للنبى صلى الله عليه و آله 88

تاريخ ولادتها للنبى صلى الله عليه و آله 91

وفاتها ومحل قبرها 92

زيارة النبى لقبرها وإحياؤها له 96

تحريف الحقائق 98

والصحيح 101

مرضعات النبى صلى الله عليه و آله 104

1 – حليمة السعدية 104

زوج حليمة السعدية 107

2 – ثويبة 107

طهارة آباء النبى صلى الله عليه و آله 108

علماء السنة على ثلاثة آراء 108

الشيعة الإمامية 113

محاولة فاشلة 116

والجواب 116

خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبى صلى الله عليه و آله 117

استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه 120

والجواب 120

إشكال وجواب 121

الجواب 122

الفصل الثانى 127

فاطمة بنت أسد أم الإمام على عليهما السلام 127

النسب الطاهر 129

إيمانها بالله والرسول 130

مكانتها عند الله ورسوله 132

فاطمة بنت أسد أُم النبى الثانية 134

مشهد من كرم بنى هاشم 137

زواجها من أبى طالب 138

مشهد من إيمان أبى طالب 140

أبو طالب رمز الإيمان 143

الأول: الروايات الواردة بحقه 143

الثانى: أشعاره فى نصرة النبى وتأييده 146

الثالث: مواقفه من الرسول ودفاعه عنه 147

الرابع: وصية أبى طالب عند وفاته بالنبى صلى الله عليه و آله 151

الخامس: قول النبى بحقه 152

أولادها 153

إسلام طالب ابن أبى طالب 154

الأدلة على إيمان طالب بن أبى طالب 155

أشعاره ومواقفه تجاه النبى صلى الله عليه و آله 155

الروايات الدالة على إسلام طالب 158

استشهاد طالب بن أبى طالب 159

نبذة عن عقيل بن أبى طالب 160

عقيل ينتصر على معاوية 161

نبذة عن جعفر بن أبى طالب 164

أبو طالب يبشر زوجته بالوصى 165

فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصى 166

الكعبة تستقبل فاطمة بنت أسد 169

فاطمة وبعلها يسألان الله فى تسمية على عليه السلام 173

وفاتها ومحل دفنها 174

النبى يصلى على فاطمة بنت أسد 176

النبى يدفن فاطمة بنت أسد 176

زيارة خاصة لفاطمة بنت أسد 179

الفصل الثالث 183

خديجة بنت خويلد أم السيدة فاطمة عليهما السلام 183

النسب الطاهر 185

الأسرة الكريمة 187

دور آباء خديجة 189

مميزات خويلد والد السيدة خديجة عليهاالسلام 191

خويلد على خط الأنبياء 195

دين السيدة خديجة قبل الإسلام 196

الصفات الكمالية للسيدة خديجة 197

من صفاتها السخاء 199

من صفاتها العلم 200

رؤيا نورانية صادقة 201

من صفاتها الرواية 202

من صفاتها الشعر 203

إيمانها برسول الله قبل زواجها منه 204

زواجها من رسول الله 206

أبو طالب خاطب خديجة للنبى صلى الله عليه و آله 208

هل تزوجت خديجة قبل النبى صلى الله عليه و آله 209

سبب زواجها من النبى صلى الله عليه و آله 212

عمر خديجة حين زواجها 214

مقدار مهر السيدة خديجة 215

من هو الذى عين مهر خديجة 217

أولادها 219

فاطمة البنت الوحيدة للنبى صلى الله عليه و آله 220

سبب تصدى السيدة خديجة للتجارة 226

مصادر أموال السيدة خديجة 228

هل كان النبى أجيراً عند خديجة 231

زيف القول 233

والجواب 234

تصيد بالماء العكر 235

منزلة خديجة عند الله 236

مكانتها عند النبى صلى الله عليه و آله 238

سبق إسلامها 240

النبى يعلّم خديجة الوضوء والصلاة 242

خديجة وعاء لأم الأئمة 243

نساء الجنة يحضرن خديجة فى مخاضها 245

خديجة مربية لأمير المؤمنين عليه السلام 246

خديجة عند احتضارها 247

من وصايا خديجة للنبى صلى الله عليه و آله 249

اهتمامها بفاطمة عليهاالسلام 250

النبى يجهزها 251

وفاتها ومحل دفنها 252

التبرک بقبر خديجة ومنزلها 254

استحباب زيارة قبر خديجة الكبرى 254

أزواج النبى صلى الله عليه و آله 256

الفصل الرابع 259

فاطمة بنت محمد أم الحسنين عليهم السلام 259

مولدها المبارک 261

كيفية ولادة فاطمة عليهاالسلام 264

انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة 266

من الأدلة على عصمة فاطمة عليهاالسلام 268

أمّا الكتاب 269

تقريب الاستدلال بالآية 270

أما السنة 271

مكانة الزهراء عليهاالسلام 274

أكابر قريش تخطب فاطمة عليهاالسلام 276

الله يأمر بتزويج فاطمة من على عليهماالسلام 278

فلسفة زواج فاطمة من على عليهماالسلام 280

مقدار مهر فاطمة 282

تاريخ زواج فاطمة عليهاالسلام 284

الملائكة تحضر زفاف فاطمة عليهاالسلام 284

فاطمة المصداق الأكمل للزوجة وللأم الصالحة 285

كذبة بيضاء 288

حرمة الزواج على على فى حياة الزهراء عليهاالسلام 291

إشكال وجواب 294

والجواب 294

مصحف فاطمة عليهاالسلام 296

أسماء فاطمة عليهاالسلام 299

سبب تسميتها بفاطمة 299

سبب تسميتها بالزهراء 300

سبب تسميتها بالصديقة 302

سبب تسميتها بالمباركة 305

سبب تسميتها بالطاهرة 307

تسميتها بالراضية 309

تسميتها بالمرضية 310

تسميتها بالمحدثة 311

سؤال وجواب 313

سبب تسميتها بالبتول 314

دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟ 315

كيفية شهادتها 318

فاطمة فى حالة الاحتضار 320

فاطمة تفارق الحياة 322

تشييعها وإعفاء قبرها 323

الوداع الأخير 326

تاريخ وفاتها 327

محل دفنها 328

استحباب زيارة فاطمة عليهاالسلام 329

وذكرت زيارة أخرى 330

من أزواج أمير المؤمنين 331

1 – خولة الحنفية 331

من مآسى التاريخ 333

زواجها من أمير المؤمنين 334

2 – أم البنين الكلابية 336

أم البنين ترثى أولادها 337

موقف من إيمانها 338

تاريخ وفاة أم البنين عليهاالسلام 340

3 – ليلى النهشلية 341

4 – أسماء بنت عميس الخثعمية 341

5 – أمامه بنت أبى العاص 343

ص:373

الفصل الخامس 345

شهربانو أم الإمام السجاد عليهما السلام 345

اسمها ونسبها 347

اكاذيب واهية فى نسب أم السجاد عليه السلام 348

والصحيح 349

اشكال وجواب 354

مقتل والدها يزدجرد 355

ما قاله البلاذرى فى مقتل يزدجرد 360

تكامل صفاتها 363

على يغير اسمها 364

رسول الله يخطبها للحسين عليه السلام 366

الرؤيا فى القرآن والسنة 366

الرؤيا الصادقة 370

تطبيق الرؤيا فى المقام 372

موقف من عفافها وإيمانها 373

زمان سبيها 376

على ينظر إلى المستقبل 378

شهربانويه تختار الحسين عليه السلام زوجاً 380

شهربانو وعاء للمعصوم 381

ص:374

سؤال وجواب 383

والجواب 384

فلسفة أكثر امَّهات الأئمة جوارِ 384

الأول: التربية الإلهية لأم المعصوم 386

الثانى: محاربة الطبقية والعرقية 388

الثالث: الإسلام لكل الناس 395

احتمال يفرض نفسه 398

أنا ابن الخيرتين 399

من كلام المغرضين 400

والجواب عليه 401

مأساتها فى كربلاء 402

زمان وفاتها 405

محل قبرها 407

السجاد يزوج حاضنته 408

من أزواج الحسين عليه السلام 409

1 – ليلى (أم على الأكبر) 409

حضور ليلى فى كربلاء 412

من الأدلة على حضور ليلى فى كربلاء 414

2 – الرباب (أم عبد الله الرضيع) 417

محتويات الكتاب 419

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹